جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار / كلية العلوم الإسلامية
قسم/ العقيدة والدعوة والفكر

النزعة الاستشراقية في قراءة القمني للفكر الإسلامي

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة الأنبار ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في العقيدة والدعوة والفكر

من طالب الماجستير

عبدالله خضير عبدالله المحلاوي

إشراف

الأستاذ الدكتور

تكليف لطيف رزج الدليمي

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ
وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

سورة الزمر: الآية: ٣٢

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة (النزعة الاستشراقية في قراءة القمني للفكر الإسلامي) المقدمة من طالب الماجستير (عبدالله خضير عبدالله) قد جرى بإشرافي في كلية العلوم الإسلامية- جامعة الأنبار، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، وهي جاهزة المناقشة.

توقيع المشرف

أ.د. تكليف لطيف رزج

التاريخ / / ٢٠٢٥م

توصية رئيس قسم: العقيدة والدعوة والفكر

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

توقيع رئيس القسم

أ.د. هادي عبيد حسن

التاريخ / / ٢٠٢٥م

الإهداء

إلى من كان فضلهم علي بعد الله ﷻ، والداي حفظهما الله تعالى..

وإلى شريكة حياتي زوجتي الحبيبة ألتي كانت عوناً لي..

وإلى قرة عيني أولادي الأحبة..

وإلى شقائق القلب إخوتي وأخواتي..

وإلى من كانت صحبتهم بهجتي وفرحي أصدقائي الأعزاء..

وإلى المتفضلين علي.. أساتذتي..

وإلى كل أحبائي وأقربائي ..

أهدي لكم ثمرة جهدي هذا.

الباحث

الشكر والثناء

أول ما أبدأ به هو شكر الله ﷻ والثناء عليه كما يستحق، على توفيقه لي في إكمال رسالتي، فله الحمد سبحانه أولاً وآخراً.

وعملٌ بسنة نبينا محمد ﷺ، وكما في الحديث الشريف"(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ)"[1]. أتقدم بالشكر والإمتنان إلى كلية العلوم الإسلامية ، التي درست وتخرجت فيها، متمثلة بالسيد العميد المحترم والأساتذة الأفاضل وأخص منهم أساتذة قسم العقيدة والدعوة والفكر، وجميع العاملين في هذه الكلية، على ما قدموه ويقدموه خدمة للعلم الشرعي وطلبته.

ومن باب لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل، فإن المتفضل عليَ بعد الله ﷻ في كتابة هذه الرسالة هو أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور**(تكليف لطيف رزج)** المشرف على رسالتي، الذي لم يدخر جهداً في إرشادي ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وامتناني إلى السادة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة الموقرة، مرتين الأولى: لقبولهم مناقشة رسالتي، والثانية: لملاحظاتهم القيمة والتي من شأنها أن ترتقي بهذه الدراسة، وإلى كل من مد لي يد العون لإكمال رسالتي.

الباحث

---

[1] - الجامع الكبير "سنن الترمذي": لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي(٢٠٩ - ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الجيل - بيروت + دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط:١٩٩٨/٢م، كتاب: البر والصلة ، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن اليك، حديث رقم: ١٩٥٤، ، ٥٠٥/٣، قال عنه الترمذي (حديث صحيح).

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين سيدنا محمدﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين. وبعد:

تعد دراسة الاستشراق وتأثيراته على العالم الإسلامي من الدراسات المهمة؛ كونها تكشف للمسلمين أفكار الغرب ونظرتهم للإسلام، وقد كان لكثير من علماء الإسلام الفضل الكبير في هذه الدراسات، غير أن ما يمكن ملاحظته أن كتابات المستشرقين ضد الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً لم تنقطع بل تأثر بها الكثير وهذا ما نراه من خلال تبني الكثير من المحسوبين على الفكر الإسلامي لتوجهاتهم وتزيينها وتجميلها والدفاع عنها، حتى أصبح لزاماً علينا بيان مناهجهم ونقد آرائهم، ومن الذين ساروا على خطى النهج الاستشراقي هو سيد القمني، ومن هنا كان اختيارنا لموضوع الرسالة الموسوم **(النزعة الاستشراقية في قراءة القمني للفكر الإسلامي)**، إذ تناولت هذه الدراسة العلمية الأكاديمية تحليل النزعة الاستشراقية في قراءة سيد القمني للفكر الإسلامي، من خلال التركيز على كيفية تأثير هذه النزعة على تفسيراته للقرآن الكريم وأحداث السيرة النبوية والعقل، والتفكير، والقيم الأخلاقية، كما تقدم الدراسة نقدًا وافياً للمناهج التي تأثر بها القمني والتي خالف فيها المناهج الإسلامية، مما يساعد على فهم طريقة تأثره بالأفكار الاستشراقية في مؤلفاته، وبناءً على ذلك تم تقسيم الرسالة إلى ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول: لتعريف القارئ بمفردات الرسالة الرئيسية كالاستشراق والفكر الإسلامي، بينما جاء الفصل الثاني: ليبين كيفية تأثر سيد القمني بالنزعة الاستشراقية في قراءته للقرآن الكريم، والتشكيك في تأريخه، وكيفية تأثير هذه النزعة على منهجه في دراسة أحداث السيرة النبوية، وانتهاجه في ذلك مناهج المستشرقين كالمنهج التشكيكي، ومنهج الأثر والتأثير، والمنهج الاسقاطي، وأما ما يخص الفصل الثالث: فقد جاء ليوضح أثر النزعة الاستشراقية على نظرة سيد القمني لمفاهيم العقل والتفكير، ومناقشة أفكار القمني حول الاجتهاد ومصادره، وقراءة تفسيراته للقيم الأخلاقية الدينية والمسائل التي تخص المرأة مثل الحجاب والنقاب والميراث، وبيان كيفية تقديمه لمعنى الحرية والديمقراطية والعلمانية، ومن ثم ألحقت هذه الفصول بالخاتمة والتي تحتوي على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، ومن ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع التي حوتها هذه الرسالة.

الكلمات المفتاحية: النزعة، الاستشراق، القمني، الفكر الإسلامي.

هذا وصلَ الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

قائمة المحتويات

ت	الموضوع	الصفحة
١	العنوان	أ
٢	الآية	ب
٣	إقرار المشرف	ج
٤	الإهداء	د
٥	الشكر والعرفان	هـ
٦	ملخص الرسالة	و – ز
٧	المحتويات	ح – ط
٨	المقدمة	١-٩
	الفصل الأول الإطار المفاهيمي للعنوان	١٠-٤٤
٩	المبحث الأول: مفهوم الاستشراق	١٢-٢٧
١٠	المطلب الأول: النزعة الاستشراقية والاستشراق	١٢-١٤
١١	المطلب الثاني: أبرز مناهج المستشرقين	١٥-٢١
١٢	المطلب الثالث: أهداف الاستشراق والمستشرقين	٢٢-٢٧
١٣	المبحث الثاني: تعريف بالسيد القمني	٢٨-٣٣
١٤	المطلب الأول: التعريف بسيد القمني	٢٨
١٥	المطلب الثاني: منهجه ودراسته	٢٩-٣٠
١٦	المطلب الثالث: مؤلفاته	٣١-٣٣
١٧	المبحث الثالث: مفهوم الفكر الإسلامي	٣٤-٤٤
١٨	المطلب الأول: تعريف الفكر الإسلامي لغة واصطلاحاً	٣٤-٣٥
١٩	المطلب الثاني: مصادر الفكر الإسلامي	٣٦-٤٢
٢٠	المطلب الثالث: حجية الفكر الإسلامي	٤٣-٤٤

	الفصل الثاني: أثر النزعة الاستشراقية في تعامل القمني مع القرآن الكريم وبعض أحداث السيرة النبوية	٤٥-٩٩
٢١	المبحث الأول: النزعة الاستشراقية في نظرة القمني للقرآن الكريم	٤٥-٦٠
٢٢	المطلب الأول: المنهج التشكيكي في تأريخ القرآن الكريم	٤٥-٥٢
٢٣	المطلب الثاني: منهج الأثر والتأثر في القرآن الكريم	٥٣-٦٠
٢٤	المبحث الثاني: المنهج التشكيكي في قراءته لأحداث السيرة النبوية	٦١-٧٧
٢٥	المطلب الأول: النموذج المكي	٦١-٧٠
٢٦	المطلب الثاني: النموذج المدني	٧١-٧٦
٢٧	المبحث الثالث: منهج الأثر والتأثر في قراءته لأحداث السيرة النبوية	٧٨-٨٩
٢٨	المطلب الأول: النموذج المكي	٧٨-٨٣
٢٩	المطلب الثاني: النموذج المدني	٨٤-٨٩
٣٠	المبحث الرابع: المنهج الإسقاطي في قراءته لأحداث السيرة النبوية	٩٠-٩٩
٣١	المطلب الأول: النموذج المكي	٩٠-٩٤
٣٢	المطلب الثاني: النموذج المدني	٩٥-٩٩
	الفصل الثالث: النزعة الاستشراقية للقمني في تعامله مع القضايا المعاصرة والرد عليها	١٠٠-١٧٧
٣٣	المبحث الأول: أثر النزعة الاستشراقية حول العقل	١٠٢-١٢٤
٣٤	المطلب الأول: مفهوم العقل والتفكير والعلاقة بينهما	١٠٢-١٠٨
٣٥	المطلب الثاني: النزعة الاستشراقية حول العقل	١٠٩-١١٦

٣٦	المطلب الثالث: الاجتهاد وموارده	١١٧-١٢٤
٣٧	المبحث الثاني: النزعة الاستشراقية للقمني في قراءته للقيم الأخلاقية	١٢٥-١٥٣
٣٨	المطلب الأول: نظرة القمني للقيم الأخلاقية	١٢٥-١٢٧
٣٩	المطلب الثاني: القيم الدينية والقيم الوضعية	١٢٨-١٣٢
٤٢	المطلب الثالث: موقف القمني من الرق	١٣٣-١٣٧
٤٠	المطلب الرابع: موقف القمني من المرأة ومكانتها الاجتماعية	١٣٨-١٤٦
٤١	المطلب الخامس: موقف القمني من الحجاب والنقاب	١٤٧-١٥٣
٤٢	المبحث الثالث : النزعة الاستشراقية للقمني في تعامله مع الاتجاهات الفكرية المعاصرة	١٥٤-١٧٧
٤٣	المطلب الأول: الحرية والحريات	١٥٤-١٦٠
٤٤	المطلب الثاني: الديمقراطية	١٦١-١٦٩
٤٥	المطلب الثالث: العلمانية	١٧٠-١٧٧
٤٦	الخاتمة	١٧٨-١٨٠
٤٧	المصادر والمراجع	١٨١-٢٠٤

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

وبعد:

فإن دراسات الفكر الإسلامي من الدراسات البحثية الغنية في مجالاتها المتعددة والتي تعكس حجم التفاعلات بين الإسلام والقضايا التي يُعالجها؛ وذلك لأن الإسلام هو دين للحياة، كما أن دراسات الفكر الإسلامي قد أظهرت كثيراً من المفكرين بتوجهات مختلفة، شملت الإسلامية وغير الإسلامية، وهذا ما جعل كثيرٌ من المفكرين يثيرون الجدل في قراءتهم لبعض قضايا الفكر الإسلامي، ويظهر ذلك من خلال تبني أفكار معادية للإسلام ونقد بعض تعاليمه، ومن بين هؤلاء المفكرين المعاصرين الذين أثاروا جدلاً واسعاً في الساحة الفكرية، المفكر المصري سيد القمني والذي يعتبر أحد الشخصيات البارزة التي قدمت رؤى جديدة لبعض القضايا الفكرية، والتي كانت النزعة الاستشراقية فيها هي الغالبة، كما أن أفكار سيد القمني في مؤلفاته قد أخذت صدى في الأوساط الأكاديمية والفكرية في العالم العربي، إلا أن الدراسات التي تناولت أعمال القمني لم تتناول تحليل أفكاره من الزاوية الاستشراقية، بل اكتفت بعرض بعض أقواله والرد عليها، ومن أجل هذا فقد وقع اختيارنا على دراسة هذه الشخصية من زاوية مختلفة فتم اختيار عنوان الرسالة: **(النزعة الاستشراقية في قراءة القمني للفكر الإسلامي)**.

أولاً: أهمية الموضوع.

تبرز أهمية الموضوع في ما يأتي.

أ- إظهار مسألة "النزعة الاستشراقية" في مؤلفات القمني باعتبارها أحد أهم الموضوعات التي تحتاج إلى مزيد من التحليل والدراسة، فالاستشراق هو مصطلح يشير إلى الدراسات التي قام بها المفكرون الغربيون حول الشرق، والتي غالباً ما تميزت بكونها تحمل صفة عدائية ومنطلقات ثقافية ونقدية ما تعكس تصورات الغرب ومواقفه في كتاباتهم ومؤلفاتهم حول الإسلام.

ب- إن تحليل نزعة القمني الاستشراقية يوضح كيفية تأثره بالنظريات الغربية والتي اتضح أثرها في فهمه وتفسيره للفكر الإسلامي، وكل ذلك واضح في كتاباته وآراءه.

ج- استعراض طبيعة تلك النزعة وأثرها على قراءاته للفكر الإسلامي، من خلال تناول المنهجيات التي اعتمدها القمني في تحليله للأفكار الإسلامية.

د- استكشاف الأسس التي قامت عليها آرائه، فضلاً عن تحليل كيفية تعاطيه مع التراث الإسلامي في ضوء معايير الاستشراق، وهذا ما يعتبر إشكالية يسعى البحث إلى حلها.

ثانياً: أسباب اختيار العنوان.

لقد تم اختيار عنوان رسالة الماجستير "النزعة الاستشراقية في قراءة القمني للفكر الإسلامي" بناءً على مجموعة من الأسباب والتي تُمثل الركائز الأساسية للموضوع. ومن أهمها.

أ- عدم وجود دراسة كافية لأفكار سيد القمني والذي هو أحد المفكرين المعاصرين الذين أثاروا جدلاً في النقاشات الفكرية حول الإسلام، من خلال تقديم قراءة نقدية للتاريخ الإسلامي والتراث الديني، والذي لم تقتصر أفكاره على تقديم تفسير جديد للأفكار الإسلامية، بل أثارت جدلاً واسعاً بين المؤيدين والمعارضين، فدراسة قراءاته وفهمه للتاريخ الإسلامي تكشف الكثير عن كيفية تعاملهُ مع التراث الديني في سياق التحولات الفكرية المعاصرة.

ب- يعكس هذا العنوان اهتماماً عميقاً في دراسة ظاهرة معقدة وهي ظاهرة التأثر بأفكار المستشرقين، إذ تتداخل فيها العوامل الثقافية والفكرية، والتي قد تؤثر في فهم الفكر الإسلامي المعاصر من قبل الكثير من المفكرين.

ج- يساعد تحليل النزعة الاستشراقية في أعمال القمني على معرفة كيفية تداخل التصورات الغربية مع النظريات الفكرية التي يعرضها، مما يوفر لنا كيفية تأثير الخلفيات الثقافية المختلفة على أفكار القمني حول الإسلام.

د- فتح آفاق جديدة لدراسات مستقبلية حول العلاقة بين الفكر الإسلامي والاستشراق، ومدى تأثر أحدهما بالآخر.

هـ- الاطلاع على الأفكار الغربية المتمثلة بدراسات المستشرقين، والمؤسسات الداعمة لنشر الأفكار الاستشراقية، وهذا ما يؤدي إلى تكوين فكرة واضحة عن نظرة الغرب للإسلام، وبيان حجم المؤامرة حوله والتحذير من خطره.

ثالثاً: أهداف الدراسة.

أ- بيان علاقة القمني بالدراسات الاستشراقية التي تناولت الإسلام بشكل عام.

ب- إبراز النزعة الاستشراقية في مؤلفات سيد القمني والتي كان لها الأثر على نمط طرحه للأفكار الاستشراقية التي تبناها.

ج- بيان تأثر القمني بالمفكرين المناوئين للإسلام ممن اتصلوا بالمستشرقين بشكل مباشر أو تأثروا بأفكارهم.

د- الرد على القضايا التي أثارها والتي طعن فيها بالإسلام.

رابعاً: إشكالية الدراسة.

تكمن إشكالية الدراسة في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

أ- ما المجالات والمسائل التي تناولها القمني في مؤلفاته؟ التي تعد ذات علاقة بالنزعة الاستشراقية.

ب- ما الدوافع الكامنة وراء تأثر القمني بالفكر الإستشراقي؟.

ج- ما الأليات العلمية والمعرفية اللازمة في الرد على الطعون التي أثارها القمني أو التي أثارها غيره من المستشرقين أو العلمانيين أو المنظمات الداعمة للأفكار الاستشراقية؟.

خامساً: الدراسات السابقة.

لست أزعم أن هذه الدراسة هي الوحيدة التي تناولت شخصية سيد القمني، فالدراسات في هذا الجانب كثيرة ومتجددة، لكنني لم أجدها تطرح الموضوع بشمولية ولم تتناول الموضوعات التي تناولتها هذه الرسالة بهذا التفصيل، فالدراسات السابقة التي تناولت أفكار سيد القمني قليلة نسبياً؛ مقتصرة على الرد على الشبهات التي أثارها كما إنها لم توضح منهجية سيد القمني في دراسة المفاهيم الإسلامية، وهذه الدراسات هي.

أ- **الآيات البينات لما في أساطير القمني من الضلال والخرافات:** تأليف الدكتور عمر عبدالله كامل، والذي صدر عن مكتبة التراث الإسلامي في مصر، بطبعته الأولى عام ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ويعد هذا الكتاب من المؤلفات القيمة التي قدمت نقداً واعياً لما جاء به القمني من شبهات، غير أنه يختلف عن رسالتي في طريقة عرض أقوال القمني فهو يدرس كل كتاب من خلال ما فيه من شبهات، كما أنه لم يذكر مرجع ما جاء به القمني بشكل مفصل، فضلاً عن أنه لم يتطرق للتيارات الفكرية المعاصرة التي تأثر بها القمني.

ب- التنوير بالتزوير(مساهمة في نقد عملية الخطاب العلماني): تأليف: منصور أبو شافعي، وقد صدر هذا الكتاب عن مكتبة النافذة في مصر من خلال الطبعة الأولى في عام ٢٠٠٨م، إذ قدم الكاتب نقداً لخطاب مجموعة من العلمانيين ومن ضمنهم كان سيد القمني، وقد ناقش الكاتب بأسلوب علمي النظرة العلمانية لسيد القمني فيما يخص الإسلام والرؤية الإسلامية، ولم يتطرق الكاتب إلى الذين تأثر بهم القمني في أقواله، كما أنه لم يتناول أقوال القمني فيما يخص المرأة والحجاب والحرية والتيارات الفكرية المعاصرة والتي ركز عليها القمني في مؤلفاته.

ج- **العلمانيون ومركسة الإسلام:** وهذا الكتاب من تأليف منصور أبو شافعي أيضاً، وهو منشور من خلال مكتبة النافذة في مصر حيث صدرت منه الطبعة الأولى في عام ٢٠١٠م، فيعد هذا الكتاب المساهمة الثانية من الكاتب نفسه في الرد على شبهات سيد القمني، وهذه المرة أفرده لوحده وعرض عدداً من الشبهات التي تخص الإسلام والسيرة النبوية من مؤلفات القمني وقام بتفنيدها، ولم يتطرق لما تناولته من تأثر القمني بالعلمانيين والمستشرقين، كما أن هذا الكتاب لم يتناول حياة سيد القمني ولا حتى نظرته الحداثية، وقد اختص هذا الكتاب بعرض النظرة الماركسية لدى سيد القمني في تناوله للإسلام.

د- الرد المتأني على المدعو سيد القمني: وهو مساهمة بحثية للكاتب المصري إسماعيل مرسي، وهو منشور على شبكة الأنترنت، حيث ركز فيه الكاتب على أخطر الشبهات التي تكلم بها القمني والتي جمعها من خلال مراجعته لمؤلفات سيد القمني، ويعد هذا البحث أكثر شمولية في كشف شبهات القمني وأكثر دقة في الرد عليه، غير أنه لم يذكر الكاتب في هذا البحث بمن تأثر القمني في آرائه، أو حتى المنهجية التي سار عليها القمني في مؤلفاته.

وبناءً على ما تقدم يمكن القول أن دراستي تختلف عن الدارسات السابقة، من خلال المنهجية التي اتبعتها في تناولي لحياة سيد القمني، والتركيز على أرائه في القضايا المعاصرة، فضلاً عن بيان المناهج التي سلكها سيد القمني، والتي توضح مدى الترابط في الأفكار بينه وبين المستشرقين.

سادساً: منهجية الدراسة.

لقد اتبعت هذه الرسالة المنهج الاستقرائي والوصفي في جمع المادة العلمية من مضانها ثم المنهج الاستنباطي في استخراج ما يمكن استخراجه من نصوص مقتبسة في دراسة مقارنة تحليلية نقدية تتناول التأثيرات والتوجهات الفكرية التي ساهمت في بلورة أفكار سيد القمني، من أجل تقديم

فهم أعمق للكيفية التي تعامل معها القمني في مؤلفاته، ثم جاء المنهج التحليل ليقف عند تحليل فكر القمني ودراسة تأثير الخلفيات الثقافية والفكرية التي شكلت مساره الفكري، وعليه فإن طريقة عرض النزعة الاستشراقية في تناول القمني للقضايا الفكرية في هذه الدراسة جاءت وفقاً للخطوات التالية:

أ- البحث عن قول للمستشرقين يطابق هذا الرأي أو يشابهه بشكل كبير بحيث يمكن الجمع بينهما، مع العلم أن أقوال القمني قد لا تكون كثيرة في المسألة الواحدة ولذلك اقتصرت على ما هو موجود له من آراء.

ب- من ناحية الأقوال التي تأثر بها القمني فقد رأينا أن لا تقتصر على أقوال المستشرقين فقط فجمعنا مع أقوال المستشرقين أقوال مفكرين علمانيين كان لهم تأثر واضح بالأفكار الغربية، وآراء منظمات عالمية داعمة لنفس الأفكار الاستشراقية ولها نفس الأهداف، فجمعت هذه الآراء مع أقوال القمني ونقدتها بطريقة معقولة من غير إطالة.

ج- كما أن المنهجية في هذه الرسالة قائمة على عدم التعريف بالكتب السماوية، وعدم ترجمة أسماء الأنبياء عليهم السلام، والديانات السماوية الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام والسنة النبوية وأسماء الصحابة ﷺ، والبلدان.

د- وفيما يخص المادة فقد تم اختيار الموضوعات بعد الاطلاع على مؤلفات القمني واختيار أهم الموضوعات المطروحة في كتبه.

هـ- كما إن تناول الأحاديث النبوية قد جعلته بين أقواس بعد علامات التنصيص بهذا الشكل ["(...)"]، فهذه هي المنهجية المعتمدة في كتابة البحوث العلمية.

و- وفي ما يخص ترتيب المادة فقد جاءت المباحث والمطالب غير متداخلة بحيث يبدأ كل مبحث أو مطلب بصفحة جديدة.

سابعاً: الصعوبات.

من أهم الصعوبات التي واجهتها هذه الدراسة هو قلة المعلومات المتوفرة عن سيد القمني، إذ بدأت بالتعريف بالقمني من خلال تناول نبذة مختصرة عنه من عدة جوانب، حيث أن مادة التعريف به هي مادة قليلة نوعاً ما وهذا يُعد من الصعوبات التي واجهت الباحث؛ لعدم توفر مصادر تتكلم عنه بشكل كافٍ، كما أن كل المحاولات للاتصال بعائلته قد باءت بالفشل لعدم ردهم عليها، فاضطررنا لتناول ما هو متوفر من معلومات، وبحسب توزيع الخطة.

ثامناً: حدود الدراسة.

أ- فقد تناولت الدراسة ما أثاره القمني من قضايا في الفكر الإسلامي، والتي تتميز بكونها ذات نزعة استشراقية، وما يؤيده من أقوال المستشرقين.

ب- تناولت الدراسة القضايا التي تأثر بها القمني والتي أخذها ممن تأثر بالفكر الاستشراقي من المناوئين للإسلام، وهذا يعني أن النزعة الاستشراقية قد تكون من المستشرقين أنفسهم أو من بعض العلمانيين المناوئين للفكر الإسلامي.

ج- قد تكون فكرة القمني عبارة عن إشارة يشيرها أو تصريح يصرح به، ومن هذين الخطين جاء تحليلنا وتفنيدنا وردنا على ما يقوله ويتبناه ويتزعمه.

تاسعاً: خطة البحث.

اقتضت خطة البحث أن تقسم الرسالة إلى ثلاثة فصول ، وقد تم تقسيم الفصول على ضوء المادة المتوفرة، فكانت كالتالي: بعد المقدمة والتي كانت تقديماً موجزاً للرسالة فكان الفصل الأول: عبارة عن تعريفات بالعنوان من حيث النزعة الاستشراقية والتعريف بالقمني وبيان مفهوم الفكر الإسلامي، وأما الفصل الثاني: فهو مخصص لبيان النزعة الاستشراقية لدى القمني في نظرته للقرآن الكريم والسنة النبوية من خلال تطبيق أهم المناهج التي سار عليها المستشرقون، وأما الفصل الثالث: فقد خصصناه لتناول القضايا المعاصرة التي أثار القمني حولها الشبهات من خلال بيان النزعة الاستشراقية لديه حول العقل، كما وتناول هذا الفصل نظرة القمني للقيم الأخلاقية، وأيضاً أراءه في بعض التيارات الفكرية المعاصرة، ، وقد جاءت الخطة على النحو التالي.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للعنوان.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق والنزعة الاستشراقية.

المطلب الثاني: أبرز مناهج المستشرقين.

المطلب الثالث: أهداف الاستشراق والمستشرقين.

المبحث الثاني: تعريف بسيد القمني.

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: منهجه ودراسته.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المبحث الثالث: مفهوم الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: تعريف الفكر الاسلامي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مصادر الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: حجية الفكر الإسلامي.

الفصل الثاني: أثر النزعة الاستشراقية في تعامل القمني مع القرآن الكريم وبعض أحداث السيرة النبوية.

المبحث الأول: النزعة الاستشراقية في نظرة القمني للقرآن الكريم.

المطلب الأول: التشكيك في تأريخ القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأثر والتأثر في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: المنهج التشكيكي في قراءته لأحداث السيرة

المطلب الأول: النموذج المكي.

المطلب الثاني: النموذج المدني.

المبحث الثالث: منهج الأثر والتأثير في قراءته لأحداث السيرة.

المطلب الأول: النموذج المكي.

المطلب الثاني: النموذج المدني.

المبحث الرابع: المنهج الاسقاطي في قراءته لأحداث السيرة.

المطلب الأول: النموذج المكي.

المطلب الثاني: النموذج المدني.

الفصل الثالث: النزعة الاستشراقية للقمني في تعامله مع القضايا المعاصرة والرد عليها.

المبحث الأول: أثر النزعة الاستشراقية حول العقل.

المطلب الأول: مفهوم العقل والتفكير والعلاقة بينهما.

المطلب الثاني: النزعة الاستشراقية حول العقل.

المطلب الثالث: الاجتهاد وموارده.

المبحث الثاني: النزعة الاستشراقية للقمني في قراءته للقيم الاخلاقية.

المطلب الأول: نظرة القمني إلى القيم الأخلاقية.

المطلب الثاني: القيم الدينية والقيم الوضعية.

المطلب الثالث: موقف القمني من الرق.

المطلب الرابع: موقف القمني من المرأة ومكانتها الاجتماعية.

المطلب الخامس: موقف القمني من الحجاب والنقاب.

المبحث الثالث: النزعة الاستشراقية للقمني في تعامله مع الاتجاهات الفكرية المعاصرة.

المطلب الأول: الحرية والحريات.

المطلب الثاني: الديمقراطية.

المطلب الثالث: العلمانية.

فهذا التقسيم عبارة عن الشكل النهائي الذي ظهرت به الرسالة، وقد جاء بعد هذا التقسيم بخاتمة للرسالة بينا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، ومن ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في الرسالة.

وفي الختام: إن جهدي هذا هو جهد بشري يعتريه الخطأ والنسيان، فلكم مني جزيل الشكر والامتنان لتصحيح الخطأ أينما وقع، والإشارة إلى الخلل في أي موضع، سائلاً الله ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا، أنه سميع عليم، اللهم اختم بالصالحات أعمالنا، هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي للعنوان.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

المطلب الأول: النزعة الاستشراقية والاستشراق.

المطلب الثاني: أبرز مناهج المستشرقين.

المطلب الثالث: أهداف الاستشراق والمستشرقين.

المبحث الثاني: تعريف بسيد القمني وسيرته الشخصية والعلمية.

المطلب الأول: التعريف بسيد القمني.

المطلب الثاني: منهجه وسيرته العلمية.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المبحث الثالث: مفهوم الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: تعريف الفكر الإسلامي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مصادر الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: حجية الفكر الإسلامي.

الفصل الأول: الإطار المفاهمي للعنوان .

فمن متطلبات هذه الدراسة أن نتكلم عن الإطار المفاهمي للعنوان؛ وذلك لتكوين فكرة واسعة عن مفردات العنوان، ولأجل ذلك فقد جاء هذا الفصل مقسماً على ثلاثة مباحث يتكون كل مبحث من ثلاثة مطالب، أما المبحث الأول: فقد تناولت فيه مفهوم الاستشراق، وأما المبحث الثاني: فقد عرفت بسيد القمني في ثلاثة مطالب أيضاً، وأما المبحث الثالث: فقد جاء عن مفهوم الفكر الإسلامي وتحته ثلاثة مطالب أيضاً، ومن خلال هذا التقسيم أكون قد عرفت بمفردات العنوان لكي يتسنى لنا الدخول في دراسة بقية الفصول بمعرفة مسبقة عما سوف نتناوله فيها.

المبحث الأول : مفهوم الاستشراق

لبيان حقيقة الاستشراق لابد لنا من التعريف به مع ذكر نبذه موجزة عن نشأته، وأبرز مناهج المستشرقين في تناولهم للدراسات الإسلامية، وأهم دوافعهم واهدافهم.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق والنزعة الاستشراقية.

أولاً: نبذة موجزة عن نشأة الاستشراق.

لم يعرف بالتحديد من هم الغربيون الأوائل الذين بدأوا في الدراسات الاستشراقية؟ ولا متى؟ ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين سافروا إلى الأندلس خلال حكم المسلمين لها، وتثقفوا في مدارسها، ودرسوا على يد علماء المسلمين في مختلف المجالات وقاموا بترجمة القرآن الكريم والكتب التي تحمل العلوم العربية ولاسيما الفلسفة والطب والرياضيات إلى لغاتهم، وعند عودتهم إلى بلادهم، نشر هؤلاء الرهبان الثقافة العربية وكتابات أشهر العلماء العرب، وتم فيما بعد إنشاء مؤسسات للدراسات العربية في بلاد الغرب، وبدأت المدارس الغربية بدراسة العلوم العربية[١].

ثم تطورت هذه الدراسات فشملت ترجمة العلوم العربية إلى اللغة الأوربية، فاستمرت الجامعات الغربية في الاعتماد على كتب العرب وبدت وكأنها المرجع الأصلي في الدراسة لمدة ستة قرون تقريباً، ومنذ ذلك الوقت، استمر وجود الأشخاص الذين درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن الكريم وبعض الكتب العلمية والأدبية العربية، حتى القرن الثامن عشر– وهي الفترة التي بدأ فيه الغرب استعمار العالم الإسلامي وبعد الاستيلاء على ممتلكاته، أهتم بعض علماء الغرب بالاستشراق، فوزعوا المجلات في جميع الممالك الغربية وبحثوا عن المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، وقاموا بشرائها أو سرقتها من أصحابها الجهلاء، وتم نقل هذه المخطوطات النادرة إلى المكتبات في أوروبا، إذ وصلت إلى ربع مليون مجلد في بداية القرن التاسع عشر، واستمر ذلك حتى اليوم، وهذا العدد آخذ في الازدياد، ففي الربع الأخير من القرن التاسع عشر،

---

[١]- ينظر: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم: د. مصطفى السباعي ، دار الوراق للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص:١٧إلى١٩. وينظر: الاستشراق والتبشير: أ. د. محمد السيد الجليند ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة د.ط ، ص:١٣-١٥.

حيث انعقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م، ومنذ ذلك الحين، تعاقبت المؤتمرات التي اهتمت بدراسة الشرق والأديان والحضارات الشرقية، ولا تزال تعقد حتى اليوم[١].

ثانياً: تعريف الاستشراق.

إن الكلام عن الاستشراق لابد أن يكون مسبوقاً بشيء من التوضيح؛ كون الاستشراق قد تم تعريفه بتعريفات كثيرة ومتنوعة.

أ- **لغة** : مأخوذ من "(شَرَقَ) الشين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءة وفتح، من ذلك شرقتِ الشمس، إذا طلعت، وأشرَقَت، إذا أضاءت، والشُروق: طلوعها"[٢].

ويقال أيضاً على المكان، (شَرق) وهو مكان طلوع الشمس، والتَشريق بمعنى الأخذ في ناحية المَشرِق، يقال: شتان بين مُشَرق ومُغَرب[٣].

ب: اصطلاحاً: وردت مجموعة من التعريفات للاستشراق؛ لكون تعريفه متغيراً تبعاً لتغير مناهج المستشرقين في دراسة علوم الشرق[٤].

وسوف نتناول نماذج من هذه التعاريف نذكر منها.

١- هو دراسة يقوم بها غير الشرقيين لتراث الشرق، أو هو يعني الدراسات الغربية التي تتعلق بالشرق الإسلامي بكل ما يتعلق بلغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته ودراسة حضارته بشكل عام[٥].

٢- الاستشراق يعني "الدراسات الغربية التي تخص بلاد الشرق من ناحية اللغة والأدب والتاريخ والأديان والحضارة بشكل عام"[٦].

---

[١]- ينظر: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم: د. مصطفى السباعي ، ص:١٧إلى١٩. وينظر: الاستشراق والتبشير: أ. د. محمد السيد الجليند ، ص:١٣-١٥.

[٢]- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ت: ٣٩٥هـ ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ٣ /٢٦٤، (مادة شرق).

[٣]- ينظر: مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي سنة الولادة /٠ سنة الوفاة ٧٢١ تح: محمود خاطر، الناشر مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، د.ط، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م ، ١٦٤/١ (مادة شرق).

[٤]- ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق ، دار المنار القاهرة، ط:٢، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م، ص:٢٤ .

[٥]- ينظر: المستشرقون والسنة : د. سعد المرصفي ، مؤسسة الريان ، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ص:٩.

[٦]- الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية : أ . د . سعدون الساموك ، دار المناهج للنشر والتوزيع الاردن ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ط:١، ص:١٣.

٣- وفي تعريف آخر الاستشراق هو اشتغال علماء الغرب غير المسلمين بعلوم المسلمين في الشرق من غير الوقوف على وجهة المستشرق وانتماءه الجغرافي أو الديني أو الثقافي أو الفكري[١].

وهناك تعاريف أخرى لم نتناولها خوفاً من الإطالة، ولكن كلها تصب في الموضوع ذاته، فالذي يتأمل في التعريفات السالفة يجد أنها متقاربة المعنى والدلالة ويكمل بعضها البعض مع وجود زيادات أو اختلاف في الألفاظ والعبارات، وهي بمجموعها تبين اهتمام الغرب بالشرق والتطلع الدائم لمعرفة المزيد من التفاصيل التي تخص لغاته وآدابه وديانته مع ما فيه من تأريخ وحضارة، بغض النظر عن توجه المستشرقين الديني أو الفكر أو الثقافي.

ثالثاً: تعريف النزعة.

يعرف مصطلح النزعة بأنه: "مفرد من نَزَعات ونَزْعات، وتعني ميْلٌ، واتِّجاهٌ فِطريّ أو نفسيّ إلى شيء"[٢]. وعلى هذا فيكون معنى النزعة الاستشراقية هو الميل إلى دراسة الموضوعات أو الحكم عليها على وفق تفسيرات المستشرقين وآرائهم.

○○○○○○○

[١]- ينظر: الاستشراق والدراسات الاسلامية : علي بن ابراهيم الحمد النملة ، مكتبة التوبة ، الرياض – السعودية، ط:١، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م، ص:١٢٤.

[٢]- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط:١/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٢١٩٤/٣، (مادة نون).

المطلب الثاني: أبرز مناهج المستشرقين.

لقد كان للمستشرقين مناهج متعددة ينطلقون من خلالها لدراسة علوم الشرق، غير أن هذه المناهج مختلفة تبعاً لاختلاف العلوم التي يدرسونها، فكان لدراستهم للقران الكريم والدراسات الإسلامية وعلوم اللغة مناهج متعددة، وعلى الرغم من تعدد المناهج غير أنه من الممكن أن نجد بعض الشبه بينها؛ وذلك لأنها مخصصة لدراسة منطقة جغرافية محددة وهي الشرق، غير أن الذي يهمنا هو أبرز المناهج التي استخدمها المستشرقون في الدراسات الإسلامية، وتكمن الغاية من ذكر أبرز مناهج المستشرقين في هذه الدراسة؛ لبيان العلاقة بين المناهج التي استخدمها القمني ومناهج المستشرقين، ليتسنى لنا الربط في ما بين القضايا التي أثارها القمني في مؤلفاته والقضايا التي أثارها بعض المستشرقين، أو بعض المناوئين للفكر الإسلامي من العلمانيين؛ لأن القمني متأثر أيضاً بتوجهات بعض المفكرين ممن يحملون النزعة الاستشراقية وهذا ما ذكرناه في حدود الدراسة في المقدمة.

أولاً: المنهج التشكيكي.

يعد التشكيك من المناهج التي سار عليها المستشرقون الذين يحاولون من خلاله الطعن في أصول هذا الدين، لذا لابد من التعريف به، وقبل ذلك لابد من بيان المنهج لغة واصطلاحاً.

أ- المنهج.

١- لغة: مأخوذ من الفعل، "(نَهَجَ) طريقٌ نَهْجٌ بَيِّنٌ واضِحٌ، والمِنهاجُ الطريقُ الواضِحُ واسْتَنْهَجَ الطريقُ صار نَهْجاً"[١].

٢- اصطلاحاً: "هو طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة"[٢]. وعرف أيضاً بأنه: "طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم"[٣].

ب- الشك

١- في اللغة: من "شَكَ يَشُكُ شَكا، والشَك ضد اليقين"[٤].

---

[١]- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (٦٣٠ - ٧١١ هـ) تح، عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة د.ط، د.ت/ ٤٥٥٤/٦، (مادة نهج).

[٢]- منهج البحث الأدبي: علي جواد الطاهر ، مطبعة العاني- بغداد، د.ط، ١٩٧٠م، ص:١٣.

[٣] - مناهج البحث العلمي: عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات – الكويت ، ط:١٩٧٧/٣م ، ص:٤.

[٤]- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) تح: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط:١: ١٩٨٧م ، ١٣٩/١، (حرف الشين وما بعده).

٢- اصطلاحاً: "هو التردد بين نقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك"[١].

ج- أهم ما يقوم عليه هذا المنهج: هو التشكيك في كل ما هو قطعي، من الوقائع والعلوم الثابتة التي تخص الإسلام متمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فقد اتجه المستشرقون المعاصرون مع من سبقهم إلى اتباع منهج الشك والمبالغة فيه، وذلك من خلال إثارة الشكوك حول القرآن الكريم وعلومه، والسيرة والسنة النبوية وبيان عدم ثقتهم بالنص القرآني وصحته، وتشكيكهم بالسنة النبوية وطعنهم بالسيرة وهذا ما أدى إلى تنوع محاور شكهم، فنذكر منها.

١- التشكيك في نبوة الرسولﷺ، إذ قالوا: إن هذا الكم الكبير من التشريعات لا يمكن أن تصدر من عقل واحد، وهذا ما حملهم على القول بأن الصحابة دسوا الكثير من الأحاديث من تأليفهم، متجاهلين بذلك كل جهود علماء الإسلام بتنقية الحديث النبوي، والمنهج الشديد الذي اتبعوه في قبول الأحاديث.

٢- إثارة الشكوك حول القرآن الكريم بأنه ليس وحياً من عند الله، من خلال نقل كل ما يؤيد نظريتهم القائمة على اعتبار بشرية القرآن الكريم، واضطراب آياته، والعبث بتدوينه، والتدخل البشري بالإضافة أو الحذف منه، وكل هذا يؤكد أن دراسات المستشرقين للقرآن الكريم تفتقر إلى الموضوعية والأمانة العلمية، وأن دراساتهم لا تهدف سوى إلى التشويه والتشكيك[٢].

٣- التشكيك في أمانة نقله وسلامة تبليغه إضافة إلى الشك في عملية جمعه وترتيبه، وهذا مصداقاً لما يدعونه من أن القرآن الكريم الذي جاء به نبي الإسلام قد حدث فيه تغيير وتعديل.

٤- إثارة الشكوك حول موضوع اختلاف المصاحف الموجودة في أيدي الصحابة، وأنهم قد جعلوا من هذا ألموضوع باباً يلجؤون من خلاله لاستهداف الإسلام من خلال تشكيك المسلمين في أصول عقيدتهم، وهذا ما دفعهم إلى طلب روايات الاختلاف ونقلها من غير تحرز أو رجوع إلى أراء علماء المسلمين فيها[٣].

٥- التشكيك في الفقه واللغة وغيرها من العلوم، من خلال نقد الأحكام الفقهية، والاختلافات اللغوية[٤].

---

[١]- الشكوك الدينية: جورج فورد ، المكتبة الأميركانية – بيروت، د.ط،١٩٢٨م ، ص:٣.
[٢]- الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية: أ. د. سعدون الساموك ، ص:٥٠.
[٣]- ينظر: آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية : حسن عزوزي، مطبعة انفو- المغرب، ص:١٥-١٦.
[٤]- ينظر: أجنحة المكر الثلاثة : عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط:٨ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص:١٤٠.

ثانيا: منهج الانتقاء.

ويعد من المناهج التي استخدمها المستشرقون في دراستهم للعلوم الإسلامية، والذي يمكن أن نعرف به.

أ- لغة: وهذه الكلمة تأتي من "انتَقى ينتقي، انْتَقِ، انتقاءً، فهو مُنتَقٍ، والمفعول منتقًى، ومنهُ، انتَقى أصدقاءَه: اصطفى، اختار"[١].

ب- اصطلاحاً: وهو المنهج الذي اتبعه المستشرقون في أخذ روايات معينة تتناسب مع أفكارهم وترك الروايات الأخرى التي تخالفها، مع عدم التوسع في البحث عن الروايات المختلفة[٢]، ومنهج الانتقاء يسير في محورين:

المحور الأول- انتقاء الموضوعات: من خلال تناول ما يرون أنهم يستطيعون توظيفها بحسب ما يريدون، ومن ذلك ما يوردونه عن بعض أحداث الهجرة، أو عن زواج النبيﷺ، من بعض زوجاته، كما وركزوا اهتمامهم على اختلافات الفرق والأقليات والبحث عن أخبار الصراعات والتاريخ السابق لبعثة الرسول ﷺ بهدف تشويش الحضارة الإسلامية.

المحور الثاني- انتقاء المصادر: ففي دراستهم للإسلام يلجئون إلى انتقاء مصادر معينة، والعجيب غالباً ما تكون من كتب الأدب، والتاريخ، والفرق المنحرفة عن المنهج الصحيح، ومن ذلك تعمد اختيار الأدلة الشاذة التي توافق أهوائهم، وفي المقابل ينفون أو يشككون في صحة الروايات الصحيحة والمعتبرة[٣].

وهذ يعني أن المنهج الاستشراقي في بحث الموضوعات التي ترتبط بالقرآن الكريم يتنوع بتنوعها من جهة، ولمدى موضوعية المستشرق وأمانته في استعمال المصادر من جهة أخرى، ولذلك يمكن القول أن المستشرقين في دراستهم للإسلام، قد اعتمدوا على عدد معين من المصادر، وهذا أمر واضح من خلال دراساتهم في هذا المجال، كما أن المستشرقين المعاصرين قد سلكوا المنهج ذاته من خلال اعتمادهم على نفس المصادر التي اعتمد عليها أسلافهم، بالرغم من وجود أعداد كبيرة من المؤلفات الإسلامية الصحيحة، والمتخصصة، والدقيقة، ولهذا فإن انتقاء المصادر هو طريق كل

---

[١]- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ٢٢٧٦/٣.

[٢]- ينظر: الأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري ، د. خالد كبير علال ، دار المحتسب ، ط:١/ ٢٠٠٨م ، ٥٥/٢.

[٣]- ينظر: دراسة علم الأديان- اهميتها ومناهج الباحثين فيها: عبدالمجيد بن محمد الوعلان: د.ط، د.ت ، ص:٤٧.

المستشرقين؛ لأنه يهدف إلى الإبقاء على نفس الشبهات المعروضة التي جاء بها المستشرقون الأوائل[١].

ثالثا: منهج الأثر والتأثر.

أ- **الأثر لغة:** هو "بقية الشيء والجمع آثار وأُثُور، وخرجت في إِثْرِه وفي أَثَره، أَي: بعده وأَتَتْرْتُه وتَأَثَّرْته تتبعت أَثره"[٢]، أما ما يخص الشطر الثاني وهي كلمة التأثر فهي " تأثَّر من يتأثَّر، تأثُّرًا، فهو مُتأثِّر، والمفعول مُتأثَّر، ويقال ، تأثَّر الشَّخصُ: ظهر عليه الأثر"[٣].

ب- اصطلاحاً: ويعرف هذا المنهج باعتباره مركباً بأنه يعني: "الأخذ بالنزعة التأثيرية وهي نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية"[٤].

وهذا واضح من كلام المستشرقين، عند اتهامهم النبيﷺ بالكذب في ما يخص ادعاءه النبوة فقالوا: أنها فكرة أخذها عن الديانات السابقة، حتى أن أصول هذا الدين قد نقلت عن اليهودية والنصرانية، ولم يتوقفوا عند هذا الحد، بل زادوا بأن التأثر كان بالديانة الهندية، والفارسية، والرومانية أيضاً، فيقولون: إن محمداً ﷺ أخذ من هذه الديانات أصول الدين الإسلامي وصاغها صياغة عربية بطريقته الخاصة وجعلها من الدين[٥].

ويدل هذا المنهج على أن غالبية المستشرقين لا يعترفون سوى باليهودية والنصرانية، وأن كل ما جاء به محمدﷺ، إنما هو مستمد من هاتين الديانتين، بل إن بعضهم تمادى أكثر حتى وصل به الحد إلى وصف الرسولﷺ ، على أنه قسٌ نصراني متمرد، أراد أن يظهر نفسه زعيماً لدين جديد، وأن هذا الاتجاه في تفكير المستشرقين يحاولون من خلاله إخضاع العالم الإسلامي لهم وليس العكس[٦].

كما ذهب المستشرقون في محاولة إثبات ادعائهم أن الإسلام متأثر بالديانات الأخرى إلى تأليف الكتب، والقيام بالبحوث من أجل هذا الغرض، غير أن كل مساعيهم بائت بالفشل، حتى وصل الأمر

---

[١]- ينظر: اليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية: د. حسن عزوزي ، ص:١٩-٢٠-٢١.
[٢]- لسان العرب: أبن منظور ، ٢٥/١ ، (مادة أثر).
[٣]- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ٦١/١.
[٤]- اليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية : د. حسن عزوزي : ص:٢٦.
[٥]- ينظر: اجنحة المكر الثلاثة: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، ص:١٤٢.
[٦]- ينظر: الاستشراق والدراسات الاسلامية: أ.د. عبدالقهار داود العاني ، دار الفرقان للنشر والتوزيع-الاردن ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ط:١/ ص:٥٨.

إلى أن يخطئ بعضهم بعضاً، وينتقد قسم منهم الآخرين[١]، فهذا المنهج هو قائم على أساس رد الدين الإسلامي إلى اليهودية والنصرانية، فالحقد قد أعمى أبصارهم وقلوبهم وحجر على عقولهم فلم يفهموا أن هذا التشابه إن حدث فهو من وحدة المصدر، وليس من قبيل التأثر كما يدعون.

رابعا: المنهج الافتراضي.

إن المنهج الافتراضي منهج متبعٌ من قبل المستشرقين كما هو حال باقي المناهج، ويمكن تعريف هذا المنهج لغة واصطلاحاً.

أ- لغة: هو من "افتَرَضَ يَفتَرِض، افتِراضاً، فهو مُفتَرِض، والمفعول مُفترَض، ويقال: افترض أمراً، اعتبره قائمًا أو مسلّمًا به، أخذ به في البرهنة على قضيّة أو حلّ مسألة"[٢].

ب- اصطلاحاً: هو: "طريق من طرق بيان عكوس القضايا، وهو فرض ذات الموضوع شيئا معينا وحمل وصفي الموضوع والمحمول عليه ليحصل مفهوم العكس"[٣]، والمنهج الافتراضي يقوم على أساس التخمين والفرضيات والمخيلات العقلية لدى المستشرقين، من أجل الوصول إلى ما يصبون إليه من طعن وتشكيك، وإن هذا المنهج مبني على تصديق ما هو أقرب للكذب، وتكذيب ما هو صدق أو أقرب للصدق[٤].

كما إن أبرز ما يمكن ذكره من ممارسة المستشرقين لهذا المنهج، هو في الحقل القرآني إذ كان استخدامهم لهذا المنهج مبالغا فيه، فنجد أن أغلب المستشرقين يخالفون المسلمين في مسألة ترتيب القرآن الكريم، من حيث إن المسلمين يعتقدون بترتيب السور أنه توقيفي لا خلاف فيه، بينما المستشرقون يحشرون أنفسهم في هذه الجزئية مفترضين ترتيباً عقلياً، يحكمه المنهج التاريخي من خلال دراسة أماكن وأسباب النزول[٥].

وبما أن هذا المنهج افتراضي فإن المستشرقين لا يعتمدون فيه على القضايا التي تخضع للعلم، بل إنهم يعملون به بحسب أهوائهم.

---

[١]- ينظر: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل : د. اسماعيل علي محمد ، دار الكلمة للنشر والتوزيع – القاهرة ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م ، ط:٦/ ص:١٤٣.

[٢]- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ١٩٩٣/٣.

[٣]- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ) ، تح: د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ط:١٩٩٦/١م ، ٢٣٥/١.

[٤]- ينظر: منهج المستشرقين في دراسة قضايا القرآن: صلاح بن سالم بن سعد باعثمان : حولية كلية اصول الدين والدعوة بالمنوفية ، العدد، السادس والثلاثين ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م ، ص:٥٩-٦٠.

[٥]- ينظر: اليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية: د. حسن عزوزي ، ص:٣٠-٣١.

خامسا: المنهج الإسقاطي.

أ- لغة: "الإسقاط: أَسقَطَه فَسَقَط، وأَسقَط الإنسان في كلامه: أي تكلم بالسَّقَط: وهو الخطأ"[١].

ب- اصطلاحاً: "ميل الشخص إلى أن يعزو إلى العالم الخارجي العمليات النفسية المكبوتة جهلاً منه بأنها خاصة به، أو تهرباً من الاعتراف بها أو تخفيضاً لما يشعر به من الإدانة الذاتية"[٢].

كما يعرف الإسقاط بأنه: عملية نفسية يحاولون من خلالها إنزال تصوراتهم ورغباتهم وعواطفهم على علوم الإسلام كافة، وبالتالي يكون الهدف هو التشويه والتزييف والدس وإثارة البلبلة وهذا هو منهج المستشرقين المعتاد[٣].

ج- ومن خلال التعريفين يتبين ما يلي.

١- إن الشعور بالدونية والنقص هو الدافع عند من يقوم بالإسقاط.

٢- يعد الإسقاط عملية دفاعية عن عيوب النقص في داخل من يقوم به[٤].

نفهم من ذلك: قيام أهل النزعة الاستشراقية من العلمانيين والمستغربين باستخدام هذا المنهج إنما هو نتيجة النقص والعيب الذي يشعرون به في أنفسهم أو في المنهج الذي يعتقدون به، لذا هم دائماً يتخذون عملية الدفاع عن طريق الإسقاط.

٣- إن من يقع عليه الإسقاط يكون في الغالب منزهاً عن ما يشار إليه من جراء الإسقاط[٥].

والمنهج الإسقاطي هو إسقاط الواقع والمسلمات الذهنية التي ينطلق منها المستشرقون على الحوادث والوقائع التاريخية، فيكون العمل بهذا المنهج من خلال التصور العقلي للمستشرق الذي يحاول من خلالها اخضاع الواقع إلى ما ترتضيه مخيلته وانطباعاته[٦].

فاذا أرادوا أن يدرسوا قضية من القضايا تكون عندهم النتيجة والحكم جاهزين قبل البدء بالدراسة، ومن خلال تتبع دراسات المستشرقين ودعاة التغريب والمتأثرين بالفكر الغربي يتبين لنا بوضوح سلوكهم للمنهج الإسقاطي؛ وهدفهم الأول الذي يصبون إليه هو قذف القرآن الكريم بالنقص والتحريف

---

[١]- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ) ، تح: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) ، ط:١/ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ٣١٢٧/٥.

[٢]- المعجم الفلسفي: مراد وهبة ، دار قباء الحديثة – القاهرة، د.ط، ٢٠٠٧م ، ص:٦١.

[٣]- ينظر: الاسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: د. شوقي ابو خليل ، دار الفكر المعاصر: بيروت- لبنان، ط:١/ د.ت، ص:١٥.

[٤]- ينظر: منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين: محمد عامر عبدالحميد ، بحث منشور من خلال موقع مكتبة نور الإلكتروني على شبكة الانترنت: https://www.noor-book.com/ ، ص:٦.

[٥]- ينظر: المصدر نفسه، ص:٦.

[٦]- ينظر: اليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية : د. حسن عزوزي ، ص:٣٧:-٣٨

وبشتى التهم الجاهزة عندهم، والدلائل على استخدامهم هذا المنهج كثيرة، كلها تشير بوضوح إلى سلوكهم درب المغالطة في دراسة الإسلام وعلومه، ومثال لإسقاطهم على الإسلام اعتبارهم أن سبب القتل والإرهاب هو نتيجة للفتاوى الإسلامية، من غير النظر إلى السبب الحقيقي لهذه الأحداث[١].

سادسا: منهج النفي.

أ- لغة: "النون والفاء والحرف المعتل أصيل يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه، ونَفَيتُ الشيء أَنفِيهِ نَفياً، وانتَفى هو آنتِفاء"[٢].

ب- اصطلاحاً: "بالفتح وسكون الفاء عند أهل العربية من أقسام الخبر مقابل الإثبات والإيجاب"[٣].

يعد منهج النفي علامة بارزة في مناهج المستشرقين، والذي تناولوا فيه القرآن الكريم وعلومه، إذ إن أبحاثهم تركزت على نفي كل الروايات القرآنية الصحيحة، ولأي سبب كان، فالغاية هي النفي، كما لم تقتصر أبحاثهم على نفي الروايات الصحيحة فحسب؛ بل إنهم خرجوا عن أساسيات البحث العلمي الذي يصرون على التزامه في أي بحث كان، فنجدهم يتمسكون بروايات شاذة أو مكذوبة وينقلونها من دون أي تحرز، حتى وإن علموا بضعفها أو عدم صحتها، وذلك لأجل هدف أو غاية في نفوسهم، كما في نفيهم الكثير من الأحداث والوقائع من السيرة النبوية بحجة عدم ورودها في القرآن الكريم، وكأن القرآن الكريم هو كتاب تاريخي يسرد حياة الرسول ﷺ، وهكذا يمكن القول أن هذا المنهج هو منهج اعتباطي، يمارسه المستشرقون للطعن والتكذيب من غير أدلة موثوقة[٤].

وبهذا نكون قد تناولنا أبرز المناهج التي نرى أن المستشرقين قد اعتمدوا عليها كثيراً، لأجل أن يكون لدينا تصور كافٍ للمناهج التي استخدمها سيد القمني في كتاباته.

ooooooo

---

[١]- ينظر : منهج المستشرقين في دراسة قضايا القرآن: صلاح بن سالم باعثمان ، ص:٧٩.
[٢]- معجم مقاييس اللغة: ٤٥٦/٥ ، (باب النون والفاء وما يثلثهما) .
[٣]- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي ، ١٧٢٢/٢.
[٤]- ينظر: آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية: د. حسن عزوزي ، ص:٤٤-٤٥.

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق والمستشرقين.

يمكننا معرفة دوافع الاستشراق والمستشرقين من خلال ما قام بذكره بعض المفكرين المعاصرين في مؤلفات قد اهتمت بالدراسات الاستشراقية عرضاً ونقداً، والتي جاءت لتوضيح العلاقة بين انتشار المسيحية في المشرق العربي وانطلاق حملات الاستعمار من جانب، وقيام المستشرقين بحملة من الدراسات للعلوم الإسلامية وغيرها من العلوم من جانب آخر، وكل ذلك كان لغايات وأهداف متعددة، مع العلم أن الدوافع تتفق مع الأهداف باعتبار أن الدوافع هي الكوامن النفسية والإرادة الدافعة إلى تحقيق الأهداف المنشودة[١].

وأن الغاية من ذكر دوافع المستشرقين في مؤلفاتهم ودراساتهم حول الإسلام هي لبيان بعض الأهداف التي يسعون لتحقيقها، مع الملاحظة أن هذه الأهداف قد لا تكون موجودة عند سيد القمني كون ذلك لم يتضح في كتاباته، ولكن من باب أن التأثر بمناهج المستشرقين قد تجعله مؤيداً لتوجهاتهم وإن اختلفت دوافعه وأهدافه عنهم في عرضه للقضايا الإسلامية، ولذا سنتناول أهم دوافع المستشرقين في دراستهم للإسلام.

أولاً: الدافع الديني.

إن المتتبع لنشأة الاستشراق يلاحظ وجود الدافع الديني، وذلك من خلال إرسال الرهبان إلى الأندلس ليطلعوا على علوم أهل الإسلام، والواضح أن هذا الجهد لم يكن لزمن محدد، بل أنه استمر، والراعي الرسمي لهذا الجهد هي الكنيسة التي سخرت جهد الرهبان ورجال الكنيسة نحو التشكيك في الإسلام من أجل أن يثبتوا لجمهورهم أن هذا الدين لا يستحق الانتشار والإتباع[٢]. كما أن النصارى قد لفت انتباههم سرعة انتشار الإسلام وما فيه من أنظمة خاصة تختلف عن ما كان معروفا عندهم، وهذا ما زاد شعورهم بالخوف الشديد من الإسلام، بعد أن زحف إلى عقر دارهم؛ وذلك بإقامة الخلافة الإسلامية في الأندلس، فضلاً عن مهاجمة الإسلام للمعتقدات السائدة عند النصارى وتقرير زيفها وبطلانها، هذا ما دعاهم إلى أن يدركوا أن هذا الدين ليس نزعة وقتية؛ كونه يمثل تهديداً حقيقيا لوجود النصرانية؛ لأنه كان بمثابة سد منيعاً بوجه انتشارها، فكان هذا دافعاً لجعلهم يهبون إلى مجابهة الإسلام بواسطة كتاباتهم التي كانت تتسم بالعنصرية، والتعصب، والحقد، فقاموا بعمل دؤوب

---

[١]- ينظر: أجنحة المكر الثلاثة: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، ص:١٢٧.

[٢]- ينظر: ظاهرة الاستشراق وموقف بعض المستشرقين منها: محمد فتح الله الزيادي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع- طرابلس- ليبيا ،ط:١٩٨٣/١م ، ص:٧٨.

بتشويه صورة الإسلام في نظر الأوربيين لصدهم عنه، فلم يتركوا أي تهمة إلا ووجهوها إلى الإسلام[١].

ومن أجل استمرار وإدامة التصعيد ضد الدين الإسلامي كان لابد من تسخير الصليبيين كل جهودهم لخدمة هذا الهدف، الذي ينطلقون منه لتحقيق الأهداف الأخرى، لذا قاموا بتأسيس المجلات، وإقامة الندوات، والمؤتمرات، وتأليف الكتب، والبحوث، عن الإسلام بشكل عام، وقد استمر المستشرقون منذ نشأة الاستشراق وحتى عصرنا الحالي على المنهج ذاته، وإن كان ثمة تغيير، فأنه تغيير تكتيكي فقط، فإذا كان الهدف الديني لم يعد واضحاً في كتابات بعض المستشرقين، فليس معنى هذا أنه قد انتهى؛ لأنه يصعب على المستشرقين الذين يدرسون الإسلام، وأكثرهم متدينون، أن يغضوا النظر عن إنكار دين الإسلام للعقائد الباطلة في الديانة النصرانية، فضلاً عما أحدثه الإسلام من تغيير كبير على الساحة الأوربية في الأندلس وغيرها آنذاك، وسرعة انتشاره، مما جعله يحل محل النصرانية، والجدير بالذكر إننا في الوقت نفسه ننبه إلى أن هذا ليس حكماً مطلقاً على جميع المستشرقين، فقد نجد منهم من كان حيادياً وموضوعياً في دراسته للإسلام[٢].

وأما فيما يخص انتماءات المستشرقين فلم يكن جميعهم ينتمون إلى المسيحية، بل كان من بينهم مستشرقين يهود خدموا اليهودية من خلال دراساتهم الاستشراقية، وكذلك كان من بينهم ملحدون اهتموا بالمناطق العربية والإسلامية وحاولوا نشر الإلحاد كبديل للإسلام فيها، فهؤلاء يصنفون ضمن دائرة الدافع الديني في دراستهم الاستشراقية[٣].

وبعد هذا التوضيح نكون قد وصلنا إلى حقيقة ما يدفع المستشرقين بالدرجة الأولى، وهو الدافع الديني، وإن كنت اعتبره دافع حقد، وكراهية تجاه الدين الإسلامي وانتصاراً للنصرانية.

ثانيا: الدافع الاستعماري.

لا شك أن الغاية من الاستعمار قديماً وحديثاً هي السيطرة على مقدرات البلدان المغلوبة مادياً وبشرياً، وهذا ما يبدو واضحاً في الاستعمار الأوربي للبلدان العربية والإسلامية في القرون السابقة، فقد كانت أعمالهم تتسم بالحيلة والمكر فكانوا لا يدعون المسلمين للدخول إلى النصرانية بشكل مباشر، وإنما عن طريق تشويه الإسلام، وذلك بتهويل حالة الضعف والهوان التي وصل اليها

---

[١]- ينظر: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: د. إسماعيل علي محمد، ص: ٢٨.
[٢]- ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي الزقزوق، ص:٧٥-٧٦.
[٣]- ينظر: المستشرقون والتنصير: دراسة من إعداد، أ. د. علي بن إبراهيم الحمد نملة: ص:٦.

المسلمون، ليكسروا نفوس المسلمين، ويزعزعوا ثقتهم بدينهم، فقد كانت غاياتهم من وراء الحروب العسكرية هو الحصول على الثروات وتعزيز الاقتصاد، وهل الحروب المعاصرة في أغلبها إلا اقتصادية؟[١].

كما إن بُعد المسلمين عن دينهم، وركونهم إلى الدنيا، وحب الزعامة والشهرة، كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى طمع أعداء الإسلام في السيطرة على الأراضي التي تخضع لحكم المسلمين، وخير مثال على ذلك هو ما حدث للأندلس، وعليه فالهدف الاستعماري لا ينفك عن الهدف الديني، إذ نجد أن كل مستعمر يحاول أن يجعل لفعله غطاءً دينياً، وبعد أن يسيطروا على الدول سيطرة عسكرية، وسياسية، يكون التوجه نحو إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس الناس، وذلك من خلال نشر الضعف والقلق في تفكيرهم، فكان التوجه نحو تشكيك المسلمين بفائدة الدين الذي يتمسكون به، بالإضافة إلى عقيدتهم، وقيمهم الانسانية، حتى يزيلوا ثقتهم بأنفسهم، فيتحقق لهم ما يصبون إليه بأن يأتي المسلمون فيرمون بأنفسنا في أحضان الغرب، وبالتالي يجد المسلمون أنفسهم أمام مقاييس أخلاقية مفروضة عليهم، وبذلك يتم لهم إخضاعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة، لذا يمكن أن نقول أن الدافع الاستعماري قد امتزجت فيه النوايا الاقتصادية مع الدينية، فالعدو يريد إضعاف المسلمين مادياً ومعنوياً لكي تسهل عليه مهمة السيطرة[٢]. ولا يخفى على الكل الأطماع الاستعمارية في البلاد الإسلامية، إذ توحدت أهدافهم من أجل الهيمنة على شعوب المنطقة، لما لهذه المنطقة من أهمية كبرى، فتحالفت الدول الاستعمارية، وانطلقت أفكارهم من أجل التخطيط لتفكيك الكيان العربي الإسلامي، وبدأت علامات نجاح هذه الخطط من خلال تقسيم أراضينا أو الفصل بينها بحدود تم رسمها من قبلهم، وجعلوا من مناطقنا دولاً عدة متجاورة، وكل دولة لها نظام خاص مستقل شكلاً ومضموناً، وكان ذلك من أجل سهولة السيطرة على مقدراتنا المادية والمعنوية، وليس هذا فحسب؛ بل عمدت الدول الاستعمارية إلى زرع الكيان الصهيوني في قلب المنطقة، ليكون حليفاً لهم، وعدواً لسكان المنطقة بالوقت ذاته حتى يديموا الصراع، كما يكون سبباً لتواجدهم وتدخلهم في المنطقة، وهذ ما حدث من خلال احتلال بريطانيا لفلسطين ومن ثم تسليمها للصهاينة، وفي هذا دليل على تضافر الجهود النصرانية واليهودية، ضد

---

[١]- ينظر: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الاسلام: محمد البهي، مطبعة الأزهر- مصر، د.ط، د.ت ص:٧.
[٢]- ينظر: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم: د. مصطفى السباعي ، ص٢٢.

المسلمين فالهدف من هذه الجهود هو السيطرة الاستعمارية على البلاد الإسلامية، والدافع الذي يحركهم بهذا الاتجاه هو دافع استعماري ديني[١].

ومما سبق ذكره يتبين أن الدراسات الاستشراقية قد ساهمت بشكل أو بآخر في تمكين السيطرة الاستعمارية، أو إنها تعمل رديفة للاستعمار في مجال الغزو الفكري وهذا لم يكن ليتحقق لولا وجود المستشرقين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة دراسة الشعوب الإسلامية، ومدى ثقافتهم، وتفكيرهم، وتأثرهم بمن حولهم، فقدموا التوصيات لدولهم وبناءً على هذه التوصيات يتم استعمار البلدان.

ثالثا: الدافع الاقتصادي.

يعد الدافع الاقتصادي أحد الغايات التي أدت بالكثير من الغربيين للانخراط في الدراسات الاستشراقية ورغبتهم في غزو البلاد الإسلامية اقتصادياً بهدف الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة، والاستيلاء على موارد الأرض، واستخراج الموارد الطبيعية والحصول عليها بأدنى سعر، لتصبح أمة الإسلام استهلاكية لما تصدره الدول الغربية، ولهذا السبب، تقوم المؤسسات الاقتصادية الغربية بتوجيه المهتمين بالدراسات الشرقية إلى أن يصبحوا وسطاء ومبعوثين ومستشارين ومترجمين لمهامهم ومتطلباتهم الاقتصادية، أو أن يعربوا عن استعدادهم لتوظيف الأشخاص الذين يعملون لديها في هذا المجال، فانتقل الكثيرين إلى هذه الدراسات على أمل العثور على وظيفة في إحدى المؤسسات الاقتصادية[٢].

فالدافع الاقتصادي هو مكمل للدافع الديني، والاستعماري، لأن الاستعمار بعد أن يبسط نفوذه على أي دولة يضع يده على خيراتها ومقدراتها، فذلك يخلق له مورداً مادياً يستطيع من خلاله تمويل حملاته الاستعمارية. ولهذا نجد الترابط بين الهدف الاقتصادي، والهدف الاستعماري، لصعوبة تحقيق الأول، إلا من خلال الثاني، ولقد كان التوسع الاقتصادي دافعاً نحو السيطرة الخارجية على ثروات البلدان الفقيرة، فقد اهتمت البلدان الكبيرة اهتماماً كبيراً بهذا الهدف وسعت سعياً حثيثا لتحقيقه[٣].

وبهذا يكون الهدف من الدافع الاقتصادي هو تحقيق المنافع الاقتصادية للغرب بكل الطرق، من غير النظر إلى مصالح غيرهم، ومن أدوات الغرب في تحقيق المنافع الاقتصادية هم المستشرقون؛ لأن الاستشراق قدم خدمة كبيرة للاقتصاد الغربي، وقد ساعد على قيام النهضة الاقتصادية الأوربية،

---

[١]- ينظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية: علي بن إبراهيم الحمد نملة ، ص:١٥٨-١٥٩.
[٢]- ينظر: أجنحة المكر الثلاثة: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، ص:١٣٠.
[٣]- ينظر: المستشرقون والإسلام: د. عرفان عبدالحميد، مطبعة الرشاد- بغداد، د.ط، ١٩٦٩م، ص:١٣-١٤.

فكان من طرق المستشرقين التي سلكوها للوصول إلى بعض المنافع المادية، مثلاً إبرازهم لبعض الجوانب الخرافية التي تنسب إلى الشرق والمتاجرة بها والاسترزاق من ورائها، فترجموا كتب القصص الخرافية، والحكايات الشعبية، وكذلك الحال بالنسبة إلى الآراء الفلسفية التي تدعو إلى التوفيق بين الحقائق الدينية، والحقائق الفلسفية[١].

وعليه فالدافع الاقتصادي للمستشرقين لا يقف عند حد الحصول الثروات فقط، بل شمل النفوس أيضا، فصارت النظرة المادية هي السائدة والشعور الدائم بالخوف من الفقر، وهذا مخالف لما جاء به الرسولﷺ قال: رسول الله ﷺ، "(فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُم)"[٢]. والناظر إلى أعمال المستشرقين يرى أن هذا الدافع لدى المستشرقين لايزال موجوداً إلى الأن، وهم مستمرون في هذا الدافع من خلال مؤتمرات اقتصادية، وإنشاء شركات احتكارية مثل شركات احتكار النفط ، وكأنهم أوصياء على ثرواتنا، كل هذا من أجل تنفيذ أطماعهم التوسعية.

رابعاً: الدافع السياسي.

فبعد أن طويت صفحة الاستعمار المباشر وتحررت البلاد الإسلامية، رأت الدول الاستعمارية ضرورة أن يكون لها في قنصلياتها، وسفاراتها، ومندوبيها في سائر المؤسسات الدولية، من له رصيد جيد في علم الاستشراق، وذلك لكي يسهل عليهم عملهم مع الشعوب العربية والإسلامية، فكان عمل هؤلاء يتمحور حول نقاط محددة وهي.

أ- الاتصال بالسياسيين ورجال الفكر والصحافة من أجل الوقوف على حقيقة توجهاتهم وأفكارهم.

ب- تنفيذ الأجندات السياسية التي تكلفهم بها دولهم.

ج- توسيع نطاق التواصل بينهم وبين من يخدمون أهدافهم من عملائهم في البلاد الإسلامية[٣].

وقد بدأ هذا الدافع يتجلى أكثر في عصرنا الحاضر، من خلال وجود ملحق ثقافي في كل سفارة من السفارات وهذا الملحق يتميز بكونه يتقن اللغة العربية، قد يكون هذا أمراً عادياً لحاجة السفارة إلى

---

[١]- ينظر: الإسلام والمسلمين بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق: د. عبدالرحمن عميرة ، دار الجميل – بيروت، د.ط، د.ت، ص: ٩٧.

[٢]- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(١٩٤-٢٥٦هـ) ، تح: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير– بيروت، ط:٣/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، كتاب: الخمس، باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ، حديث رقم:٣٧٩١، ١٤٧٣/٤.

[٣]- ينظر: أجنحة المكر الثلاثة : عبدالرحمن حسن حبنة الميداني ، ص: ١٣١.

هذا الملحق، غير أن الشيء غير العادي هي الأعمال التي يمارسها هذا الملحق من خلال الاتصال برجال الصحافة، والإعلام، والسياسة، وما يترتب على هذا الاتصال من تبعات، حيث أن السفارات تحشر نفسها في كل شيء بحجة النصح والمشورة، وهذا في الظاهر المعلن فقط، أما المضمون فإن الهدف الأساسي هو إثارة الفتن، والدسائس للتفرقة بين الدول، والشعوب، كما أنهم يتمكنون من خلال تواجدهم في السفارات من دراسة الأفكار الشعبية عن قرب لكي يحافظوا على سيطرتهم على هذه الشعوب، وبالتالي التدخل في تشكيل الحكومات وقضايا الشرق الأوسط[١].

خامساً: الدافع العلمي.

لقد جاء الدافع العلمي متأخراً عن بقية الدوافع كونه أقل إتباعاً من المستشرقين فضلاً عن كونه ليس فيه ضررٌ كبيرٌ، إذ إن الغالب على هذا الدافع أنه أتى ممن يريد الحصول على الحقيقة، أو ممن أبرز محاسن الإسلام وكشف عورة ما سواه من الأنظمة والقوانين الدينية الوضعية، فكان هنالك عدد قليل من المستشرقين من أقبل على الاستشراق بدافع حب الاطلاع على تأريخ الحضارات والأمم، وثقافاتها، وأديانها، ويُعرف هؤلاء المستشرقون بأصحاب الدافع العلمي النزيه، إذ كانت دراستهم للإسلام تتميز بكونها أقل خطأ بالنسبة لغيرها من الدراسات الاستشراقية، وكثير منهم قد تأثر بالإسلام، كما إن هؤلاء يتميزون بضعف القدرة المادية؛ وذلك لعدم وجود دعم مادي لهم من أجل القيام بأبحاثهم؛ كون هذه الأبحاث لا تلقى استحساناً أو رواجاً لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة في الغرب، ولا حتى عامة الباحثين كون هذه الأبحاث بعيدة عن الهوى وليس من ورائها أرباحاً مادية، فنجد هذه الدراسات قليلة جداً[٢].

والملاحظ مما سبق ذكره باستثناء الدافع العلمي، أن وجود الترابط ما بين الدوافع يبدو واضحاً، فالدافع الديني مرتبط بالاستعماري والاقتصادي والسياسي، وقد تكون كلها مجتمعة مقابل الجهة المستهدفة وهي الإسلام وأهله فكراً وسلوكاً وعقيدة وشريعة وأخلاقاً، والهيمنة على مقدراته بشرياً ومادياً ومعنوياً.

---

[١]- ينظر: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم: د. مصطفى السباعي ، ص: ٢٤

[٢]- ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٤-٢٥

المبحث الثاني: التعريف بسيد القمني وحياته الشخصية والعلمية.

يتطلب التعريف بالشخصية التي هي محور الدراسة معلومات كاملة، وهذا ما لم يتوفر ؛ بسبب قلة من كتب عنه وعن شخصيته، ولذا لم يتسنَ للباحث الوصول إلى ترجمة وافية لسيد القمني، على الرغم من محاولة الباحث التواصل مع عائلته غير أن تلك المحاولات باءت بالفشل، كون العائلة لم تستجب، فلم يكن أمام الباحث سوى الاستعانة بما هو متوفر من معلومات على مواقع الأنترنت، وهذا ما تسبب بقلة المعلومات في التعريف بهذه الشخصية، وكذلك ينطبق الأمر نفسه على سيرته العلمية، وغيرها من المعلومات الخاصة به.

المطلب الأول: التعريف بسيد القمني.

أولاً: اسمه: سيد محمود علي حسين القمني.

ثانياً: نسبه: ينتسب سيد القمني إلى مسقط رأس عائلته قرية (قمن العروس) إحدى قرى مركز الواسطي بمحافظة بني سويف في شمال مصر.. (وقِمَن بكسر القاف وفتح الميم) كما ينطقها أهلها.

ثالثاً: ولادته: ولد سيد القمني في مصر في نفس القرية التي ينتسب إليها بتاريخ ١٣أذار، مارس سنة:١٩٤٧م، لأبوين مصريين[١].

رابعاً: عائلته: ينحدر القمني من عائلة تتكون من أبوين وثلاثة أشقاء وثلاثة أخوات من والده، وكان والده معروف بتدينه وحافظاً للقرآن الكريم، أما أشقائه فهم الدكتور الطبيب عبدالعال القمني والمهندس محمد القمني والحاج علي القمني، كما أنه متزوج غير أنه لم نتوصل لمعلومات عن زوجته، أما أبناءه فلم يعرف منهم سوى أبنته الدكتورة الطبيبة إيزيس سيد القمني التي ظهرت على الأعلام في أكثر من مناسبة، والمهندسة سلوى القمني .

خامساً: وفاته: توفى سيد القمني في يوم ٦ شباط ، فبراير سنة:٢٠٢٢م ، بعد صراع مع المرض[٢].

---

[١]- ينظر: مقال د. سامي عطا حسن على موقع فيصل نور على شبكة الانترنت د.ت:
https://www.fnoor.com

[٢] - ينظر: لقاء صحفي مصور أجرته جريدة الوطن المصرية مع أحد أبناء عمومة سيد القمني اطلعت عليه في ٢٠٢٤/٧/١٢واللقاء منشور على صفحة الجريدة على الأنترنت في ٧فبراير ٢٠٢٢م
https://www.elwatannews.com

المطلب الثاني: تحصيله العلمي.

درس سيد القمني الفلسفة في جامعة عين الشمس (التي هي واحدة من الجامعات المصرية المعروفة)، وتخرج فيها في عام١٩٦٩م، وقد ذكر القمني أساتذته الذي تتلمذ على أيديهم في المرحلة الجامعية، ومن أهمهم "عبدالرحمن بدوي (١٩١٧ – ٢٠٠٢م)"[١]، و"فؤاد زكريا"[٢]، والدكتور "حسن حنفي"[٣]، وبعد تخرجه عمل مدرسًا للفلسفة في المرحلة الثانوية بصعيد مصر، ثم سافر للعمل بالكويت، وبعدها استكمل مشواره العلمي للدراسات العليا "بالجامعة اليسوعية ببيروت"[٤]، حيث تقدم

---

[١]- وهو أحد أبرز الفلاسفة المصريين في القرن العشرين و أغزرهم إنتاجا، ولد في مصر إذ أكمل دراسته الابتدائية والثانوية ثم التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة قسم الفلسفة سنة ١٩٣٤م، وبعد انهائه لدراسته تم تعيينه كمعيد في نفس الجامعة والتي تحصل فيها على الماجستير والدكتوراه، وقد عمل في جامعات خارجية في دول كثيرة منها لبنان وباريس وليبيا وإيران والكويت، تعد سيرته العلمية غزيرة جداً خصوصاً أن له من المؤلفات ما يتعدى ال١٠٠ مؤلف، والتي منها على سبيل المثال: موسوعة الفلسفة، تأريخ العالم القديم، شخصيات قلقة في الإسلام، الزمان الوجودي، توفي الدكتور عبدالرحمن بدوي في مصر عام ٢٠٠٢م، عن عمر ناهز ٨٥. ينظر: سيرة حياتي: عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ١/١٥-١٠٠.

[٢]- فؤاد حسن زكريا: أكاديمي مصري وعلم من أعلام الفكر العربي المعاصر، ولد «فؤاد زكريا» في مدينة بورسعيد في مصر، عام ١٩٢٧م. تلقى تعليمه الأولي فيها، ثم التحق بكلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة القاهرة وتخرَّجَ منها عامَ ١٩٤٩م. ثم عُين في كلية الآداب بجامعة عين شمس، وفي عام ١٩٥٢م نالَ درجةَ الماجستير عن رسالته «النزعة الطبيعية عند نيتشه» من جامعة عين شمس، وبعد أربع سنوات (عامَ ١٩٥٦م) حصل على درجة الدكتوراه عن رسالته «مشكلة الحقيقة» من نفس الجامعة، عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة الكويت، وعمل بالأمم المتحدة مستشارًا لشؤون الثقافة والعلوم الإنسانية في اللجنة الوطنية لليونيسكو بالقاهرة، ومستشارًا لسلسلة «عالَم المعرفة» التي تَصدُر عن «المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب» الكويتي، والتي يُعَد من مؤسِّسيها. كما ترأَّسَ تحرير مجلتَي «الفكر المعاصر» و«تراث الإنسانية» في مصر، وقد نال جوائز تقديرية عدة، له العديدُ من المُؤلَّفات منها: التفكير العلمي، وآراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة، والجوانب الفِكرية في مُختلِف النُّظم الاجتماعية، والصَّحْوة الإسلامية في ميزان العقل، والثقافة العربية وأزمة الخليج، توفي بالقاهرة يومَ الخميس ١١ مارس عام ٢٠١٠م، عن ثلاثة وثمانين عامًا. ينظر: سيرة فؤاد زكريا من خلال موقع مؤسسة هنداوي: على شبكة الأنترنت، د.ت: https://www.hindawi.org/contributors/90639697 .

[٣]- هو مفكر مصري ولد في مصر سنة ١٩٣٥م، ويعد أحد منظري تيار اليسار الإسلامي، معروف بمشروع التراث والتجديد ، ويعتمد بشكل أساسي على مناهج التأويل، تخرج من كلية الآداب، قسم الفلسفة جامعة القاهرة عام ١٩٥٦م، سافر إلى فرنسا في نفس العام على نفقته الخاصة للدراسات العليا، إذ حصل على الماجستير ثم درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام ١٩٦٦م، ابتداء من عام ١٩٦٧م، عمل مدرسا بكلية الآداب جامعة القاهرة. في الفترة من عام ١٩٧١م، إلى عام ١٩٧٥، عمل في جامعة تمبل بالولايات المتحدة، ثم عاد لجامعة القاهرة في الفترة من عام ١٩٧٦م، إلى عام ١٩٨١م، وانضم خلالها إلى حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدي، وهو الحزب اليساري المعروف، ومن أهم مؤلفاته: التراث والتجديد، من العقيدة إلى الثورة، الإسلام في العصر الحديث، وغيره الكثير من المؤلفات، وقد توفي سنة ٢٠٢١م. مقال على موقع فلاسفة العرب: على شبكة الأنترنت، د.ت: http://www.arabphilosophers.com.

[٤]- واسمها جامعة القديس يوسف، وهي جامعة لبنانيّة خاصة، أُسّست سنة ١٨٧٥م. تعترف بها الدولةُ اللبنانيّة بصورة رسميّة، وتعترف بالشهادات التي تمنحها، كما انها عضوٌ في اتّحاد الجامعات العربيّة، والاتّحاد الدولي للجامعات، واتّحاد الجامعات الناطقة كليًّا أو جزئيًّا باللغة الفرنسيّة، والاتحاد الدولي للجامعات الكاثوليكيّة، والاتحاد الأوروبيّ للجامعات الكاثوليكيّة، واتّحاد المؤسّسات اليسوعيّة للتعليم العالي في أوروبا ولبنان، والجامعة الأوروبيّة المتوسطيّة «تاتيس»، والمُنتدى الدائم للجامعات الأوروبيّة والمتوسطيّة. ينظر: الموقع الرسمي للجامعة على شبكة الأنترنت، د.ت: https://www.usj.edu.lb/arabe/decouvrir.php

إلى هذه الجامعة للحصول على درجة الماجستير، وقدم بحثه الأول للماجستير بعنوان(لماذا المسيح من إنسان إلى إله) بإشراف الأب الدكتور "ميشال آلار"[١]، ثم تقدم ببحث آخر وكان بعنوان(آلهة الفداء والخلود)، وقد تحصل على الماجستير بتقدير ممتاز، ثم أكمل رحلته للحصول على الدكتوراه، غير أن الحروب التي كانت تعاني منها لبنان حالت دون إتمام الدراسة في الجامعة نفسها، فتوجه إلى تقديم أوراقه إلى جامعة كاليفورنيا الجنوبية/الأقسام العربية في أمريكا، بمشورة من أحد مندوبي الجامعة، على أن يتم الإشراف على بحثه من قبل ثلاثة أساتذة معروفين لدى الجامعة، وبعد إكمال البحث كتب الأستاذ فؤاد زكريا الذي كان وقتها رئيساً لقسم الفلسفة بجامعة الكويت والذي كان المشرف الرئيسي على الكتابة، تقريره النهائي والذي يشير إلى استحقاق القمني للدرجة العلمية وبالفعل حصل على الشهادة وقدمها إلى مجلس الجامعات في مصر وتم قبولها. وهذه الشهادة هي التي أُثير حولها الجدل من المخالفين لفكر سيد القمني، ولم يعد الأمر مهماً في نظره بعدما تحصل على الشهادة، وقد قدم مجموعة من الأبحاث والأعمال، هذا بينما كان يكتبُ في ذلك للدوريات الكويتية، كما كان يكتب أيضاً للمجلات المصرية وخصوصاً المجلات التي كانت تهتم بنشر الأفكار الغربية مثل مجلة روز اليوسف وهي مجلة مصرية أسبوعية تصدر من القاهرة ومعروف عنها تشجيعها للأفكار الغربية[٢].

كما إن له صفحة خاصة على الفيس بوك تحمل اسمه، وموقع على شبكة الانترنت يحمل اسمه أيضا، وفي سنة ٢٠٠٩م حصل على جائزة الدولة التقديرية، وهي جائزة رفيعة تمنح سنوياً في مصر في مجالات عدة[٣].

وهكذا يمكن أن نقول: إن التحصيل العلمي لسيد القمني يعد متواضع نوعاً ما، فحتى شهادة الدكتوراه التي حصل عليها قد شكك في صحتها الكثيرون.

ooooooo

---

[١]- مستشرق فرنسي ١٩٢٤-١٩٧٦م ولد في فرنسا وتنشأ ودرس فيها، وقد بدأ اهتمامه باستكشاف علوم الشرق، فانتقل إلى بيروت فتعلم فيها اللغة العربية، ثم رجع إلى فرنسا ليكمل دراساته العليا في جامعة السوربون فحصل على الدكتوراه من نفس الجامعة، يعتبر من داعمي موضوع الحوار بين الحضارات، توفي ميشال ألار وهو في الثانية والخمسين من عمره. ينظر: موقع شهداء يسوعيّون في خدمة المشرق العربي: على شبكة الأنترنت http://www.ndj.edu.lb.

[٢]- مقال لسيد القمني في جريدة المصري اليوم على شبكة الأنترنت بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٥: https://www.almasryalyoum.com.

[٣]- ينظر: موقع سيد القمني على شبكة الأنترنت : https://sayed-elqemany.com/.

المطلب الثالث: منهجه ومؤلفاته.

أولاً: منهجه: يعد سيد القمني من المفكرين الذين أثاروا الجدل؛ بسبب تبنيه آراء قد اتسمت بالجرأة والتي أدت إلى التصادم مع بعض علماء المسلمين، والحركات الإسلامية، وهذا ما دفع إلى احتسابه ضمن "التيار التنويري العقلاني"[١]، إذ إنه كان يطالب بإعادة قراءة التراث الإسلامي قراءة عقلية، فضلاً عن ذلك فإن سيد القمني يعد من المتأثرين بالأفكار الغربية بشكل واضح إذ نجد أن كثيراً من الأفكار التي وردت في مؤلفاته هي مشابهة للأفكار التي يحملها المستشرقون، كما أن البعض قد اعتبر سيد القمني باحثاً في التأريخ الإسلامي بنظرة ماركسية، على الرغم من أنه يصرح باتباعه فكر المعتزلة، من خلال تقديمه للعقل على النقل، وممكن أن يكون هو متأثراً في كثير من آرائه بأساتذته وخصوصاً فؤاد زكريا وحسن حنفي، فأخذ عن فؤاد زكريا المنهج التنويري العقلاني، وأما مسألة نقده للتراث الإسلامي والدعوة إلى إخضاع الفكر الإسلامي لحكم العقل فقد تأثر بهذا المنهج بحسن حنفي فمؤلفات حسن حنفي تشهد بتوجهه العقلي في تقديم العقل ودعوته الواضحة إلى تجديد التراث الإسلامي، وهذا المنهج نفسه نجده عند سيد القمني، وأما ما يخص النزعة الاستشراقية، فقد تكون نتيجة طبيعية لتأثره بأستاذه في الماجستير وهو المستشرق ميشال ألار[٢].

ثانياً: مؤلفاته: لقد كانت معظم أعماله تتناول دراسة التاريخ الإسلامي، فكل مؤلفاته كانت قائمة على أساس إبراز الشبهات والتشكيك في فائدة الدين في هذا الزمن، والذي يتتبع مؤلفاته يجده يكرر كثيراً المسائل التي يتناولها، فنجده يتطرق إلى مسألة واحدة في أكثر من كتاب.

إن مؤلفات سيد القمني تقدر بثلاثة وعشرين مؤلف، ففي عام ١٩٨٨م، صدر له كتاب: مدخل إلى فهم الميثولوجيا التوراتية، والذي يتناول فيه مسألة الخلق والتكوين، والمسيح الملك، ومن كتبه الأخرى كتاب: النسخ في الوحي والذي صدر عام١٩٩٢م، إذ يتناول فيه مسألة نسخ بعض

---

[١]- وهي حركة فكرية ظهرت في الثلثين الأخيرين من القرن الثامن عشر في أوربا على الرغم من أن انبثاقها كان بعد الثورة العلمية وبداية عصر العقل في القرن السابع، وقد استمرت هذه الحركة حتى بداية التاسع عشر، ولا يوجد تعريف ثابت للتنوير العقلاني غير أن ما يستند إليه هو ما قاله الفيلسوف إمانويل كانط والذي يعد من أهم رجال عصر التنوير، في مقال له منشور في عام ١٧٨٤م، بأن التنوير هو خروج الإنسان عن سذاجته التي جلبها لنفسه وذلك باستخدام عقله، دون أن يشوهه التعصب أو أن يوجهه الآخرون، وان تكون عند الإنسان شجاعة أن يعرف فهذا هو جوهر التنوير. ينظر: التنوير: دوريندا أوترام، ترجمة: ماجد موريس إبراهيم، دار الفارابي للنشر، ط:١٤٢٩/١هـ-٢٠٠٨م، ص:٥٧. وينظر: التنوير الأن: ستيفن بينكر، ترجمة: هالة جمال، بيت الحكمة للنشر، د.ط، د.ت، ص:٧.

[٢]- ينظر: سيد القمني بين التجديد والتجديف: د. محمود محمد علي، بحث منشور من خلال مكتبة نور الألكترونية على شبكة الأنترنت، د.ت: https://www.noor-book.com

الأحكام في القرآن الكريم محاولاً توظيف النسخ في مسألة تحديث الأحكام التي يطالب بها، وفي عام ١٩٩٣م، صدر في طبعة أولى كتاب: حروب دولة الرسول في جزأين والذي تناول فيه التأريخ الإسلامي من قبل ولادة الرسولﷺ، إلى ما بعد وفاته، ذاكراً فيه غزوات النبيﷺ، كما صدر له كتاب آخر بعنوان: قصة الخلق في عام ١٩٩٤م، والذي يتكلم فيه عن سفر التكوين اليهودي، كما صدر له في عام١٩٩٦م، ثلاثة كتب وهي: الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية، والذي تناول فيه تأريخ قريش قبل النبوة وبعدها، وكتاب: النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، والذي يتحدث فيه عن علاقة النبي إبراهيمعليه السلام بفلسطين، وبعلاقته بالمصريين، وعن وطنه الحقيقي، كما وصدر له كتاب: رب الزمان والذي طرح فيه كثيراً من الأفكار منها ما يتعلق بتأريخ الإسرائيليين وعلاقتهم بمصر، كما يبحث في الحقيقة اللغوية لبعض الأسماء المقدسة، وفي عام ١٩٩٨م، صدر له كتاب: السؤال الآخر والذي تكلم فيه عن الشك والتكفير والدعوة إلى الاجتهاد العقلي، وفي عام١٩٩٩م، صدر له كتاب: النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة في ثلاثة أجزاء، والذي يتناول فيه قصص بني إسرائيل وبعض أنبيائهم ومن ضمنها قصة موسىعليه السلام، في مصر، وفي العام نفسه صدر له كتاب: الفاشيون والوطن، والذي شن فيه حملة انتقاد لكثير من المسائل الإسلامية والتي منها التكفير وحقوق المرأة والرق والاجتهاد ومفهوم المواطنة وغيرها من المسائل، كما وصدر له كتاب بعنوان: رب الثورة أوزويريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة، والذي تناول فيه فكرة الخلود عن الفراعنة وتأثيرها على الفلسفات القديمة، وكتاب آخر بعنوان: الأسطورة والتراث، يتكلم فيه عن الأساطير القديمة وتأثيرها على الديانات، في عام ٢٠٠٠م، صدر له كتاب: إسرائيل الثورة التاريخ التضليل، وفي ٢٠٠١م، صدر له كتاب: إسلاميات الذي يتضمن أكثر من باب يتناول فيه مسائل إسلامية متنوعة، وفي عام٢٠٠٢م، صدر له كتاب: الإسرائيليات، والذي قدم فيه قراءة نقدية للتوراة وبعض أسفار الأنبياء، وفي ٢٠٠٤م، صدر له كتاب: شكراً بن لادن، والذي يعتبر فيه أن الجماعات الإسلامية قد انكشف غطاؤها بعد أحداث التفجيرات التي حدثت في مصر ويجب على الحكومة الأن مكافحتهم، ومكافحة أفكارهم الإسلامية والتي يصر على أنها هي سبب الدمار، وفي عام ٢٠٠٥م، صدر له كتاب: أهل الدين والديمقراطية، والذي يحتوي على مجادلات بينه وبين الجماعات الإسلامية، وفي عام ٢٠٠٧م، صدر له كتاب: الدولة المسلمة للخلف در، والذي تكلم فيه عن عدم صلاحية الدولة المسلمة للحكم في ظل التطور الذي حدث في العالم، منوهاً لمسألة النظام الديمقراطي وأهميته، وفي العام نفسه

صدر له كتاب: صحوتنا لا بارك الله فيها، منتقداً فيه الأفكار الإسلامية، كما صدر له في عام ٢٠٠٧م، كتاب: الدولة الإسلامية والخراب العاجل، والذي ينتقد فيه دعوة المسلمين لقيام دولة إسلامية تحكم بشريعة الله ﷻ، كما وصدر له كتاب: اخرجوا من مساجدنا، وهو حملة ضد الجماعات الإسلامية، وكتاب: المتأسلمون والوطن، والذي يتكلم فيه عن الدولة الحديثة والفهم الخاطئ عند الإسلاميين لهذا المفهوم، وأخر ما صدر له في عام ٢٠٠٧م والذي شهد نشاط ملحوظ عند القمني في الكتابة، كتاب: الحجاب وقمة ال١٧، الذي تكلم فيه عن الحجاب نافياً أن يكون الحجاب من فضائل الأخلاق، وفي عام ٢٠١٠م، صدر له كتاب: انتكاسة المسلمين إلى الوثنية من ثلاثة أجزاء، والذي تطرق فيه إلى النظام في الدولة الإسلامية، ومسألة القيم الأخلاقية والدينية، ومسائل أخرى متنوعة[١].

هذه مجمل مؤلفات سيد القمني وقد نجد طبعات أخرى تم فيها جمع كتابين أو ثلاثة في كتاب واحد، وبالتالي فقد يزيد عدد المؤلفات أو ينقص تبعاً للطبعات، كما أن له كثيراً من المحاضرات المنشورة على شبكة الأنترنت، والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات، وله العديد من اللقاءات التلفزيونية المنفردة وكثيراً من المناظرات على مختلف القنوات الفضائية[٢].

○○○○○○○

[١]- موقع مؤسسة هنداوي على شبكة الأنترنت، د.ت: https://www.hindawi.org/.
[٢]- ينظر: موقع أراجيك: على شبكة الأنترنت، د.ت: https://www.arageek.com.

المبحث الثالث: مفهوم الفكر الإسلامي.

يعد الفكر الإسلامي من المصطلحات المركبة والمعاصرة والذي تناولته مجموعة من المؤلفات لعدد غير قليل من المفكرين، وعليه سنقف عند تعريفه باعتباره مركباً إضافياً، وقبل ذلك لابد من تعريف كل مفردة مجردة عن الإضافة، ثم نتكلم بعد ذلك عن مصادره وحجيته من غير إسهاب فيها وذلك في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الفكر الإسلامي.

أولاً: الفكر لغة: "(فكر) الفَكْرُ والفِكْرُ إعمال الخاطر في الشيء ... جمعه أَفكاراً والفِكْرة كالفِكْر وقد فَكَر في الشيء وأَفْكَرَ فيه وتَفَكَّرَ..."[١]. ويقال أيضاً، "الفِكر بالكسر: إعمال النظر في الشيء كالفكرة والفكرى بكسرهما"[٢]. لقد تنوعت التعاريف اللغوية لمصطلح الفكر؛ وذلك بحسب رؤية علماء اللغة لهذا المصطلح، غير أن هذا التنوع ليس تنوع اختلاف بقدر ما هو تنوع إبراز هذا المفهوم من جميع الجوانب.

ثانياً: اصطلاحاً: عُرف الفكر الاسلامي بأنه محاولات علماء المسلمين العقلية التي أرادوا بها شرح الإسلام من خلال مصادره الأصلية وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية[٣]. وجاء في تعريف آخر له وهو يعني كل ما أنتجه فكر المسلمين منذ بعثة النبيﷺ إلى وقتنا هذا، في كل المعارف سواء كانت معارف دينية أو دنيوية، فقد جُعل إطلاق لفظ الفكر الإسلامي على المعارف التي تنطلق من مفاهيم الإسلام الثابتة وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية، أما المعارف التي لا تنطلق من نفس المنطلق، فتعتبر فكراً عاماً[٤]. كما عُرف الفكر الإسلامي بأنه، نتاج الجهود العقلية عند علماء المسلمين واجتهاداتهم الفكرية في الأمور القابلة للاجتهاد وأعمال الفكر[٥].

فلابد من التفريق بين الفكر الإسلامي والدين الإسلامي؛ كون مصطلح "الفكر" يتعلق بحركة العقل البشري وإنتاج معارفه فهو بذلك لا يمكنه عرض مبادئ الإسلام القطعية والتي لا تخضع

---

[١]- لسان العرب: ابن منظور: ٥/ ٣٤٥١، (مادة فكر).

[٢]- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت ، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط:٨ - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م ، ص: ٤٥٨

[٣]- ينظر: الفكر الإسلامي في تطوره: محمد البهي ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط: ١٤٠١/٢هـ ، ١٩٨١م ، ص:٦

[٤]- ينظر: تجديد الفكر الإسلامي: محسن عبدالحميد ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ، ط:١/ ص: ٤١

[٥]- ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ، د. غالب بن علي عواجي ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة – السعودية ، ط:١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م ، ٣٢١/١.

للجانب الاجتهادي، فضلاً عن ذلك، فإن الخلط بين الفكر الإسلامي والدين الإسلامي يعد خطأ واضحاً؛ كون هذا الجمع يفتقر إلى التكافؤ، فكيف يمكن أن يسمى الدين الإسلامي والذي هو وحي إلهي بأنه فكرٌ وجعله خاضعاً للنقد والاجتهاد؟، فالدين الإسلامي يتمثل بما أوحاه الله ﷻ من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وبهذا يكون الفكر الإسلامي خاضعاً لتعاليم الدين الإسلامي وليس العكس، فالفكر الإسلامي هو جهد بشري قابل للخطأ والصواب[١].

○○○○○○○

[١]- ينظر: تجديد الفكر الإسلامي: محسن عبدالحميد ، ص:٣٨.

المطلب الثاني: مصادر الفكر الإسلامي.

إن الكلام عن مصادر الفكر الإسلامي يجعلنا مقيدين بالتسمية، فبما أنه فكر إسلامي فلابد أن تكون مصادره إسلامية أو قائمة على أسس إسلامية، فمصادر الفكر الإسلامي تتألف من مصادر أساسية، ومصادر فرعية، وهذه المصادر هي المتفق عليها بين العلماء، كما ويجب الأخذ بها مرتبة على هذا النحو، أما المختلف فيها فلن نذكرها خشية الإطالة، والمفكر لا يمكن تسميته إسلامياً إذا لم يخضع لهذه المصادر[١].

أولاً: المصادر الأساسية: لاريب في أن مصادر الفكر الإسلامي الأساسية تتألف من القرآن الكريم والسنة النبوية، فإطلاق لفظ الفكر الإسلامي ليس إلا بسبب كونه يستند إلى هذين المصدرين[٢].

أولاً: القرآن الكريم.

إن من المعلوم أن أصالة الفكر الإسلامي وفاعليته وتطوره واستمرار عطائه، تنبع من أصله وجذوره التي تمتد من القرآن الكريم، الذي لا ينتهي إعجازه ولا يستغني عنه العلماء، فالفكر الإسلامي محكوم بضوابط الإسلام لا يحيد عنها[٣].

فيكون بذلك القرآن الكريم هو أول مصدر من مصادر الفكر الإسلامي، فالمتأمل له يجده يفتح المجال الفكري أمام العقل الإنساني، ويتضح هذا من خلال بعض النصوص التي لا تحمل الدلالة القطعية في الكثير من المسائل، وهذا ما دفع إلى إعمال العقل والتفكر فيها[٤].

فبالتفكير يستطيع الإنسان أن يكتشف أسرار ما حوله، ليميز ما ينفعه منها في البقاء في هذه الأرض كما أراد الله سبحانه وتعلى، فقد حث الله سبحانه بني أدم على إعمال عقولهم في تحديد مصيرهم على هذه الأرض، فنجد في القرآن الكريم آيات بينات تدفع الإنسان إلى تحريك طاقته الفكرية وتشجعه على التدبر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[٥].

---

[١]- ينظر: الفكر الإداري الإسلامي المقارن: حمدي امين عبد الهادي، دار الفكر العربي، ط٣، د.ت، ص:١١٩.
[٢]- ينظر: تجديد الفكر الاسلامي: محسن عبدالحميد ، ص:٤٧.
[٣]- ينظر: الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي: د. فؤاد محسن الراوي ، دار المأمون للنشر والتوزيع- الاردن ، ط:١/١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، ص: ٤١.
[٤]- ينظر: المصدر السابق ، ص:٤٧ .
[٥]- سورة آل عمران: الآية:١٩١.

وفي آية أخرى.قَالَ تَعَالَى:﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾[١].

فالتفكر والتعقل في الآيتين هو تصريح في الحث على استخدام العقل فيما خلقه الله تعالى، وبما أعده لعباده من ثواب وعقاب يوم القيامة، وأن استخدام العقل في تفسير الحقائق مرتبط بباقي الحواس التي وهبها الله ﷻ للإنسان، فكيف يستطيع إنسان أن يتفكر في بديع مخلوقات الله ﷻ مالم يرَ جمال هذه المخلوقات[٢]. وفي الآية الثانية دعوة من الله ﷻ للإنسان بأن يعتبر في نفسه من خلال تعقله في ما ذكره الله سبحانه عن خلق الأنسان[٣].

وبالتالي فأن حياتنا التي نعيشها هي عبارة عن قضايا تقف ورائها الكثير من الأسرار فنزل القرآن الكريم ليعطي الضوء الأخضر للإنسان لكي يفكر فيها تفكيراً عميقا ولا يمر عليها دون معرفه.

فهو مليء بالآيات التي تحتوي على الفعل (يتفكرون)، فنجد هذه الكلمة قد جاءت في سياق الكلام عن الأنبياء والأمم السابقة وما في أخبارهم من حجج وقضايا عقدية، تحتاج من الناس أن يتفكروا فيها[٤].

كما أن صيغة النص القرآني في الطرح يعتمد على الأفعال التي هي مرتبطة بالتعقل، فجاء فيه أفعال مثل (يتفكرون) و (يعقلون) و(ينظرون)، كلها مرتبطة بشيء واحد وهو الفكر، فهو ومع كل آية فيها صيغة فعلية، يعرض قضية من القضايا التي تخاطب العقل وتحث على التفكر والنظر والتأمل[٥]. قَالَ تَعَالَى:﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦].

فالحث على التفكر ظاهر في كثير من الآيات القرآنية وهو. "أن تفكر فيما أنت بصدده لتستنبط منه شيئا لست بصدده، وبذلك تثرى المعلومات؛ لأن المعلومات إذا لم تتلاقح، ولم يحدث فيها توالد تقف وتتجمد، ويصاب الإنسان بالجمود الطموحي، وإذا أصيب الإنسان بهذا الجمود توقف الارتقاء؛ لأن الارتقاءات التي نراها في الكون هي نتيجة التفكر وإعمال العقل، لذلك فالحق سبحانه ينبهنا

---

[١]- سورة الأنبياء: الآية:١٠.
[٢]- ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت:٥٨٤هـ) ، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - لبنان ، ط:١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ٥٩٣/١.
[٣]- ينظر: المصدر نفسه: ٩٢/٤.
[٤]- ينظر: الفكر الاسلامي في مواجهة الفكر الغربي: د. فؤاد محسن الراوي، ص:٤٠-٤١.
[٥]- ينظر: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة: محمد علي الجوزو، دار العلم للملايين- بيروت ، ط:١-١٩٨٠م ، ص:٥٦.
[٦]- سورة النحل: من الآية: ٦٩.

حينما نمر على ظاهرة من ظواهر الكون، ألا نمر عليها غافلين معرضين، بل نفكر فيها ونأخذها بعين الاعتبار"[١].

وعلى هذا فيكون الدافع إلى التفكير هو العقل والنظر فإذا قلنا: إن القرآن الكريم هو مصدر من مصادر الفكر الإسلامي فهذا مبني على وجود صيغ الآيات التي تدعو بشكل صريح إلى التفكر وإعمال العقل، وهناك أمر مهم لابد من الإشارة اليه وهو أن إعمال العقل والتفكير أمر محمود بشرط أن لا يزيد عن الحد، بمعنى أن لا نقدس العقل كما قدسه البعض حتى وصلوا بهذا التقديس حد تقديم العقل على النقل(وهذا ما سنعرفه في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى)، وأن لا نجمد عقولنا فتكون مقفلة ومحدودة التفكير، كل هذا من أجل أن يكون تفكيرنا الإسلامي سليماً بعيداً عن الأهواء.

ثانياً: السنة النبوية.

بعد بيان أول مصادر الفكر الإسلامي وهو القرآن الكريم، نذكر هنا المصدر الثاني وهو السنة النبوية التي تعد هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، فمكانة السنة النبوية بعد القرآن الكريم كونها تؤخذ من رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فكل قول للرسولﷺ أو فعل أو تقرير هي من السنة، وهي كما أسلفنا مصدراً من مصادر التشريع، غير أن السنة لم تقيد تفكير الناس أو لم تكن أقوال الرسولﷺ تمنع الناس من استخدام عقولهم والتفكر في غير الأحكام الشرعية، ومن ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه: "(مَر فِي نَخْلٍ، فَرَأَى قَوْمًا يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: يَأْخُذُونَ مِنْ الذَّكَرِ فَيَجْعَلُونَهُ فِي الْأُنْثَى، قَالَ: مَا أَظُنُّ ذَلِكَ يُغْنِي شَيْئًا، فَبَلَغَهُمْ، فَتَرَكُوهُ فَنَزَلُوا عَنْهَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ ظَنٌّ، إِنْ كَانَ يُغْنِي شَيْئًا فَاصْنَعُوهُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وَإِنَّ الظَّنَّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَلَكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ: قَالَ اللَّهُ، فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّه)"[٢]. فنجد أن رسول الله ﷺ في هذا الشأن لم يقطع بل قال أنه الرأي فلم يلزم الناس برأيه بل جعل الخيار لهم بحسب ما تراه عقولهم وما تخضع له تجاربهم[٣].

---

[١]- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي: مطابع أخبار اليوم ، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات- مصر، د.ط، د.ت ، ٨٠٥٨/١٣.

[٢] - سنن ابن ماجه: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، دار الرسالة العالمية ، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله ، ط:١/ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م كتاب الرهون ، باب تلقيح النخل ، حديث رقم: ٢٤٧٠ ، ٥٢٦/٣، قال المحقق(حديث حسن).

[٣]- ينظر: مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجة: محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَّوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي، تح: لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية – جدة، ط:١٤٣٩/١هـ - ٢٠١٨م، ٢٩٦/١٤-٢٩٩.

كما إن رسول الله ﷺ قد حث المسلمين على استخدام عقولهم في التدبر وقد أرسى رسول الله ﷺ هذه القواعد من خلال منح الصحابةﷺ الحق في الوقوف أمامه ومناقشته في الأمور الشرعية، ومعرفة ما يعرضه عليهم هل هو وحي أم رأي يراه، فإذا كان ذلك وحياً خضعوا وأطاعوا، وإن كان رأياً فكروا وأعطوا رأيهم في المسألة من غير عصيان للرسولﷺ وهنالك مواقف أخرى كان الفكر الإسلامي واضحاً فيها من خلال آراء الصحابة وفطنتهم، وهذا ما جعل الرسولﷺ يأخذ برأي أصحابه في كثير من الأوقات، كما حدث في(تخصيص ثلث ثمار المدينة لغطفان)[١]. فأخذ برأي بعض الصحابةﷺ في رفض هذا الاتفاق[٢]. لذلك فالسنة النبوية قد حازت مكانتها من التشريع فبات أثرها واضحاً في الفكر الإسلامي منذ عصر الصحابة ﷺ وحتى يومنا هذا، حتى أخذت الأثر الأكبر في توسيع دائرة التشريع الإسلامي، والذي أصبح أعجوبة في نظر العالم، وهذا ما دعا أعداء الإسلام إلى إعلان الحرب على الدين الإسلامي وخصوصاً على السنة النبوية[٣].

فالسنة النبوية قد أعطت حق حرية الفكر والتفكير في الأمور الظنية والتي تفهم من أكثر من وجه وبهذا تكون مصدراً أساسياً من مصادر الفكر الإسلامي.

ثانياً: المصادر الفرعية: وبعد أن بينا المصادر الأساسية للفكر الإسلامي بقي لنا أن نذكر المصادر الفرعية المتفق عليها وهي الإجماع والاجتهاد.

أ- الإجماع.

أما المصدر الثالث من مصادر الفكر الإسلامي فهو الإجماع والذي يعرف بأنه: "اتفاق المجتهدين من أمة محمدﷺ، على حكم شرعي وسواء كان ذلك الحكم مما صرح به صاحب الشرع ﷺ فدثر ولم ينقل، أو لم يصرح به، فوقع الإجماع منهم على ذلك لقرينة حال أو دليل أو غير ذلك مما يوجب الاتفاق"[٤]. إن الإجماع كان حجة بعد عصر النبيﷺ لأن المسلمين كانوا يرجعون إلى رسول الله ﷺ في كل أمر يختلفون فيه ليحكم بينهم.

---

[١]- ينظر: جوامع السيرة: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تح: إحسان عباس ، دار المعارف – مصر ، ط:١، د.ت ، ص:١٨٨.

[٢]- ينظر: الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي: د. فؤاد محسن الراوي ، ص: ٤٣-٤٤.

[٣]- ينظر: السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق: أنور الجندي ، مكتبة دار الانصار- مصر، د.ط ، د.ت، ص:٢٦.

[٤]- مختصر المستصفى: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد ت: ٥٩٥هـ ، تح: جمال الدين العلوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ، ط:١ – ١٩٩٤م ، ص: ٩٠.

وأما عصر الصحابةﷺ وخصوصاً في زمن أبي بكر وعمرﷺ وبما أنهم كانوا حديثي عهد برسول الله ﷺ فقد كان المجتهدون قلة وكانوا معروفين ويتركز وجودهم في المدينة المنورة، وكان الإجماع يعد اجتهاد رأي ويأخذ شكل الشورى، وأما بعد هذا العصر فإن أحكاماً في بعض المسائل وجدت واشتهرت ولم يكن لها مخالف[١].

ومن أمثلة الإجماع بعد عهد رسول الله ﷺ ما حدث من اختيار الخليفة بعد رسول الله ﷺ فكان هذا مثالاً لإجتماع الأمة على أمر واحد في اختيار أبي بكرﷺ خليفة لرسول الله ﷺ قال: "أبو الحسن الأشعري (رحمه الله)"[٢]، في هذا "وقد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله ﷻ عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديقﷺ وسموه خليفة رسول الله ﷺ وبايعوه وانقادوا له، وأقروا له بالفضل"[٣].

وبعد عصر الصحابةﷺ كان منهج من جاء بعدهم في الأخذ بالإجماع واضحاً، ومن ذلك ما حصل في خلافة عمر بن عبدالعزيز (رحمه الله) حينما طلبوه للخلافة، "فقام فخطب بالناس خطبة بليغة، فكان مما قال في خطبته: أيها الناس، إني لست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوال، ثم نزل..."[٤].

وقد اختلف العلماء بحجية الإجماع بعد عصر الصحابة فمنهم من قال: إن حجيته قطعية ومنهم من قال: إن حجيته ظنية، ومنهم من قسم الإجماع إلى مراتب فقدموا إجماع الصحابة ومن ثم إجماع من بعدهم من التابعين وتابعي التابعين، وفي المرتبة الأخيرة الإجماع الذي سبق فيه الخلاف في العصور الأخيرة[٥].

---

[١]- ينظر: الفكر الاسلامي في مواجهة الفكر الغربي: د. فؤاد محسن الراوي ، ص:٤٨.

[٢]- علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصح أبي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة سنة٢٦٠هـ، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة٣٢٤هـ. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها: إمامة الصدّيق و الرد على المجسمة و مقالات الإسلاميين و الإبانة عن أصول الديانة و رسالة في الإيمان. ينظر: الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط:١٥/٢٠٠٢ م، ٢٦٣/٤.

[٣]- الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ت: ٣٢٤هـ ، تح: د. فوقية حسين محمود ، دار الأنصار – القاهرة ، ط:١٣٩٧/١هـ ، ص:٢٥٢.

[٤]- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، ت: ٧٧٤هـ ، دار الفكر ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، ١٨٣/٩.

[٥]- ينظر: الإجماع: أبي بكر بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري٢٤٢هـ - ٣١٨هـ ، تح: أبو عبدالأعلى خالد بن محمد بن عثمان ، دار الآثار للنشر والتوزيع – مصر، ط:١، د،ت ، ص: ١٢-١٣.

رابعاً: الاجتهاد.

إن الفسحة التي أعطتها شريعتنا الغراء للتفكير المنضبط جعلت من المسلمين يُعمِلونَ عقولهم من خلال الاجتهاد في الأحكام الدينية الدنيوية، ولمكانة وأهمية الاجتهاد فقد تنوعت تعريفاته، فعُرف بأنه هو: "استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم مع استفراغ الوسع فيه وهذا سبيل مسائل الفروع ولذلك تسمى هذه المسائل مسائل الاجتهاد والناظر فيها مجتهد"[١].

وعُرف أيضا بأنه: "استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي"[٢]، وعُرف بأنه: "عبارة عن بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة وجهد فيقال اجتهد في حمل حجر... ولا يقال اجتهد في حمل خردلة لكن صار اللفظ في عرف العلماء مخصوصاً ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة والاجتهاد التام أن يبذل الوسع في الطلب بحيث يحس من نفسه بالعجز عن مزيد طلب"[٣].

فالاجتهاد يمثل أصل من اصول الفكر وهو يمثل السعي في استخراج الأحكام والأفكار من النصوص الشرعية، كما أنه يمثل الحركة في مواجهة التغيير والتطور في القضايا والمسائل الاجتماعية المختلفة، وهو أيضاً يمثل القوة والحيوية في الفكر الإسلامي، والذي يعتبر من علامات تحرره من التقليد أفكار الأمم الأخرى، فالاجتهاد بدوره يحقق النمو والقدرة على مواجهة التيارات الجديدة؛ لأن كل أمة من الأمم هي بحاجة إلى التطور وهذا ينطبق على أمتنا الإسلامية غير أن قوانين التطور لدى غير المسلمين يتم صياغتها على خلاف الفكر الإسلامي، ولهذا يجب أن يكون له دور في إعادة صياغة الكثير من الأفكار والقوانين حتى تكون مناسبة للمجتمع، فكان لابد من ضابط لهذا القانون، فبرز الاجتهاد لهذه المهمة لأنه الأقدر عليها؛ لوجود الجوانب المطلقة له على أن لا يعارض ذلك ما رسمته الشريعة الإسلامية من حلال وحرام كون القوانين الثابتة في الشريعة

---

[١] - المحصول: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ت: ٦٠٦هـ ، تح: طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، ط٣: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ٥/٦.

[٢]- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني ت: ٧٤٩هـ ، تح: محمد مظهر بقا ، دار المدني، السعودية ، ط:١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ٢٨٦/٣

[٣]- المستصفى في علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: ٥٠٥هـ ، تح: محمد بن سليمان الأشقر ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ط١ : ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ٣٨٢/٢.

ليس فيها اجتهاد، كما إن الشريعة الإسلامية قد جعلت محيطاً للمسلمين يتحركون في داخله يجربون كل ما يتفق مع زمانهم من غير خروج عن هذا محيط وعن الثوابت الدينية[١].

ooooooo

[١]- ينظر: الشبهات والاخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي: انور الجندي: دار الاعتصام- مصر، د.ط، د.ت ، ص:١٨٤-١٨٥.

المطلب الثالث: حجية الفكر الإسلامي.

يعد التفكير من أهم المظاهر الإنسانية؛ لأن الإنسان قد ميزه الله ﷻ عن غيره من المخلوقات بميزة العقل والتفكير، فبالتفكير يستطيع الإنسان أن يكتشف ما حوله فيواجه الأخطار ويتغلب على الصعوبات، ويتكيف في عالمه ويطور نفسه، وهذا أمر ملموس من خلال رؤية ما وصل إليه الإنسان في إنشاء الحضارات التي تشهد على قوة فكره وكيف استطاع أن يجد لنفسه ما يساعده على البقاء وإعمار هذه الأرض، فالتفكير هو فطرة من الله ومصدرها العقل الذي جعل الله ﷻ البشر يتميزون به، وقد حَرمَ الله ﷻ على الإنسان عزل العقل واذهابه بالمسكرات؛ لأن الله ﷻ أراد من البشر استخدام عقولهم فيما يعتبر هو الهدف الأسمى والذي هو إعمار الأرض لا السعي في خرابها، ولقد ثبتت حجية الفكر الإسلامي من خلال المكانة التي يتمتع بها في الشريعة الإسلامي، وهذا ما يتضح من خلال الآيات القرآنية والتي جاءت تدعو إلى التفكير، وما أكثر ما نجد في القرآن الكريم كلمات مثل يعقلون ويتفكرون وينظرون ويتدبرون[١]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾[٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾[٣]. وأما ما يخص النظر فقد جاءت النصوص القرآنية تدعو إلى النظر من وجوه كثير ومثال ذلك: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾[٤]. ثم نجد أن ارتفاع سقف الدعوة القرآنية إلى التعقل من خلال الدعوة إلى التدبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾[٥].

فالآيات القرآنية التي جاءت دالة على التفكير، تقرر أنه فريضة في الإسلام، كما وتبين أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو الذي يعصم الإنسان من الزلل ويجعل الإنسان ينظر إلى الحقائق بشكل واضح فيميز بين الأشياء بشكل متوازن، فلا يقابل هذا العقل سوى التعصب والجمود والضلال[٦].

---

[١]- ينظر: تجديد الفكر الإسلامي: محسن عبدالحميد ، ص:٤٣-٤٤-٤٦.
[٢]- سورة الرعد: من الآية:٤.
[٣]- سورة آل عمران: الآية:١٩١.
[٤]- سورة الغاشية: الآية:١٧.
[٥]- سورة محمد: الآية:٢٤.
[٦]- ينظر: التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط:٢٠٠٧/٦م، ص:١٢.

ولذلك فإن الدعوة إلى إعمال العقل في القرآن الكريم لم تأتِ على سبيل التكرار، بل جاءت لكون هذه الدعوة نتيجة منتظرة يستلزمها لب هذا الدين وجوهره وينتظرها كل من عرف هذا الدين، فالمتأمل في دين الإسلام يجد تناسقاً واضحاً بين جوهره ووصاياه، فقد جاءت وصايا التعقل في الإسلام مقدرة لا مكان فيها للمصادفة، متصلة غير منفصلة جاءت على نسق واحد، وهذا ما يجعل منها وصايا منطقية في دين يفرض المنطق السليم على كل مستمع للخطاب الديني وقابل للتعلم من المسلمين، فيكون الدين عبادة بين الإنسان وربه بلا واسطة ولا مجاملة، فيحاسب الإنسان عن عمله الذي يهديه إليه عقله وهذا ما جعل الإسلام يدعو إلى أن يبلغ العقل وسعه من الحكمة والرشاد، ولذلك فإن علماء الاسلام يعطون أهمية كبرى للعقل بشرط عدم الخروج عن الثوابت الشرعية [١].

وكذا الحال بالنسبة للسنة النبوية التي كان لها الموقف نفسه من الفكر الإسلامي، إذ إن الرسول ﷺ كان يحث على استخدام العقل والتفكير استخداماً سليماً، فأدرك الصحابةﷺ هذه الحقيقة بشكل عملي من لدن رسول الله ﷺ كما وأدرك أهمية العقل والتفكير من جاء بعد الصحابة ﷺ من التابعين ومن سار على نهجهم من علماء المسلمين حتى أصبح الفكر الإسلامي حقيقة واضحة، حتى يكاد يُجمِعُ علماء المسلمين على حجية العقل الذي يستخدم في مكانه الصحيح والذي ينتج تفكيراً سليماً[٢].

ومثال ذلك قول: "الإمام الشافعي"[٣](رحمه الله) ،"إن الله جل ثناؤه من على العباد بعقول فدلهم بها على الفرق بين المختلف وهداهم السبيل إلى الحق نصاً ودلالة"[٤].

○○○○○○○

---

[١]- ينظر: التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، ص:١٢-١٣.

[٢]- ينظر: تجديد الفكر الاسلامي: محسن عبدالحميد ، ص:٤٣-٤٤-٤٦.

[٣]- محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع أبو عبد اللَّه القرشي المطّلبي الإمام الشافعي الحجازي المكّي أحد أئمة الأربعة عند أهل السنة المعروف بالشافعي ولد سنة١٥٠هـ في غزة ، حاز على مكانة كبيرة في العلم، من مؤلفاته: كتاب الرسالة ، وكتاب الأم ، ومسند الشافعي وغيرها من المؤلفات الكبيرة ، توفي في سنة ٢٠٤هـ في مصر. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله٧٤٨/٦٧٣، تح: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة بيروت، د.ط، ١٤١٣هـ ، ٥/١٠-٦.

[٤]- الرسالة: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي ت: ٢٠٤هـ ، تح: رفعت فوزي عبد المطلب ، دار الوفاء - المنصورة ـ مصر ، ط:١ ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م ، ٢٣٤/١.

الفصل الثاني

أثر النزعة الاستشراقية في تعامل القمني مع القرآن الكريم وبعض أحداث السيرة النبوية.

المبحث الأول: النزعة الاستشراقية في نظرة القمني للقرآن الكريم.

المطلب الأول: المنهج التشكيكي في تأريخ القرآن الكريم.

المطلب الثاني: منهج الأثر والتأثر في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: المنهج التشكيكي في قراءته لأحداث السيرة النبوية.

المطلب الأول: النموذج المكي.

المطلب الثاني: النموذج المدني.

المبحث الثالث: منهج الأثر والتأثر في قراءته لأحداث السيرة النبوية.

المطلب الأول: النموذج المكي.

المطلب الثاني: النموذج المدني.

المبحث الرابع: المنهج الإسقاطي في قراءته لأحداث السيرة النبوية.

المطلب الأول: النموذج المكي.

المطلب الثاني: النموذج المدني.

الفصل الثاني: النزعة الاستشراقية في قراءة القمني للقرآن الكريم ولبعض أحداث السيرة النبوية.

إن المتتبع لما ذهب إليه الطاعنون في دين الإسلام يجد أنهم، لا يدخرون جهداً في إثارة الشبهات حول القرآن الكريم سواء بقولهم أنه محرف أو بدعوى تأثره بالأديان السابقة، كما وتناولوا أحداث السيرة النبوية في مسائل متعددة منها ما يخص نسب النبي محمدﷺ وبعثته، ودعوته وما جاء به، وحتى عن حياته الشخصية مثل زواجه وعمله وغيرها من الأمور، وبما أننا بصدد بيان النزعة الاستشراقية عند القمني وكونه متأثراً بما ذهب إليه المستشرقون فمن غير المعقول أن نغفل عن نظرته للقرآن الكريم ولأحداث السيرة النبوية وما كان له من أراء حولهما، وبناءً على ذلك فقد هذا خصصنا هذا الفصل لبيان النزعة الاستشراقية لدى القمني في قراءته للقرآن الكريم ولبعض أحداث السيرة النبوية.

المبحث الأول: النزعة الاستشراقية في نظرة القمني للقرآن الكريم.

أحتل القرآن الكريم حيزاً كبيراً في دراسات المعادين للإسلام ومنهم القمني، فقد انصبت أبحاثهم على دراسة علومه، وقد تميزت هذه الأبحاث بكونها غير خاضعة للقيود التي يفرضها منهج البحث العلمي، وبالتالي فإن دراساتهم تلك كانت تعتمد التكذيب تارةَ والتشكيك تارةٌ أخرى، وبما أن الأمر فيه تكذيب وتشكيك فيه باعتباره كتاب المسلمين ودستورهم، فلابد أن نبين دور القمني في تناوله للقرآن الكريم؛ كونه ممن تأثر بالمستشرقين والعلمانيين، وعلى هذا فقد تناول هذا المبحث تشكيك القمني في تأريخ القرآن الكريم، وقوله في تأثره بالكتب السابقة، وتفسيره لبعض آياته بما يراه ملائماً لمنهجه.

المطلب الأول: التشكيك في جمع القرآن الكريم.

أولاً: جمع القرآن الكريم: تناول القمني دراسة القرآن الكريم بمنهج تشكيكي قائمٌ على نفي الروايات الصحيحة المتعلقة بجمعه وطريقة هذا الجمع، وبالكلام عن جمعه لابد أن نعلم بأن القرآن الكريم مَر بمرحلتين أثناء الجمع وهي .

أ- المرحلة الأولى في عهد أبي بكر الصديقﷺ[١]. فقد جاء عن: "(زيد بن ثابتﷺ : قَالَ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍﷺ، إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ لِعُمَرَ كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : عُمَرُ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ قَالَ زَيْدٌ قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرَهُ {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَﷺ.)"[٢].

فكانت هذه أول مراحل الجمع التي بدأ بها الصحابة ﷺ بعد وفاة الرسولﷺ.

ب- المرحلة الثانية في عهد عثمان بن عفانﷺ: وكانت هذه المرحلة بعد فترة طويلة من الزمن عن مرحلة أبي بكر الصديقﷺ[٣]. فقد جاءت روايات تؤكد هذه المرحلة من الجمع، عن"(أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ، فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ، مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ، اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ؛ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وعَبْدَ الرَّحْمَانِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وزَيْد بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ، رَدَّ

---

[١]- ينظر: البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط:١/ ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، ٢٣٣/١.

[٢]- صحيح البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، حديث رقم:٤٧٠١، ١٩٠٧/٤.

[٣]- ينظر: المصدر السابق: ٢٣٥/١.

عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ، أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ.)"[١]. فما ذكر يعد نبذة بسيطة عن مراحل الجمع التي مر بها القرآن الكريم، وقد كان تركيز الطاعنين من خلال شبهاتهم على جمع القرآن الكريم، ومن ذلك ما تناوله القمني ومن قبله المستشرقين من شبهات.

ثانياً: النزعة الاستشراقية عند القمني في طريقة الجمع.

أ- قول القمني: لقد تناول القمني مرحلة الجمع في عهد عثمان بن عفانﷺ بنظرة مغايرة لما هو متعارف عليه من الفضل والثناء على ما قام به سيدنا عثمان بن عفانﷺ، فجعل هذا الجمع سبباً في ظهور آيات متناقضة حيث يرى أن القرآن الكريم قد تم جمعه في عهد عثمان بن عفانﷺ بطريقة تسببت بإضافة الآيات الناسخة والمنسوخة معاً، وهذا ما أدى إلى ظهور علم الناسخ والمنسوخ، كما إن هذا الدمج بين الناسخ والمنسوخ قد أدى إلى أن تظهر آيات كثيرة بشكل متناقض، والسبب في هذا التناقض ليس الآيات نفسها إنما هو بسبب طريقة الجمع[٢].

ب- قول المستشرقين: ونظرة القمني عن التناقض الذي حدث في كثير من الآيات القرآنية إنما هي مستمدة من أقوال المستشرقين حيث نجد أن المستشرقين تناولوا مسألة تناقض النص القرآني في مؤلفاتهم، ومنهم المستشرق "**جولد تسيهر**"[٣]، الذي **يقول:** "فلا يوجد كتاب تشريعي، اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات ، كما نجد في نص القرآن"[٤].

ج- وللرد على هذه الشبهات حول جمع القرآن الكريم، نقول: بأن القمني يعتبر التناقض في القرآن الكريم يعود إلى الطريقة التي اتبعها عثمان بن عفانﷺ بجمع القرآن الكريم على الرغم أن القمني لم يذكر الطريقة التي تم بها هذا الجمع، واقتصر في كلامه على ذكر أن طريقة عثمانﷺ في الجمع

---

[١]- صحيح البخاري: كتاب: فضائل القرآن ، باب: جمع القرآن ، حديث رقم: ٤٧٠٢، ١٩٠٨/٤.

[٢]- ينظر: الأسطورة والتراث: سيد القمني، المركز المصري لبحوث الحضارة – القاهرة، ط:١٩٩٩/٣م، ص:٣٦٠.

[٣]- مستشرق من أصول يهودية ولد في المجر سنة ١٨٥٠م، بدأ دراسته الأولى في المجر ومن ثم انتقل إلى المانيا، حصل على شهادة الدكتوراه ومن بعدها عاد إلى المجر ليعين أستاذا مساعداً، وقد كانت له رحلات خارجية أخرى إلى بلاد الشرق مصر وسوريا وفلسطين، له مؤلفات كثيرة والتي من أشهرها كتاب: محاضرات في الإسلام، وكتاب: اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين، استمر في أعماله حتى وفاته سنة: ١٩٢١م. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين – بيروت ، ط:١٩٩٣/٣م ص:١٩٧.

[٤]- مذاهب التفسير الإسلامي: إجنتس جولد تسيهر، ترجمة: عبدالحليم النجار، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة، د.ط ، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، ص:٤.

كانت هي السبب بظهور الآيات القرآنية بمظهر التناقض، وهذا الادعاء باطل كون عثمانﷺ لم يتدخل في تغيير الآيات التي في السور، وكون الترتيب ثابتاً عن الرسولﷺ وبأمره[١]. فكان النبيﷺ عند نزول القرآن الكريم عليه يحفظه ويأمر بكتابته على يد عدد من الصحابةﷺ ومنهم: عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابتﷺ وغيرهم حيث كان هؤلاء يأتون النبي محمدﷺ عند نزول الوحي عليه بالقرآن، فيخبرهم بما نزل، ويأمرهم بكتابته وهم يكتبون ما يمُلي عليهم الرسولﷺ، ومع كتابتهم للوحي فقد كانوا يحفظونه أيضاً، ولم يكن نزول القرآن الكريم بالشكل الذي نقرأه الآن في السورة، بل جاء هذا الترتيب بعمل من الرسولﷺ وبوحي من الله تعالى، حيث كان رسول الله ﷺ يوجه الصحابة الذين يكتبون بأن يضعوا كل أية في مكانها المناسب بحيث تكون هذه الآية من السورة متصلة ومتناسقة مع الآية التي قبلها والتي بعدها وهكذا، حتى أخذ القرآن الكريم شكله الحالي الذي نقرأه بما فيه من تناسق وتكامل وأعجاز بحيث يدل من خلال بيانه أنه كلام رب العالمين، وعلى هذا فإن ترتيب القرآن الكريم هو أمر إلهي وليس عمل اجتهادي[٢].

فلا يعد ترتيب القرآن الكريم عملاً اجتهادياً لا من الرسولﷺ ولا من الصحابة من بعده، فقد نزل الأمر من الله ﷻ على رسوله الله ﷺ بترتيب آيات القرآن وقد سار الصحابةﷺ من بعد وفاة رسول الله ﷺ على هذا الترتيب، وبهذا فإن ما قام به عثمان بن عفانﷺ من جمع ونسخ للمصحف هو من الأعمال الجليلة، فالكلام عن وجود تناقضات في آيات القرآن غير موجود سوى في رأس القمني ومن قبله من المستشرقين، فالتناقض في أي كلام يدل على التهافت والارتباك، كما يدل على وجود خلل في فهم من صدر عنه هذا الكلام، وهذا القول يشير إلى فقد الثقة في الكلام وفي قائله، والقرآن الكريم الذي هو كلام الله عز وجل والذي هو محكم ليس فيه خطأ أبو لبس، وبما أنه متصف بالإحكام فقد دعا الله ﷻ عباده لتدبر هذا القرآن وتحدى أي إنسان أن يجد في القرآن الكريم تناقض أو اختلاف، وهذا دليلاً على أنه كلام رب العلمين وليس كلام بشر: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[٣].

---

[١]- ينظر: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، د.ط: ٢١١/١.

[٢]- المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، د.ط ، د.ت: ص:٢١.

[٣]- سورة النساء: الآية:٨٢.

وقد قال القمني بالتناقض سعياً لإزالة صفة الإحكام ومن ثم يترتب على هذا القول أن القرآن الكريم هو ليس كلام الله ﷻ وهذا ما يريده المعادون للإسلام[١]،

ثالثاً: النزعة الاستشراقية لدى القمني عن بعض سور القرآن الكريم.

لقد أثار العلمانيون والمستشرقون الكثير من الشبه حول القرآن الكريم ومن أبرزها ما يتعلق ببعض السور من وجود زيادة أو نقصان فيها.

أ- **قول القمني:** ومما أثاره القمني في هذا الجانب هو قوله: بأن طريقة عثمان بن عفانﷺ في الجمع كانت قائمة على حذف كثير من الآيات الصحيحة، وقد جاء بروايات صرفها على غير معناها أو ما جاءت به ومن ذلك ما ذكره من حديث عن أُبي بن كعب بأنه ذكر أن سورة الأحزاب كانت مثل عدد آيات سورة البقرة أو تزيد عليها، ثم يعود مرة أخرى فيذكر بأن سبب هذا كله يعود لطريقة جمع القرآن الكريم التي اتبعها عثمان بن عفانﷺ من خلال فرض المصحف الذي جمعه على الناس وتحريق ما سواه من صحف والتي كانت تحمل آيات كثيرة من القرآن الكريم[٢].

ب- قول المستشرقين: فإن كلام المستشرقين عن القرآن الكريم من خلال إثارة الشبهات حوله وحول علومه كان حاضراً وبشكل كبير في مؤلفاتهم ومثال ذلك ما قاله المستشرق، "**(كازانوفا ١٨٦١ – ١٩٢٦م)**"[٣]. والذي يزعم أن الصحابةﷺ قد غيروا فيه بعد وفاة الرسولﷺ من خلال تلاعبهم بنصوصه وحذف بعض الآيات وإضافة أخرى وتقديم وتأخير السور[٤]. وبهذا تكون فكرة اتهام الصحابةﷺ بتغييره مشتركة بين القمني والمستشرقين فالقمني يوجه الاتهام لسيدنا عثمان بن عفانﷺ بأن ما قام به من جمع في مصحف واحد كان سبباً في التغير الذي طرأ على القرآن الكريم كما يدعي، وهذ الأمر ينطبق على المستشرق كازانوفا والذي بدوره يتهم الصحابة من غير تحديد أحدهم بأنهم غيروا فيه.

---

[١]- ينظر: افتراءات المستشرقين على الإسلام: عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة- القاهرة ، ط:١/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ص:٢١-٢٢.

[٢]- ينظر: الأسطورة والتراث: سيد القمني ، ص:٣٦٥-٣٦٦.

[٣]- مستشرق و عالم آثار فرنسي ولد بالجزائر، سافر إلى باريس سنة ١٨٧٩ م وتعلم بمدرسة اللغات الشرقية، وحاضر في الكوليج دي فرانس ومدرسة اللغات الشرقية والجامعة المصرية ، من آثاره محمد ونهاية العالم"، و"جوهرة هارون الرشيد"، و "سر مذهب الفاطميين في مصر"، وترجمة "خطط المقريزي" بالاشتراك، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ١٩٢٦م. ينظر: كتاب محمد ونهاية العالم للمستشرق كازانوفا(عرض ومناقشة): د. إبراهيم عوض، مكتبة الشيخ احمد- القاهرة،د.ط، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ص:٥.

[٤]- ينظر: كتاب محمد ونهاية العالم للمستشرق كازانوفا(عرض ومناقشة): د. إبراهيم عوض ، ص:٣٨.

ج- وللرد على هذه الشبهة يمكن القول: أن ما ورد من شبهة القمني والمستشرقين تتعلق بجوهر القرآن الكريم وكماله وإعجاز نصه، فقد أعتاد أعداء الإسلام من العلمانيون والمستشرقون أن يتهموه، بما تحمله مخيلتهم من أحكام مسبقة، ولهذا السبب يقولون أن النص الموجود فيه هو نص غير مكتمل من خلال ما زعموه بأنه دخل عليه تعديلاً من زيادة ونقص، وهذا القول كذبٌ وافتراء؛ كون هذا الادعاء لم ينقل بحديث صحيح عن الصحابةﷺ فلو كان هذا الأمر حقيقياً لأنكره الصحابةﷺ كونهم قد أنكروا اموراً أقل من هذا ونقلت عنهم فكيف يمكن أن يسكتوا عن التلاعب بالقرآن الكريم؟[١].

أما ما يخص قول القمني بأن عثمان بن عفانﷺ قد فرض على الناس مصحفاً واحداً وحرق ما سواه وأن الذي حرقه كان يحوي آيات قرآنية، فهو قد جمع بين شبهة المستشرقين، وبين نظرته الخاصة فخرج لنا بهذا القول، والحقيقة أن الذي قام به عثمان بن عفانﷺ هو مجرد نسخ لما قام به أبو بكر الصديقﷺ، من جمع للمصحف، كما مر في حديث أنس بن مالكﷺ[١].

كما إن عثمان بن عفانﷺ لم يذهب إلى ما ذهب إليه أبي بكر الصديقﷺ في مسألة الجمع كون هذه المسألة مفروغ منها فقد قام بها أبي بكرﷺ فكان توجه عثمان بن عفانﷺ هو نسخ مصحف أبي بكرﷺ وتوحيد القراءات كون الناس قد اختلفت قراءاتهم فهو قد اعتمد على المصحف الذي جمعه أبي بكرﷺ فما قام به عثمان بن عفانﷺ هو الصواب من خلال جمعه الناس على القراءات الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ومنع ما سواها[٢]. وهذا دليل واضح على أن الصحابة جمعوا القرآن بين دفتين من غير زيادة ولا نقص، والذي دفعهم إلى جمعه هو ما ورد في الحديث من أن القرآن الكريم كان مفرقاً بين الناس، فكانوا يخشون أن يضيع منه شيء فقاموا بكتابته كما سمعوه من النبيﷺ دون تغيير، فالصحابةﷺ بهذا الفعل أرادوا حِفظه وليس العكس[٣].

أما ما يخص حرقه للمصاحف فإن قصة أمر عثمان بن عفانﷺ بحرق الصحف تدل على أنه أحرق ما لا تجوز قراءته، وبالجملة فإن بطلان هذه الشبهة يكون من باب أن عثمان بن عفانﷺ هو

---

[١]- ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: د. عمر إبراهيم رضوان ، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض ، د.ط، د.ت، ٤١٢/١.

[١]- ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي ، ٢٣٦/١.

[٢]- ينظر: الانتصار للقرآن: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)، تح: د. محمد عصام القضاة ، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت ، ط:١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ٥٦/١-٥٧.

[٣]- ينظر: المصدر السابق: ٢٣٦/١.

إمام المسلمين لم يذكر أنه قد طعن في التنزيل أو معترضاً على ما جاء في القرآن الكريم حتى يقوم بتغييره، والأمر الأخر أن ما قام به من حرق لبقية الصحف لم ينكره أحد من الصحابة بل على العكس فقد عدوه فضل له فأن عثمان بن عفانﷺ إمام صالح غير معاند، ولا يخالف الوحي، ولم يحرق إلا ما يجب أن يحرق، حتى إن عليﷺ قال لو كنت مكان عثمان لفعلت ما فعل[١]. وعلى هذا فإن محاولة الطاعنين هي محاولات فاشلة كون هذا القرآن قد تكفل الله ﷻ بحفظه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[٢].

○○○○○○○

[١]- ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ٢٣٦/١.
[٢]- سورة الحجر: الآية:٩.

المطلب الثاني: الأثر والتأثر في القرآن الكريم.

لقد دارت شبهات عديدة حول القرآن الكريم من قبل أعداء الإسلام كلها تهدف إلى التقليل من قيمته في نفوس المسلمين، ومن هذه الشبهات القول بتأثره سواء بالديانات السابقة، أو حتى بأقوال الشعراء، وعلى هذا فلابد من التمييز بين منهج الأثر ومنهج التأثر وهو بحسب المضاف والمضاف إليه، فالقول بتأثره باليهودية بمعنى أن مصدريته مأخوذة من اليهودية كما ذهب إليه بعض المستشرقين، أما قولنا أثره باليهود فقد ذهب إليه القمني عندما ادعى أن مدحه لبني إسرائيل هو من باب مجاملتهم ومحاولة جلبهم إلى صف الدعوة الإسلامية، وهذه هي الشبهات التي أثارها القمني والمستشرقون من قبله.

أولاً: القول بتأثر القرآن الكريم باليهود.

لقد استقرت شبهة تأثر القرآن الكريم بالديانات السابقة عامة والديانة اليهودية خاصة في أذهان أعداء الإسلام فراحوا يوجهون دراساتهم للقرآن الكريم بهذا الاتجاه، ومن خلال تتبع أقوال القمني في مؤلفاته نجد أن نظرته قد اختلفت في هذه المسألة فهو لم يقل بما قاله المستشرقون من أن أصل القرآن الكريم نابع من التعاليم اليهودية، ولذا سنتناول ذلك في اتجاهين نذكر فيهما قول القمني بالأثر وقول المستشرقين بالتأثر.

أ- الاتجاه الأول: قول القمني بالأثر: فالقمني قد درس القرآن الكريم من خلال مؤلفاته وفقاً لمنهج الأثر والتأثر، فركز على أنه كان له أثر في اليهودية، وهذ يتضح من خلال ما ذكره في مؤلفاته، ففي كتابه الحزب الهاشمي ذكر بأن اليهود قد شعروا بارتياح للدعوة؛ لما شهدته آيات القرآن الكريم من تكريم لبني إسرائيل عن باقي البشر، كما وأنه قد جاءت فيه آيات كثيرة تمدح أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام وترفع من شأنهم[١]، فيرى القمني أن هذه الآيات قد جاءت تطيباً لليهود ولجعلهم في صف الدعوة الإسلامية، كما إنه من خلال هذه الشبهة جاء بآيات قرآنية أخرى وأخضعها لنظرته وتفكيره كي يصور للقارئ أن القرآن الكريم لا يختلف عن التوراة من جهة القبول عند اليهود وبالتي يصل إلى ما يريد من بقاء كل صاحب دين على دينه كون القرآن والتوراة واحد في رأيه[٢].

---

[١]- ينظر الحزب الهاشمي: سيد القمني، مكتبة مدبولي الصغير- القاهرة، ط:٤/ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص:١٥٠.
[٢]- ينظر: المصدر نفسه، ص:١٥٠، وينظر: السؤال الاخر: سيد محمود القمني، مؤسسة روز اليوسف، ط:١٩٩٨/١م ، ص:٨٠.

ب- الاتجاه الثاني: قول المستشرقين بالتأثر: إن المتتبع لطروحات المعادين لدين الإسلام يجدهم متفقين على فكرة واحدة وهي معادات الدين الإسلامي حتى وأن اختلفت صيغة طروحاتهم، وهذا ما نجده واضحاً من خلال التقارب الكبير بين أقوال القمني وأقوال المستشرقين ففي مسألة تأثر القرآن الكريم باليهود نجد المستشرق "**تيودور نولدكه**"[١]. قد تناول مسألة تأثره بالديانة اليهودية في كتابه تأريخ القرآن من خلال عرضه لشبهة مجاملة القرآن الكريم لليهود **فيقول:** "إن المصدر الرئيس للوحي الذي نزل على النبي حرفياً، بحسب إيمان المسلمين البسيط وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين، هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية، وتعاليم محمد في جلها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها، لهذا، لا لزوم للتحليل لتكتشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل الكثير من التعاليم والفروض هي ذات أصل يهودي"[٢].

ج- الرد على هذه الشبهات:

١- الرد على شبهة القمني بالأثر: وهذه الدعوة باطلة من أصلها فقد استشهد القمني على قوله بآيات متفرقة قال إنها جاءت لتؤكد أثر القرآن الكريم باليهود، وأن هذه الآيات جاءت لمحاولة كسب اليهود إلى جانب محمدﷺ[٣]، ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾[٤]. والتي جعلت اليهود في رضى تام عن الدعوة الإسلامية كما ادعى القمني، وقد ذكر أن هذه الآيات جاءت عندما كان النبيﷺ في مكة كما إنها تعتبر تهيئة للأجواء في المدينة لقبول الدعوة، فما قاله القمني يعتبر خداع وتزييف للحقائق والذي هو أمر بارز في كتاباته، فهو قد ذكر هذه الآية بعد أن اقتطع منها جزءاً، كما وحرّف سبب نزولها من حقيقتها إلى القول بأنها نزلت على لسان الرسولﷺ إلى بني إسرائيل كي يقبلوا دعوته، وهو ما يجعلها آية من سورة مكية وأنها نزلت قبل

---

[١]- مستشرق ألماني ولد سنة ١٨٣٦م، يعتبر شيخ المستشرقين المعاصرين ، بدأ دراسته الأولية في ألمانيا وقد أتقن اللغة العبرية في وقتها وقب دخوله درس اللغتين السريانية والعربية، كما أنه درس وهو في الجامعة اللغتين التركية والفارسية، وقد حصل على الدكتوراه سنة ١٨٥٦م، من خلال دراسته لتأريخ القرآن، وقد كانت له رحلات خارجية إلى فيينا واطلع فيها على علوم متنوعة ، ثم عاد إلى ألمانيا ليدرس العلوم الشرقية، وفي سن ١٨٦٠م كانت له رحلة إلى إيطاليا ومن بعدها عاد إلى ألمانيا فتم تعيينه معيداً في أحدى الجامعات ، وقد كانت له مؤلفات وأبحاث كثير منها كتاب: تأريخ القرآن ، وكتاب: أبحاث لمعرفة شعر العرب القدماء ، كما وله أبحاث كثير مثل نحو العربية الفصحى و علم اللغات السامية وغيرها وبقي في أبحاثه حتى توفي سنة ١٩٣٠م. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي ، ص:٥٩٥.

[٢]- تأريخ القرآن: تيودور نولدكه ، ترجمة: د. جورج تامر ، دار نشر جورج ألمز ، ط:٢٠٠٤/١م، ٧/١.

[٣]- ينظر: الحزب الهاشمي: سيد القمني، ص:١٥٠، وينظر: السؤال الأخر: سيد القمني، ص:٨٠.

[٤]- سورة الصف: الآية:٦.

الهجرة، وهذه كذبة أخرى، والحقيقة الواضحة أن هذه الآية ذكر لما قاله عيسىعليه السلام لقومه، كما أن (هذه الآية هي من السور المدنية وليست مكية، بل أنها من أواخر السور المدنية)[١]، فكيف يمكن لشخص يدعي الموضوعية والبحث عن الحقيقة أن يزيف حقائق واضحة من خلال اقتطاع أجزاء من الآيات وتحريف نصها وتغيير مكان نزولها، إلا أن تكون له نوايا خبيثة معادية للقرآن الكريم[٢]. كما أن الكثير من آيات القرآن الكريم قد شهدت على ذم اليهود والوعيد الشديد لهم ومن هذه الآيات ما جاءت بصفة الغضب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾[٣]. وهذه الآية تخص اليهود فيما ذكره الله ﷻ[٤].

وما جاءت بصفة اللعن: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾[٥].

"والذين لعنوا على لسان عيسى هم اليهود والذين قامت عليهم الحجّة بعيسى عليه السّلام"[٦].

وما جاءت بصفة الوعد بالعذاب الدائم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾[٧].

وفي قوله تعالى ليبعثن عليهم، أي على اليهود[٧]. وعلى هذا فإن ذكر اليهود في القرآن الكريم ليس لرفع مكانتهم أو من أجل أن يكونوا في صف الدعوة، بل على العكس كان أكثر ذكر لهم في القرآن الكريم مقرون بكل أنواع الغضب واللعن والوعد بالعذاب.

---

[١]- ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١/١٤٠٥هـ ، ١٤٣/٧.

[٢]- ينظر: التنوير بالتزوير(مساهمة في نقد الخطاب العلماني): منصور أبو شافعي ، مكتبة النافذة للنشر- مصر، ط:١/٢٠٠٨م، ص:٩٦-٩٧.

[٣]- سورة آل عمران: الآية:١١٢.

[٤]- ينظر: مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط:٣/ ١٤٢٠هـ ، ٣٢٨/٨.

[٥]- سورة المائدة: الآية:٧٨.

[٦]- درج الدرر في تفسير الآي والسور: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تح: طلعت صلاح الفرحان و محمد أديب شكور أمرير ، دار الفكر - عمان، الأردن ، ط:١/ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، ٥٧٨/١.

[٧]- سورة الأعراف: الآية:١٦٧.

[٧]- ينظر: تفسير القرآن العظيم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ، ط:٣/ ١٤١٩هـ ، ١٦٠٤/٥.

٢- الرد على شبهة المستشرقين بالتأثر: والحقيقة أن ادعاء المستشرقين بأن القرآن الكريم مأخوذ عن اليهود هو ادعاء باطل، والأدلة على بطلانه وعدم قيمته كثيرة، والتي نجدها فيما جاء به القرآن الكريم والكتب الأخرى والتي هي التوراة والإنجيل، فعقيدة التوحيد التي جاء بها وما تمثله من كونها ركيزة الإيمان الأولى تختلف عن ما جاءت به كتب التوراة والإنجيل من أصول إيمانية، ففيه جاء ذكر الله ﷻ بأوصاف الكمال والتنزيه، وهذ مختلف عن اصول الإيمان في الديانات الأخرى فنجد أن اليهود قد خرجوا عن دائرة التوحيد من خلال إطلاق الأسماء على الله ﷻ وتوصيفه بما لا يليق به: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[١] .

أما ما يخص الإيمان بالرسل فقد جاء ذكر الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم والحث على تصديق ما جاءوا به من رسالات، وأنهم عباد الله الذين اصطفاهم لهذه الرسالات، وهذا مختلف عند اليهود فهم لا يعترفون إلا برسلهم، وحتى الأنبياء عليهم السلام الذين أرسلهم الله ﷻ، إلى بني إسرائيل فعلى الرغم من اعتراف اليهود بهم إلا أنهم قد وجهوا لهم شتى أنواع الافتراءات من خلال اتهامهم بالزنى والآثام وحب النساء حتى وصل الحد باليهود إلى "اتهام سليمانﷺ بأنه وثني"[٢].

وأما ما يخص التشريعات فالربا مثلاً فيه هو تعامل محرم على كل وجه، أما في تشريع اليهود في التوراة ينص على إن التعامل بالربا محرم بين اليهود فقط أما إذا أخذ اليهودي الربا من شخص غير يهودي فهذا حلال، وأما من حيث القصص التي وردت فيه فقد يكون هنالك تشابه بالقصص غير أن لا يعد إلا من حيث وحدة المصدر الذي جاءت منه الكتب السماوية، وأن هذه القصص لم يطلها التحريف، وعلى الرغم من ذلك نجد فيه قصصاً لم ترد في التوراة مثل قصتي عاد وثمود[٣].

كما إن أغلب آيات القرآن الكريم نزلت في مكة، ولم تكن مكة مكاناً لليهود أو النصارى، ولم يكن للنبيﷺ أي صلة بهم خارج مكة، وما نزل من القرآن الكريم بالمدينة كان حجة قوية على اليهود حيث بين ضلالهم وافتراءاتهم، فهل يمكن رغم كل هذا أن يكون اليهود هم الذين سلموا محتويات القرآن الكريم إلى خاتم الأنبياء؟! فكيف يعطونه كلاماً يبطل دينهم ويكون دليلاً على سوء عاقبتهم؟[٤].

---

[١]- سورة التوبة: من الآية ٣٠.
[٢]- موقع الكتاب المقدس على شبكة الأنترنت: سفر الملوك ، الإصحاح الحادي عشر: د.ط، د.ن:https://www.enjeel.com/bible.php?op=read&bk=11&ch=11.
[٣]- افتراءات المستشرقين على الإسلام: عبدالعظيم أبراهيم محمد المطعني: ص:١٥.
[٤]-المصدر نفسه: ص:١٦.

ثانياً- القول بتأثر القرآن الكريم بالشعر الجاهلي.

لقد طرق المعادون كل أبواب الشبهات محاولين بذلك التقليل من مكانة القرآن الكريم وإنكار إعجازه، فبعد أن استعرضنا قولهم بتأثره باليهود نذكر الأن القسم الثاني من هذا المطلب وهو قولهم بتأثره بالشعر الجاهلي.

أ- **قول القمني:** اتبع القمني منهجاً معيباً في عرض مسألة تأثر القرآن بالشعر الجاهلي إذ أنه لم يذكر ذلك بصورة مباشرة غير أنه عمد إلى اقتطاع نصوص من كتاب المفصل، للدكتور"(جواد علي)"[١]، في مسألة تأثر القرآن الكريم بالشعر الجاهلي وتوجيهها لخدمة أفكاره، فهو يسير على وفق فكرة تأثره بعقيدة "الأحناف"[٢]، وقد جاءت أراء القمني في هذه المسألة من خلال **قوله:** "إن الفكر السليم ليعزو انتشار الحنيفية في الجزيرة والحجاز إلى تمهيد هؤلاء وتوطئتهم"[٣]. فكما كان لهم دور في انتشار الحنيفية فكذلك الأمر ذاته ينطبق على الإسلام، ومن الحنفاء الذي أثاروا إعجاب القمني هو "ابن أبي الصلت"[٤]، فقد جاء القمني بنص منسوب إلى الدكتور جواد علي يذكر من خلاله مسألة تأثر القرآن الكريم بشعر امية ابن أبي الصلت، إذ يقول القمني: "ويقول جواد علي ما نصه: وفي أكثر ما نسب إلى هذا الشاعر من أراء ومعتقدات ووصف ليوم القيامة والجنة والنار تشابه كبير وتطابق في الرأي جملة وتفصيلا، لما ورد عنها في القرآن الكريم، بل نجد في شعر أمية استخداما لألفاظ وتراكيب واردة في كتاب الله ﷻ والحديث النبوي قبل المبعث فلا يمكن – بالطبع – أن يكون أمية قد اقتبس من القرآن لأنه لم يكن منزلا يومئذ، وأما بعد السنة التاسعة الهجرية؛ فلا يمكن أن يكون قد اقتبس منه أيضا لأنه لم يكن حياة فلم يشهد بقية الوحي !! ولن يكون هذا الغرض مقبولا في هذه الحال.. ثم إن أحدا من الرواة لم يذكر أن أمية ينتحل معاني القرآن وينسبها لنفسه، ولو كان

---

[١]- استاذ متمرس -جامعة الموصل ، وكاتب ومؤرخ، ولد في الكاظمية ببغداد سنة ١٩٠٧م ، درس في الاعظمية وبعد ذلك أكمل دراسته في كلية التربية وبعد تخرجه سنة ١٩٣١ عين مدرسا في إحدى المدارس الثانوية ،كما حصل على الدكتوراه من جامعة هامبورغ سنة ١٩٣٩، كما عمل أستاذاً في جامعة بغداد، من مؤلفاته: التأريخ العام، وتأريخ العرب قبل الإسلام، والمفصل، وغيرها من المؤلفات، وتوفي سنة ١٩٨٧م . ينظر: الموقع الإلكتروني لجامعة بغداد لجامعة بغداد على شبكة الأنترنت، د.ت: https://museum.uobaghdad.edu.iq.

[٢]- هي لفظة كانت تطلق على مجموعة من الناس في الجاهلية قبل الإسلام، نسبة إلى إبراهيم ﷺ، فقد كان العرب في الجاهلية يطلقون على من يجدون عنده تمسك بأشياء من دين إبراهيم ﷺ فيسمونه حنيف، ومن الأشياء التي كانت معروفة عند أحناف الجاهلية هي الحج والختان. ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ٥٧/٩، (مادة: حنيف).

[٣]- الحزب الهاشمي: سيد القمني، ص:١١٦.

[٤]- أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعا على الكتب القديمة، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك اللهم، لم يسلم وبقي في الطائف حتى مات سنة ٥هـ. الأعلام: الزركلي ، ٢٣/٢.

قد فعل لما سكت المسلمون عن ذلك. ولكان الرسول أول الفاضحين له"[١].

فالقول الذي اعتمد عليه القمني نجده مختلفاً عن الأصل الموجود في كتاب المفصل لجواد علي إذ يطرح الدكتور جواد علي، شبهة تأثر القرآن الكريم بشعر امية ابن أبي الصلت في كتابه، فيقول: "وفي أكثر ما نسب إلى هذا الشاعر من آراء ومعتقدات دينية، ووصف ليوم القيامة والجنة والنار، تشابه كبير وتطابق في الرأي جملة وتفصيلا لما ورد عنها في القرآن الكريم. بل نجد في شعر أمية استخدامًا لألفاظ وتراكيب واردة في كتاب الله وفي الحديث النبوي، فكيف وقع ذلك؟ وكيف حدث هذا التشابه؟ هل حدث ذلك على سبيل الاتفاق أو أن أمية أخذ مادته من القرآن الكريم، أو كان العكس، أي أن القرآن الكريم هو الذي أخذ من شعر أمية فظهرت الأفكار والألفاظ التي استعملها أمية في آيات الله ﷻ وسوره؟ فكتاب الله ﷻ إذن هو صدى وترديد لآراء ذلك الشاعر المتأله، أو أن هذا التشابه مرده شيء آخر هو تشابه الدعوتين واتفاقهما في العقيدة والرأي، أو اعتماد الاثنين على مورد أقدم، هما الكتابان المقدسان: التوراة والإنجيل، وما لهما من شروح وتفاسير، أو كتب أو موارد عربية قديمة كانت معروفة ثم بادت وبقي أثرها في القرآن الكريم وفي شعر أمية بن أبي الصلت، أو أن كل شيء من هذا الذي نذكره ونفترضه افتراضاً لم يقع، وإن ما وقع ونشاهده، سببه أن هذا الشعر وضع على لسان أمية في الإسلام، وأن واضعيه حاكوا في ذلك ما جاء في القرآن الكريم فحدث لهذا السبب هذا التشابه"[٢].

ب- قول المستشرقين: لقد كان تناول أكثر المستشرقين القرآن الكريم من جانب بعيد كل البعد عن الموضوعية، من خلال إثارة الشبهات والطعون والتي منها القول بتأثره بأشعار الجاهلية وبالتحديد أشعار أبن ابي الصلت، ومن المستشرقين الذي قالوا بهذا القول هو: "**كليمان هوارت** "[٣]. فهو من الذين أضافوا مصدراً أخر للقرآن الكريم، والذي يتمثل بالشعر الجاهلي، فقد زعم هذا المستشرق بأنه

---

[١]- الحزب الهاشمي: سيد القمني: ص:١٢٣-١٢٤.

[٢]- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ)، دار الساقي- لبنان ، ط:٤/١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، ٦٦/١٢.

[٣]- مستشرق وباحث فرنسي (١٢٧٠-١٣٤هـ = ١٨٥٤-١٩٢٧م) ولد في باريس وبدأ تعليمه فيها بمدرسة اللغات الشرقية، وقد أتقن في طفولته اللغة الجزائرية، وقد شغل منصب عضو المجمع العلمي العربي، والمجمع العلمي الفرنسي، وعين مترجماً للقنصلية الفرنسية بدمشق سنة ١٨٧٥ وعاد إلى باريس سنة ١٨٩٨ وهو يحسن العربية والتركية والفارسية، فكان مترجماً في وزارة الخارجية الفرنسية، ومثل حكومته في مؤتمري المستشرقين بالجزائر سنة ١٩٠٥ وفي كوبنها جن ١٩٠٨، وألف عدة كتب بالفرنسية منها تاريخ بغداد، والآداب العربية، والبدء والتاريخ لابن المطهر، مع ترجمته إلى الفرنسية، في ستة مجلدات. ينظر: الاعلام: للزركلي ، ٢٣٢/٥.

وجد مصدراً جديداً من مصادر القرآن الكريم وهو شعر أمية ابن أبي الصلت من خلال مقارنته لهذا الشعر مع آياته[١] .

ج- الرد على هذه الشبهات.

ولقد ناقش الدكتور جواد علي أدعاء تأثر القرآن بشعر أميه بن أبي الصلت، وكون هذه الفكرة مستحيلة؛ لأن الإشارة إلى أن شعر أميه أقدم من القرآن الكريم، مسألة لا يمكن إثباتها أبدا، كما أن قريش ومن حولهم ممن كانوا ضد النبيﷺ لو علموا بهذا التأثر لما سكتوا عنه، ولسمعنا عنهم أنهم أتهموا الرسولﷺ بأن قرآنه مأخوذ من كلام أميه، كما حدث من اتهامهم للرسولﷺ أن الذي يعلمه هو شاب نصراني وهذا ما أشار أليه القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[٢]. فلم يأتِ ذكر في القرآن الكريم أو في السنة النبوية بأن المشركين قد اتهموا رسول الله ﷺ بأن القرآن الكريم الذي جاء به فيه ما هو مأخوذ من أشعار أمية ابن أبي الصلت، فلو كان لهم مثل هذا الرأي لكان هنالك رد من الله ﷻ على قولهم، ثم إن أمية لو كان يعلم أو يظن أن محمداً قد أخذ شيء من أشعاره ووضعه في القرآن الكريم، لما بقي صامتاً لأنه خصم عنيد، وكان يتطلع أن يكون هو النبي، ثم حدث ذلك لشخص آخر، فاتبعه الناس وآمنوا بدعوته[٤].

وعلى هذا يمكن القول إذا كان هنالك شبهة ولو بعيدة بأن القرآن الكريم فيه من أشعار أميه، أو حتى الظن بوحدة المورد الذي حصل منه أمية على نفس هذه الفكرة، فهل يمكن أن يسكت أمية؟ ولو كان ذلك لكان قد دعا الناس وأخبرهم أنه ومحمدﷺ أخذا من نفس المكان، أو أن محمدﷺ قد أخذ منه، ولكانت قريش قد اتخذت هذا الأمر حجة أخرى لرفض الدعوة، إذاً فلا علاقة له بالدعوة ولا علاقة لقريش بالأمر، ثم يقرر الدكتور جواد علي على أن هذا الارتباط والتفاهم يعتمد على الفن والتأليف، وكان أمية شاعراً، لا شك في ذلك، لأن الرواة جميعاً متفقون على هذا الرأي، وقد تمرد على قومه وغضب منهم بسبب عبادتهم للأصنام، كما أنه كان على مستوى معين من التوحيد والمعرفة باليهودية والمسيحية، لكن لا أعتقد أنه كان يعرف كل المعلومات عن الله ﷻ، والعرش

---

[١]- ينظر: المستشرقون والقرآن الكريم: د. محمد أمين حسن ، دار الأمل للنشر والتوزيع- الأردن ، ط:١/٢٠٠٤م ، ص:٢٥٣.
[٢]- سورة النحل: الآية:١٠٣.
[٤]- ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي، ٦٨/١٢.

والملائكة والقيامة والجنة والجحيم ونهاية العالم والثواب والعقاب، الخ. كما هو مذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية، فهذه مسألة إسلامية فقط؛ ولم يذكر لها تفاصيل عند اليهود أو النصارى أو الحنفية، وأما ما هو موجود في شعر أميه من الأقوال والألفاظ الإسلامية هو فعل جماعة فعلت ذلك في العصر الإسلامي: وادخلوه في شعر أميه، كما أدخلوا هم أو غيرهم في لغات الشعراء الآخرين؛ كونهم قد اعتقدوا أن هذا أمر مفيد للإسلام، أو أن الذي فعل ذلك كان يريد الطعن في القرآن الكريم[١].

وعلى العموم فإن هذه الافتراءات قد جاء تكذيبها من القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[٢].

"قوله: {ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا} يعني: من قبل إنزال القرآن"[٣].

فهذا إثبات من الله ﷻ بأن المشركين لا يعلمون من القرآن الكريم شيء، ولو كان فيه شيء مأخوذ من أشعار أميه لكان المشركون قد تكلموا بذلك ولكان حجة لهم لدحض حجية أعجازه، وبالتالي فإن ما جاء من تشابه نرده إلى سبب الأشعار المنحولة والمنسوبة والتي كتبت بعد نزول القرآن الكريم وبعد وفاة أميه، وهي ذات طابع تأثري بما جاء فيه، وهذا ما أدى إلى وجود التشابه.

○○○○○○○

---

[١]- ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي: ٦٩/١٢-٧٠-٧١.

[٢]- سورة هود: الآية٤٩.

[٣]- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) ، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض – السعودية ، ط:١٤١٨/١هـ- ١٩٩٧م ، ٤٣٤/٢.

المبحث الثاني: المنهج التشكيكي في قراءة القمني لأحداث السيرة النبوية.

من المناهج التي أتبعها في دراسته للإسلام هو المنهج التشكيكي وهذا لا يعد خاصاً به فقط، فكل من حاول إثارة شبهات حول الإسلام من مستشرقين وعلمانيين، كان عندهم أولوية للمنهج التشكيكي في طروحاتهم، وفي هذا المبحث سنركز على أحداث السيرة النبوية التي حاول التشكيك فيها سواءً كانت في العهد المكي أو المدني.

المطلب الأول: في العهد المكي.

لقد كان تركيز الطاعنين بالسيرة النبوية على العهد المكي؛ لأن هذا العهد قد شهد مبعث الرسالة وبداية الدعوة الإسلامية، وهو عهد التأسيس لبناء قاعدة إيمانية لجيل سيكون دولة تحكم العالم بالعدل والمساواة وتحقيق الأمن والاستقرار، ولهذا نجد أن كتابات القمني ومن قبله من المعادين كانت تتسم بالتشكيك منهجاً، وعرضاً، واختياراً، وقد كانت لهم أراء كثيرة تشكك بما جاء من أحداث السيرة النبوية في العهد المكي.

أولاً: قراءته لبعض الأحداث قبل البعثة.

إن أهم ما تطرق له القمني في هذه الفترة قضيتين.

أ- **إرهاصات النبوة:** لقد سبقت البعثة علامات وإرهاصات وبشارات بقرب بعثة نبي أخر الزمان، فكانت هذه الإرهاصات من الأمور التي تناولها المستشرقون ومن تبعهم وشككوا بها وهذا ما سنتعرف عليه من خلال الآتي.

شبهات القمني: لقد اتخذ منهج التشكيك بهذه العلامات والإرهاصات **إذ يقول:** "والدليل على أن الجاهليين كانوا يتطلعون إلى نظام جديد، أنهم كانوا حسب تفكيرهم يتحدثون عن علامات ونذر تنبيه عن قرب ظهور نبي منهم، وقد روى القدماء معجزات ونذراً قالوا: إنها وقعت قبل ظهور الإسلام إرهاصاً به ومدينة بقرب ظهوره، وتلك الروايات – إن صحت (!!) – كانت دليلاً على أن الجاهليين تطلعوا إلى الإصلاح، وإلى ظهور مصلح من بينهم وكان الإصلاح قديماً لا يتأتى إلا على أيدى الحكماء والأنبياء، وهذا التطلع الطبيعي في كل جماعة إحساس ضروري يسبق كل حركة إصلاحية ويمهد لها"[١].

---

[١]- حروب دولة الرسول: سيد القمني، مكتبة مدبولي الصغير- مصر ، ط:٢/١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ص:٢٥.

يتضح أن مسألة حدوث الإرهاصات في نظر القمني هي واقعة تحت مظلة التعجب الدال على الإنكار الضمني.

شبهات المستشرقين: لقد تناغمت أقوال القمني مع ما سلكه المستشرقون من تشكيك بالأحداث التي تخص سيرة الرسولﷺ قبل البعثة، ففي كتاب (محمد في مكة) للمستشرق "**مونتجيمري وات**"[١]، نجده يتكلم بأسلوب الشك عن إرهاصات النبوة **فيقول:** "فهناك أيضا حكايات كثيرة تصوره على أنه كان شخصية ذات أبعاد غيبية، في هذه المرحلة المبكرة من عمره، وهناك طائفة من المؤرخين الذين لا يؤمنون بالغيبيات يكادون يجزمون بعدم صحة هذه الروايات، لأنها تشير إلى أمور من المنطقي أن نتوقع الإشارة اليها بعد أن أصبح نبياً، وهو ما لا نجد إشارة اليه، لكن المؤكد أن هذه الروايات تعبر عن شيء بالنسبة للمسلمين المؤمنين، وبالتالي فهي حقيقية بالنسبة لهم ومناسبة لإطالة حياة نبيهم"[٢].

وللرد على ذلك: فقد ظهر أسلوب التشكيك واضحاً في أقوال القمني وأقوال المستشرقين عن إرهاصات النبوة كلها من غير تفريق بين ما كان صحيحاً ثابتاً عند المسلمين، وبين ما هو مشكوك في صحته، وهذا ما يعد خللاً منهجياً في طريقة البحث المتبعة عندهم، فمن الأشياء التي طالها التشكيك هي مسألة حادثة شق الصدر التي حدثت للرسولﷺ عندما كان صغيراً، والتي اتفقت على صحتها كتب الحديث والسّير، "(عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه.. فقالوا: إن محمداً قد قتل.. قال أنس: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)"[٣].

---

[١]- وليم مونتجمري وات Montgomery Watt. مستشرق إنجليزي معاصر ولد عام ١٩٠٩م والده القسيس أندرو وات، درس في عدة جامعات، كما عمل راعياً لعدة كنائس في لندن وفي أدنبره ، نال درجة الأستاذية عام ١٩٦٤م، عمل رئيساً لقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من ١٩٤٧-١٩٧٩. وقد اهتم بدراسة سيرة النبي ﷺ، وهو معروف لدى طلابه بتعصبه ونزعاته التنصيرية ، يعد من أبرز أعلام المستشرقين المعاصرين في بريطانيا وأكثرهم تنوعاً في مجال دراسته الإسلامية ، من أهم أعماله كتاب محمد في مكة وكتاب محمد في المدينة. ينظر: المستشرقون : نجيب العقيقي ، دار المعارف- مصر، ط:٣، ١٩٦٤م، ٥٥٤/١.

[٢]- محمد في مكة: مونتجيمري وات ، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ – حسين عيسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان- مصر، د.ط، د.ت ص:٩٦.

[٣]- المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت: ٢٦١هـ ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت: كتاب: الإيمان ، باب: الإسراء برسول الله إلى السماوات ، حديث رقم:٢٦١ ، ١٤٧/١.

وقد وردت هذه القصة من حليمة السعدية وهي مرضعة وحاضنة الرسولﷺ **حيث قالت:** "فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد، فقال: ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه، فنجده قائما منتقعا لونه، فاعتنقه أبوه وقال: يا بني ما شأنك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، أضجعاني وشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان، فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف، قالت حليمة: فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به، فقدمنا به عليها فقالت: ما رد كما به ...، فقد كنتما عليه حريصين؟ فقالا: لا والله، إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى الإتلاف والأحداث نرده إلى أهله، فقالت: ما ذاك بكما، فأصدقاني شأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، فقالت: أخشيتما عليه الشيطان؟! كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، والله إنه لكائن لابني هذا شأن، ألا أخبركما خبره؟ قلنا: بلى، قالت: حملت به فما حملت حملا قط أخف منه، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام، ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود، معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء، فدعاه عنكما"[١].

وهذا لا يدع مجالاً للشك في ثبوت هذه القصة وبالتالي ثبوت إرهاصات النبوة، أما التشكيك في صحتها فهو ليس غريباً عن المستشرقين ومن سار على نهجهم فهذا هو منهجهم، فهم يشككون بكل الأحداث التي تخص السيرة النبوية بغض النظر عن درجة ثبوتها، وحتى إن أثبتوها فلا يعدونها من مقدمات وإرهاصات النبوة بل يحاولون تفسيرها على ما يريدون فنجد **المستشرق** "**وليم موير**"[٢].

من خلال كتابه حياة محمد يصنف هذه الحادثة على أنها نوبة صرع **فيقول:** "فرجعت حليمة معه إلى قبيلتها، وبعد مرور عامين آخرين، وقع حدث غريب أثار قلق ممرضته بشدة، ربما كانت نوبة صرع، ولكن الأسطورة الإسلامية قد صبغته بالعديد من السمات الرائعة التي جعلت من الصعب

---

[١]- البداية والنهاية: ابن كثير، ٢/٢٧٤.

[٢]- مستشرق اسكتلندي ، عمل في حكومة الهند له مؤلفات : حياة النبي ، التاريخ الإسلامي. قذف الدين الحنيف بأنه دين شهوات وأن القرآن الكريم مجموعة من الحكايات اليهودية والمسيحية مسروقة من التوراة وغير موثوق بها. وقد نال هذا المتحامل أجور تعريضه بالحق أن نال لقب «سير » مكافأة له على تعصبه ضد الإسلام وجهوده المستميتة، ينظر: معجم افتراءات الغرب على الاسلام: انور محمد زناتي، موقع نصرة رسول الله، د.ط، د.ت https://rasoulallah.net ص: ١٣٨.

اكتشاف الحقيقة"[١]، فما حدث للرسولﷺ عندما كان موجوداً في بني سعد هو بلا شك يعد من إرهاصات النبوة ودليل من الله تعالى على اختيار محمدﷺ لأمر مهم، وهذه الحادثة قد رويت بطرق صحيحة عن غير واحد من الصحابةﷺ ومنهم أنس بن مالكﷺ حسب الرواية التي مر ذكرها.

والحكمة من هذا الحدث –والله أعلم– ليس أن الشر الذي في جسد رسول الله ﷺ قد استؤصل عن طريق إخراج علقة من جسده، فلو كان الشر ناشئاً من علقة في غدة أو جزء من الجسد، لكانت العملية الجراحية قد حولت الشر إلى خير، ولكن يبدو أن هناك حكمة في إعلان أوامر النبيﷺ بالوسائل الجسدية منذ الصغر لتهيئة الناس للعصمة والوحي، وتقريبهم من الإيمان، وبعبارة أخرى هي عملية تطهير معنوي، ولكنها أخذت شكلاً مادياً حتى يدخل هذا الوحي الإلهي إلى أعين الناس وأسماعهم، ومهما كانت الحكمة، فإنه لا ينبغي للمرء أن يحاول أن يجد طريقاً للهروب من المعنى الحقيقي الواضح لهذا الحديث إلى تأويلات متكلفة وغريبة، أو إنكار حقيقة هذه القصة، فعلى الرغم من صحة الحديث، فإن من يحاول الإنكار لن يجد مبرراً لفعله إلا ضعف الإيمان بالله عز وجل، ولابد أن نوضح أن مقياس قبولنا للخبر هو صحة صدق روايته، فإذا ثبتت الرواية ثبوتًا واضحاً فلا خيار لنا إلا أن نقبلها بصدق، ومقياس فهمنا حينئذ هو دلالات اللغة العربية وحكمها، أما إذا أتيح للباحثين والقراء أن يصرفوا الحديث عن معناه الحقيقي إلى دلالاته المجازية المختلفة ويختاروا ما يشاؤون من بينها، فستضيع قيمة اللغة ويبتعد الناس عن مفهومها، فما هي الفائدة للذي يطلب التأويل ويسعى إلى إنكار الحقيقة؟؛ كون هذا الفعل لا يصدر إلا من ضعف الإيمان بالله ﷻ وبنبيه ﷺ وإلا فإنه من السهل تصديق كل ما يُنقل سواء عرفت الحكمة والعقل أم لم تعرفه[٢].

ب– زواج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها: لم يقف القمني عند حد التشكيك بإرهاصات النبوة بل أستمر في نهجه متأثراً بمن سبقه من العلمانيين والمستشرقين المعادين للإسلام، فتناولوا الحياة الشخصية للرسولﷺ من خلال التشكيك بغاية الرسولﷺ من زواجه بخديجة رضي الله عنها.

شبهات القمني: شكك القمني بغاية الرسولﷺ من الزواج بخديجة رضي الله عنها من خلال. **قوله:** "ومعلوم أن المصطفىﷺ بعد أن طوت راحة الزمن جده عبد المطلب – شب في كنف عمه أبي طالب، وببلوغهﷺ مرحلة الشباب تزوج السيدة خديجة رضي الله عنها التي ... كانت امرأة تاجرة ذات

---

[1]- THE LIFE OF MOHAMMAD : SIR WILLIAM MUIR: EDINBURGH: JOHN GRANT 31 GEORGE IV- BRIDGE1923:p118.

[٢]- فقه السيرة: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر – بيروت ط:١٤١١/١٠هـ - ١٩٩١م، ص:٧٣-٧٤.

شرف ومال.. وكانت تكبر النبيﷺ بنحو خمس عشرة سنة؛ مما وفر له الوقت الكافي، والاطمئنان النفسي للانصراف من السعي وراء الرزق إلى التفكير في شؤون قومه.."[١].

شبهات المستشرقين: تناول المستشرقون زواج الرسولﷺ من السيدة خديجه رضي الله عنها من جانب تشكيكي، كما حاولوا أثارة فضول القارئ عن الغاية التي تدفع شاب إلى الزواج من امرأة تكبره بأكثر من نصف عمره، وقد كان تلميحهم إلى أن سبب ذلك الزواج هو الثروة التي كانت تملكها خديجة رضي الله عنها، فنجد على سبيل المثال المستشرق "**إميل درمنغم (١٨٩٢- ١٩٧١)**"[٢]. في كتابه الشخصية المحمدية **يقول:** "توانى محمد قليلاً في الأعمال منذ حين، وصار لا يبالي بالتجارة والقوافل كما يجب، وغدت أموال زوجته لا تنمو بانتظام، فمحمد إذ وجد عنده ما يغنيه عن كسب عيشه اليومي"[٣].

وللرد على ذلك: بلا شك أن هذا الطرح يفتقد إلى الدقة فمن البداية لم يكن أمر الزواج قد خطر على بال الرسولﷺ فالزواج من خديجة رضي الله عنها بدأ من جانبها وكما تم ذكره في كتب السيرة الصحيحة "وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له.. يا بن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك... وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضَت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه"[٤].

كما أنهﷺ لم يكن ملكاً في حد ذاته ولم تكن تجذبه اهتمامات البشر، حيث إنه كان في عزلته يتفكر.. ويتأمل.. ولا تزال روحه تؤدي دورها في الإصلاح حيث كان يأكل من تعب يديه.. ولا ينسى حق أهله عليه، كما أنه لم يكن يبتعد عن أهله إلا بضعة أيام، فلا يغفل فيها عن حق زوجته عليه، وما للناس عليه من حقوق، فضلاً عن عدم تضييعه لحق الله ﷻ عليه في هذا كله فكان النبيﷺ

---

[١]- الحزب الهاشمي: سيد القمني ، ص:١٣١.

[٢]- وهو أحد أكبر المستشرقين الفرنسيين ولد في باريس وكان له اهتمام كبير بالدين الإسلامي، وهذا ما دفعه للسفر إلى البلاد العربية وتحديداً الجزائر فعمل مدير لمكتبة الجزائر، من مؤلفاته: كتاب الشخصية المحمدية ، وكتاب محمد والسنة الإسلامية ، وكتاب سيرة الأولياء المسلمين، وغيره من المؤلفات. ينظر: المستشرقون : نجيب العقيقي ، ٢٩٧/١.

[٣]- الشخصية المحمدية: إميل درمنغم ، ترجمة: عادل زعيتر ، الشعاع للنشر والتوزيع- مصر ، ط:٢٠٠٥/٢م، ص:٧١.

[٤]- السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط:١٣٧٥/٢هـ - ١٩٥٥م ، ١٨٩/١.

طوال حياته نزيهاً مخلصاً أميناً حتى بُعِثَ فلم يلجأ إلى الكسل أو الخمول ولما كبر كان يرعى الغنم، ولما شب اشتغل بالتجارة، عند خديجة قبل أن يتزوجها وبعد ما تزوجها ويأكل من عمله [١]، ومصداقاً لذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨﴾[٢].

أي أن الله ﷻ "وجدك فقيرا ذا عيال لا مال لك، فأغناك بربح التجارة في مال خديجة، وبما منحك الله من البركة والقناعة"[٣].

وتعبدهﷺ لم يكن عائقا أمام كسب رزقه، كونه كان يعتكف أيام معدودات في السنة وتكون هذه الأيام مخصصة للتعبد والتفكر وباقي الأيام يقضيها حياة طبيعية، وهذا عكس قول القمني وقول المستشرقين من أنهﷺ قد تفرغ للتعبد بعد زواجه من خديجة رضي الله عنها لِما وجده من كفاية مادية بأموالها، والأمر المهم الأخر هو أن رسول الله ﷺ تزوج وعمره خمس وعشرون سنة وعزلته كانت قبل البعثة بثلاثة سنين أي في سن السابع والثلاثين فكل هذه السنين لم يكن لرسول الله ﷺ أي شاغل يشغله عن العمل، ولم يكن حين ذاك سيد قومه وكبيرهم حتى ينشغل عن تجارته بأمور القبيلة كما يدعي القمني، كما إن بقاء الرجل من غير عمل هو مخالف للهدي النبوي فنجد إن رسول الله ﷺ كان دائماً ما يوصي الرجال بالعمل وكسب الرزق[٤]. قالﷺ: "(مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)"[٥].

ثانياً: النزعة الاستشراقية حول أهم الأحداث بعد البعثة.

أ- **حادثة الإسراء والمعراج:** اتسمت سيرة النبي محمدﷺ في مكة بعد البعثة بكثير من الأحداث المهمة، ومن أهم هذه الأحداث التي شهدتها هذه الفترة، ما وقع لرسول الله ﷺ قبل هجرته إلى المدينة، وهي حادثة الإسراء والمعراج وهذه الحادثة بما فيها من أمور خارقة للعادة كانت مثار جدل بين المثبتين من المسلمين من جهة والمشككين من المستشرقين والمتأثرين بأفكارهم والذين من ضمنهم سيد القمني من جهة أخرى.

---

[١]- ينظر: خواطر وتأملات في السيرة النبوية: د. محمود محمد عمارة ، المركز الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، د.ط ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م ، ص:٧٠.

[٢]- سورة الضحى:الآية:٨

[٣]- التفسير الوسيط: أ. د. وهبة الزحيلي، دار الفكر- دمشق ، ط:١٤٢٢/١هـ - ٢٠٠١م،٢٨٩٢/٣.

[٤]- ينظر: هدي السيرة: عبدالحفيظ فرغلي القرني ، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ص:٥٠.

[٥]- صحيح البخاري: كتاب: البيوع ، باب: كسب الرجل وعمله بيده ، حديث رقم: ١٩٦٦، ٧٣٠/٢.

شبهات القمني: لقد سلك القمني منهج التشكيك في هذه الحادثة، من خلال أسلوبه المتبع والقائم على رفض كل أمر لا يقبله عقله، فنجده يتكلم عن حادثة الإسراء والمعراج من جانب عقلي، إذ يجعل أمر تصديقها من قبل المسلمين فقط لأنهم مسلمون، وإلا فهي لا تخضع لقانون العقل.

يقول القمني: "نحن نؤمن باعتبارنا مسلمين، بقصة الإسراء والمعراج، كما أخبرنا بها القرآن الكريم، كما نؤمن بوجود كائن غريب الشأن يدعى "البُراق"[١]، فهو دابة تعقل وتفهم شكلها ما بين البغل والحمار، أشبه بالحصان له جناحان حمل سيد الخلق من مكة إلى القدس في المعراج، كما جاء في حديث المصطفى"[٢] .

ولا نعلم على اليقين السبب الحقيقي للخطأ الذي ورد في كلام القمني من خلال وصفه الرحلة من مكة إلى القدس بتسمية المعراج فهل خطأ التسمية قد حدث سهواً أم بتعمد؟ وإن كنت أستبعد السهو، كون هذا الخلط لا يمكن تفسير الدافع من ورائه إلا إثارة الشكوك حول هذه الحادثة أو أنه يكذب قصة الأسراء أصلاً حيث يتطرق للمعجزات كونها أموراً لا يقبلها العقل **فيقول:** "إن ما نريد أن نقوله أن تلك جميعاً نماذج لا تدخل ضمن بنود العقل ولا تخضع لنواميس الطبيعة، فالصخرة حسب القوانين لا يمكن أن تلد، والريح لا يحمل بساطا، والهدهد لا يتحدث، والحصان لا يطير، والنار لابد أن تحرق، لكن هذا جميعه محل تصديق وإيمان لأننا مسلمون، لهذا نحن نؤمن بها عن يقين، لكن يجب أيضا أن نعترف بهدوء أن الإيمان بها شيء، وأن قوانين العقل وفيزياء الكون شيء آخر، لذلك فالعقل لا ينتظر إمكانية حدوثها إلا إذا كان به خلل"[٣].

شبهات المستشرقين: وإن مما لا يدع مجالاً للشك أن المستشرقين لم يتركوا جانباً من جوانب حياة النبي محمدﷺ إلا وثاروا حولها الشكوك فنجد المستشرق "**غوستاف لوبون١٨٤١-١٩٣١م**"[٤]، **يقول:** "ولم يَقُل محمد إنه يأتي بالخوارق مع إيمانه برسالته، وعزا المسلمون إليه خوارق كثريةً مجاراة

---

[١]- والبراق هو الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، والتي جاء وصفها في صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ (أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه) صحيح مسلم: كتاب الأيمان، باب: الإسراء بالرسول ﷺ، إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم:٢٥٩، ١٤٥/١.

[٢]- السؤال الأخر: سيد القمني ، ٣٠-٣١.

[٣]- المصدر نفسه ، ص: ٣٢.

[٤]- هو طبيب ومؤرخ ومستشرق فرنسي، ولد في فرنسا ودرس الطب ، وعرف عنه اهتمامه بدراسة حضارة الشرق، وقد كانت له عدة جولات في دول أوربا كما زار عدداً من الدول العربية في أسيا وأفريقيا، له مؤلفات عدة منها حضارة العرب، واليهود في تاريخ الحضارات، وحضارة الهند، وفلسفة التاريخ، وغريها من المؤلفات. ينظر: قسم الاستشراق في المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية موقع العتبة العباسية على شبكة الأنترنت، د.ت: https://www.iicss.iq/?id=14&sid=421.

"للعنعنات"[١] الشائعة القائلة إنه لا نبوة بغير خوارق.... وفضلاً عن ذلك فإنه أُثبت للمسلمين الصالحين أنه أُسري بمحمد ليلاً على ظهر حيوان خيالي يسمى البُراق، والبُراق دابة مجنَّحة لها وجه المرأة وجسم الفرس وذنب الطاووس، ويعتقد المسلمون أن محمداً اخترق السماوات السبع في معراجه حتى بلغ عرش الإله"[٢].

وذكر مستشرق آخر هذه القصة وهو "**بودليR. V. C. Bodley (١٨٩٢م – ١٩٧٠م)**"[٣]. **مانصه:** "وإن كل ما جاء فعلاً عن هذه الرحلة الإلهية على لسان محمد، هو ما ذكر في سورة الإسراء، حيث أنه في هذه السورة خاصة لا توجد أية إشارة إلى ما يعتقده العرب ، وكل ما جاء عن الإسراء في هذه السورة هو: (سبحان الذي أسرى بعيده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا، إنه هو السميع العليم) وما الحكاية في الغالب إلا خرافة من الخرافات التي تذكر، للتدليل على معجزات محمد، وما قال محمد يوماً إنه أتى بمعجزات"[٤].

وللرد على هذه الشكوك: يمكن القول أن ما بين القمني والمستشرقين من علاقة تتضح فيها النظرة التشكيكية، فذِكرُهُم للإسراء والمعراج يجعلهم يصوغون هذه القصة صياغة خاصة تدل على التشكيك، فالقمني مثلاً يصفها ويقول أن المسلمين يؤمنون بها ويعود ويقول غير أنها مما يخالف العقل وقوانين الطبيعة، وكذلك الحال بالنسبة للمستشرق الذي يقول أن هذه المعجزات لم يذكرها محمدﷺ غير أن المسلمون قد ذكروها له، والرد الادعاءات يكون بالأدلة على صحة هذه الحادثة فقد وردة أدلة صحة الإسراء والمعراج من خلال القرآن الكريم بدلالات واضحة، ومن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

– فمن القرآن الكريم : قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾[٤].

---

[١]- العنعنة: حكاية كلام نحو قولهم: وتسمى عنعنة تميم لأنهم يجعلون الهمزة عينا. جمهرة اللغة: أبو بكر الأزدي: ٢١٦/١.

[٢]- حضارة العرب: غوستاف لوبون ، ترجمة: عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي- د.ط، ٢٠١٣م ، ص:١١٧-١١٨.

[٣]- كولونيل رونالد فيكتور كورتيناي بودلي ذو الصليب العسكري، كان ضابطا في صفوف الجيش البريطاني، كاتب، صحفي ومستشرق، قضا سبع سنوات في مخالطة البدو العرب حيث تعرف عن قرب على حياة العرب وقد ألف عدة مؤلفات من أهمها كتاب الرسول: حياة محمد. ينظر: قسم الاستشراق في المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، موقع العتبة العباسية على شبكة الأنترنت، د.ت:https://www.iicss.iq/?id=14&sid=421 .

[٤]- الرسول: حياة محمد: ر. ف . بودلي ، ترجمة: محمد فرج و عبدالمجيد جوده السحار، مكتبة مصر للنشر، د.ط، د.ت، ص:١١١.

[٤]- سورة الإسراء: الآية:١.

فقد ذكر الله ﷻ الإسراء ولم يذكر المعراج. "ولعله حذف ذكر المعراج من القرآن الكريم هنا لقصور فهومهم عن إدراك أدلته لو أنكروه بخلاف الإسراء، فإنه أقام دليله عليهم بما شاهدوه من الأمارات التي وصفها لهم وهم قاطعون بأنهﷺ لم يرها قبل ذلك، فلما بان صدقه بما ذكر من الأمارات أخبر بعد ذلك من أراد الله بالمعراج"[١].

وفي موضع أخر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾[٢].

فمعنى قوله تعالى: "{نزلة أخرى} هو أنه كانت للنبيﷺ عرجات في تلك الليلة لمسألته التخفيف من أعداد الصلوات.. {لقد رأى من آيات ربه الكبرى} يعني الآيات العظام. وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده"[٣].

– ومن السنة النبوية: ورد حديث طويل للنبي محمدﷺ ذكر فيه حادثة الإسراء والمعراج بكل تفاصيلها "(قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ – وَذَكَرَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ – فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقُ فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم قِيلَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالاَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ يُوسُفَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قِيلَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ ، وَمَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ

---

[١]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، تح: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ٣٢٩/٤.

[٢]- سورة النجم: الآية: ١٣- ١٨.

[٣]- مختصر تفسير البغوي: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد ، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض ، ط:١٤١٦/١هـ ، ٩٠٧/٦.

قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ { عَلَيْهِ } فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى فَقِيلَ مَا أَبْكَاكَ قَالَ يَا رَبِّ هَذَا الْغُلاَمُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ أَخِرَ مَا عَلَيْهِمْ وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرٍ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ أَذَانُ الْفُيُولِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً قَالَ أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ وَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ ثُمَّ ثَلاَثِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عِشْرِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَجَعَلَهَا خَمْسًا فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ جَعَلَهَا خَمْسًا فَقَالَ مِثْلَهُ قُلْتُ سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا)"[١].

وبناءً على ما تقدم تكون حادثة الإسراء والمعراج ثابتة ثبوتاً قاطعاً لا يقبل الشك، وما قدح بصحتها إلا من أصابه خلل في عقيدته.

ooooooo

[١]- صحيح البخاري: كتاب: بدء الخلق ، باب: ذكر الملائكة ، حديث رقم: ٣٠٣٥ ، ١١٧٣/٣.

المطلب الثاني: المنهج التشكيكي في العهد المدني.

بعد هجرة الرسولﷺ من مكة إلى المدينة وما أرساه من دعائم إيمانية ومبادئ اجتماعية والتي كانت نواة انبثاق الدولة الإسلامية وقد كان الفضل في هذا بعد الله للأنصارﷺ في المدينة، وهذا ما لا يسر المعادين ليس في ذلك الزمان فحسب، بل إن هذا أشبه بسلسلة متصلة إلى وقتنا الحالي فما شبهات العلمانيين والمستشرقين عنا ببعيد، فبعد تشكيكهم بسيرة الرسولﷺ في مكة، فلابد أن نذكر شبهاتهم التشكيكية في سيرة الرسولﷺ في المدينة، فمن أهم ما شكك به القمني ومن قبله المستشرقون هو عن سبب قبول الأنصارﷺ لدعوة محمدﷺ خصوصاً أنهم كانوا على خلاف دائم فيما بينهم قبل الإسلام؛ وهو ما أدى إلى حدوث قتال بينهم، فلم تهدأ نفوسهم إلا بمجيء الإسلام، وللوقوف أكثر على قول القمني وقول المستشرقين من خلال عرض الشبهات حسب المنهجية المتبعة.

أولاً: تشكيك القمني: فمن خلال كتابات القمني نجد أنه قد شكك في السبب الذي دفع الأنصار لقبول دعوة الرسولﷺ **فيقول:** "وبحكم المصالح التجارية المشتركة التي تربط أهل الطائف بالأرستقراطية التجارية المكية رفضت الطائف عرض التحالف مع الدعوة الجديدة، وبالمنطق نفسه – منطق المصالح – قبلت يثرب حلف صاحب الدعوة، بعد أن دفعها إلى ذلك أمران:

الأمر الأول: أن قريشا قد أسقطت يثرب من حسابات مكاسبها التجارية نتيجة لضعف يثرب الشديد بعد مجموعة الحروب الأهلية التي دارت بين بطونها وأحلافها، حتى لم يعد بإمكانها القيام بفعل مناسب على طريق الإيلاف الشامي للضغط على قريش، حتى تنال نصيبها من تلك المكاسب التجارية الهائلة، وقد رأت يثرب أن التحالف مع صاحب الدعوة هو الفرصة المثالية للوقوف ندا لمكة التجارية، بل وتشكيل تهديد حقيقي تمثل في قمته في قطع الطريق التجاري تحت قيادة زعيم قرشي من قريش ذاتها، قريش مكة التي سبق وأهملت يثرب من معادلتها الاقتصادية.

أما الأمر الثاني: الذي دفع يثرب إلى هذا التحالف أو ساعد عليه بالأحرى، هو خؤولة النبي وآل هاشم في بني النجار من الخزرج اليثاربة تلك الرابطة القرابية التي دعت الأخوال في يثرب إلى استقبال ابن رحمهم الهاشمي، وفتح مدينتهم له لتكون نواة الدولة وعاصمتها المقبلة"[١].

---

[١]- السؤال الأخر: سيد القمني ، ص: ٧٧.

فالأنصارﷺ في نظره قد قدموا المصالح الخاصة المتمثلة بالمكاسب المادية، وصلة القرابة على القناعة الدينية فيما جاء به الرسولﷺ .

ثانياً: تشكيك المستشرقين: لقد أظهر المستشرقون شكوكهم من غاية إسلام الأنصارﷺ غير أنهم تطرقوا للسبب الديني والسبب المادي فقط وأما السبب الثاني الذي ذكره فيما يخص صلة القرابة مع الرسولﷺ، فالمستشرق "**هنري ماسيه(١٨٨٦- ١٩٦٩م)**"[١]، تكلم عن السبب الذي دفع أهل المدينة إلى قبول الدعوة فقد ذكر في قوله الذي يقصد فيه الرسولﷺ بأنه: "التقى تجاراً من يثرب.. كانت علاقتهم باليهود قد هيأتهم، من حيث لا يشعرون، للتوحيد ولأن عداوتهم للمكيين حملتهم على معاضدة محمد"[٢].

إن نقطة الالتقاء بين القمني والمستشرقين في مسألة التشكيك في سبب إسلام الأنصارﷺ وقبولهم لدعوة النبي محمدﷺ هو أنهم يرون أن دافع الإيمان بهذا الدين وصلاحيته ليكون منهجاً لحياة الناس ليس هو السبب الذي دفعهم للإسلام، وإنما الذي دفعهم للإسلام هي أسباب أخرى قد تم تفسيرها من قبل القمني والمستشرقين تفسيراً مادياً قائماً على النظرة التجارية والسياسية، من خلال تصوير إسلامهم بأنه يهدف للسيطرة على التجارة المكية، كما أنهم أرادوا بناء علاقات تجعل منهم نداً قوياً ضد أعدائهم المكيين.

وفيما يخص هذا الادعاء نجد أن كلام المستشرقين وإن كان فيه تشكيك غير أنه أكثر إنصافاً من كلامه، فالقمني قدم الغايات الدنيوية التي دفعت الأنصارﷺ لقبول الدعوة على الغايات الدينية فكان الأساس في نظره هي الغايات الدنيوية، غير أنه بعد ذكر السببين الرئيسيين صرح وأشار إلى السبب الديني ولم يعده سبباً رئيسياً **فيقول:** "ولا يغيب علينا دور الإيمان العظيم لأهل يثرب بالدعوة الجديدة، وهو الإيمان الذي هيأهم له ومعاشرتهم لفكرة التوحيد الإلهي عبر أهلها من يهود يثرب، لكن ذلك تحديداً كان سبباً في جعل يثرب مدينة إشكالية لوجود العنصر اليهودي بها"[٣].

---

[١]- مستشرق فرنسي متخصص في الفارسية ، ولد في فرنسا وتعلم في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس حيث حصل على دبلوم في العربية والفارسية، والتركية، وسافر إلى مصر حيث التحق عضواً (باحثاً بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، فأمضى الفترة من ١٩١١ إلى ١٩١٤ . وهنا اهتم بالنصوص العربية، وحقق كتب عربية ، كما زار الجزائر وإيران وبلدان أخرى وله أعمال علمية عدة من أهمها: تحقيق كتاب تاريخ مصر، وألف كتاب الإسلام، وكتاب نظام الملك وفي ١٩١٩ نشر رسالته الكبرى للحصول على الدكتوراه بعنوان: بحث في سعدي الشاعر. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي ، ص: ٥٣٦.

[٢]- الإسلام: هنري ماسيه ، ترجمة: بهيج شعبان ، منشورات عويدات بيروت- باريس ، ط:١٩٨٨/٣م ، ص:٤٥.

[٣]- السؤال الأخر: سيد القمني ، ص: ٧٧.

كما قال بهذه الشبهة أيضاً المستشرق "**برنارد لويس**"[١]، والذي ذكر في كتابه العرب في التأريخ، أن الأنصارﷺ كان قبولهم للنبيﷺ، من أجل حل مشاكلهم الداخلية لأنهم كانوا يعتبرون النبيﷺ صاحب قوة خارقة، فلم تكن حاجتهم للإسلام كدين بقدر حاجتهم له كنظام يحفظ أمنهم[٢]. فالقمني قد أخذ هذه الشبهة وأعاد صياغتها وأضاف عليها بحسب ما يراه من أحداث تؤثر في قبول الدعوة.

ثالثاً: الرد على هذا التشكيك:

أ- **الجانب الأول: بداية إسلام الأنصار**: على الرغم من التضييق الذي تعرض له الإسلام في بدايته على يد مشركي مكة، إلا أنه كانت هناك بوادر تغيير، وقد بدأ هذا التغيير على يد الوفد الذي قدم من المدينة إلى مكة في موسم الحج[٣]. فلقد بات قبول الأنصارﷺ للإسلام واحتضانهم لرسول الله ﷺ من العوامل المهمة التي ساعدت في تثبيت أركان هذا الدين وفي جعل المدينة المنورة محطة لانطلاق الإسلام في كافة أرجاء الدنيا، فلم يكن للأنصارﷺ غايات خاصة تدفعهم للإسلام، غير الإيمان بهذه الدعوة خصوصاً أن أمر الدعوة في المدينة جاء متدرج، فقد ورد عن جابر بن عبد الله: "(أن النبيﷺ كان يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي» ، فأتاه رجل من همدان فقال: «ممن أنت؟» فقال الرجل: من همدان قال: «فهل عند قومك من منعة؟» قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم، فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل، قال: «نعم» ، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب)"[٤].

---

[١]- مستشرق أمريكي من أصول يهودية ولد في لندن سنة:١٩١٦م ، وقد عرف باهتمامه بالتاريخ واللغات وهذا ما دفعه لدراسة التأريخ في كلية الدراسات الشرقية وتخرج منها عام ١٩٣٦م ، وقد استمر في دراسته حتى حصل على شهادة الدكتوراه من الكلية نفسها متخصصا بالتأريخ الإسلامي، وقد عمل في نفس الكلية بصفة محاضر في التأريخ الإسلامي، أسس في أمريكا جمعية دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا، وقد حضي لويس بشهرة واسعة في أمريكا كما أنه قد تم تكريمه أكثر من مرة من قبل السلطات الأمريكية، وقد تقلد مناصب كبيرة في الحكومة الأمريكية فقد تم تعيينه مستشار للرئيس الأمريكي جورج بوش الأبن لشؤون الشرق الأوسط ، له مؤلفات كثير منها العرب في التأريخ و أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المدني و أين الخطأ و الإسلام والغرب وغيرها من المؤلفات ، وقد استمر في عمله حتى توفي سنة ٢٠١٨م. ينظر: أزمة الإسلام: برنارد لويس ، ترجمة: حازم مالك محسن ، صفحات للدراسات والنشر، ط:١/٢٠١٣م، ص:١٤-١٥.

[٢]- ينظر: العرب في التأريخ: برنارد لويس: ترجمة: نبيه امين فارس، محمود يوسف زايد، دار العلم للملايين – بيروت، ط:١/١٩٥٤م، ص:٥٣.

[٣]- ينظر: فقه السيرة: محمد الغزالي السقا (ت: ١٤١٦هـ)، دار القلم – دمشق ، ط:١/ ١٤٢٧هـ ، ص: ١٥١.

[٤]- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: ٢٤١هـ ، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط:١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مسند جابر بن عبدالله ﷺ ، ٣٧٠/٢٣ ، حديث رقم: ١٥١٩٢، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

فصار أمر الدعوة معروفاً عند أهل المدينة أكثر من ذي قبل، "فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيهﷺ وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً"[١].

فكان هذا اللقاء هو بمثابة البداية الحقيقية لدخول الأنصار في الإسلام وهذه الحكاية على لسان الأنصار. "قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن"[٢].

هنا يكون الرسولﷺ قد التقى الأنصار للمرة الأولى وعرض عليهم الإسلام فلم يجد منهم تردد أو شك خاصة أنهم يحملون تصور عن مبعث نبي أخر الزمان وهو ما سمعوه من يهود المدينة. "وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيا مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم"[٣].

فلم يزد علم الأنصارﷺ بهذه المعلومة إلا يقيناً وتصديقاً برسول الله ﷺ. "فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، وبينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا"[٤].

ب- الجانب الثاني: إقبال الأنصارﷺ على الإسلام: وفي العام التالي حضر اجتماع وفد الخزرج أثنى عشر شخصاً، عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، وهذا يدل على أن نشاطات الخزرج الذين كانوا قد أسلموا في العام السابق كانت تتركز في البيئة القبلية، ولكنهم في الوقت نفسه استطاعوا أن يستقطبوا أناساً من الأوس، وهذا كان بمثابة بداية التحالف بين القبيلتين تحت راية الإسلام، وقد

---

[١]- السيرة النبوية: ابن هشام ، ٤٢٨/١.
[٢]- المصدر نفسه: ص:٤٢٨.
[٣]- المصدر نفسه: ص:٤٢٩.
[٤]- المصدر نفسه: ص:٤٢٩.

وردت نصوص تروي هذا الاجتماع عن طريق عبادة أبن الصامتﷺ الذي كان حاضراً في هذا الاجتماع والذي سمي ببيعة العقبة الأولى[١].

"(فعن رسول الله ﷺ، أنه قال: وحوله عصابة من أصحابه: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك)"[٢].

وبعد انتهاء بيعة العقبة الأولى ورجع الأنصارﷺ إلى ديارهم، أرسل معهم رسول الله ﷺ مصعب ابن عميرﷺ وكلفه بمهمة تعليمهم الإسلام ويفقههم في الدين ويعلنهم القرآن. فقام بهذه المهمة على أكمل وجه، ونشر الإسلام ورجع إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية[٣].

فما زالت أعداد المسلمين الأنصار تزداد يوماً بعد أخر وبدأ الإسلام يترسخ في أنفسهم وأخذت الدعوة تزاد فما كان إلا أن جاء وفد أخر من المدينة لمقابلة رسول الله ﷺ وكان هذا الوفد أكثر عدداً من الذي سبقه وهذ ما سمي ببيعة العقبة الثانية. فقد روي عن جابر بن عبدالله الأنصاري ﷺ أنه **قال:** "(وبعثنا الله إليه ... واجتمعنا وقلنا: حتى متى رسول الله ﷺ يُطرَد في جبال مكة ويخاف، فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فواعدنا بيعة العقبة فقال له عمه العباس: يا ابن أخي لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك إني ذو معرفة بأهل يثرب فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا نعرفهم، هؤلاء أحداث، فقلنا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط، والكسل، وعلى النفقة في العسر، واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم، وتمنعوني مما تمنعون عنه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة» فقمنا نبايعه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين إلا أنه قال: رويدا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن

---

[١]- ينظر: السيرة النبوية الصحيحة : أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة ، ط:٦/١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، ١٩٧/١.

[٢]- صحيح البخاري: كتاب: الإيمان ، باب: علامة الإيمان حب الأنصار ، حديث رقم:١٨ ، ١٥/١. وفي صحيح مسلم: في كتاب: الحدود ، باب: الحدود كفارات لأهلها حديث رقم: ١٧٠٩.

[٣]- السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري ، ص:١٩٨.

يعضكم السيف فإما أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم وعلى قتل خياركم ومفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر عند الله عز وجل، فقالوا: يا أسعد أمط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها، قال: فقمنا إليه رجلا رجلا فأخذ علينا ليعطينا بذلك الجنة)"[١].

ج- الجانب الثالث: استقبال الأنصار للمهاجرينﷺ جميعاً: "لما صدر السبعون من عند رسول الله ﷺ طابت نفسه وقد جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج فضيقوا على أصحابه وتعبثوا بهم ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى، فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ واستأذنوه في الهجرة، فقال: قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي، ثم مكث أياما ثم خرج إلى أصحابه مسرورا فقال: قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها، فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك...ثم قدم أصحاب رسول الله ﷺ أرسالا فنزلوا على الأنصار في دورهم، فآووهم ونصروهم وواسوهم....وخرج المسلمون جميعا إلى المدينة. فلم يبق بمكة منهم إلا رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعليﷺ، أو مفتون محبوس، أو مريض، أو ضعيف عن الخروج"[٢].

فلم يكن إسلام الأنصارﷺ مجرد إيمان بما جاء به رسول الله ﷺ فقط، بل تعدى ذلك إلى فتح بيوتهم لمن جاءهم مهاجراً من مكة فكان هذا مشاركة حقيقية يدفعها الشعور بالأخوة الإيمانية نابعة من ضمير حي وقلوب صافية تتخلع من الألم لما يعانيه أخوتهم على أيدي المشركين، أما أهل المدينة الذين آووهم في ديارهم ونصروهم وآزروهم وأعانوهم فقد ضربوا المثل الحقيقي للأخوة الإسلامية الصادقة والمحبة في الله تعالى، وأنتم تعلمون أن الله ﷻ جعل أخوة الدين أقوى من أخوة النسب وحدها، ولذلك كان الإرث في صدر الإسلام قائماً على رابطة الدين وأخوته، ومن ثم الهجرة

---

[١]- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١/ ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، كتاب: الهجرة الأولى إلى الحبشة ، حديث رقم ٤٢٥١ ، ٦٨١/٢. قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (صححه الذهبي في التلخيص)

[٢]- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ١٧٥/١.

ولم يستقر حكم الإرث القائم على القرابة إلا بعد ثبات الإسلام في المدينة، وأصبح المسلمون بيت الإسلام القوي المنيع[١].

وبدا أن العواطف المتأججة لم تكن وحدها هي التي وجهت العلاقات وأطلقت العهود، فإذا تكلمنا عن النظرة المستقبلية، فإن الرؤية كانت إلى المغارم قبل المغانم، فأي مغانم؟ وهم قد بايعوا رسول الله ﷺ على المنعة والقتال والتضحية، إن الأنصار رضي الله عنهم يعدون مثالاً لانتشار الإسلام عن طريق الفكر الحر والعقيدة الصافية النقية، فمع أن معرفتهم بالنبيﷺ كانت معرفة سطحية، إلا أنهم جاءوا من المدينة بإيمان قوي واستجابوا لداعي الدين، فقذف الله في قلوبهم وحياً ساطعاً من السماء أنار الطريق وكشف الغاية، فخرجوا من المدينة في هذه الفترة من الزمن، ليس في قلوبهم إلا الله ﷻ مناصرين لنبيه ودينه[٢].

وبذلك تكون الغاية التي دفعت الأنصار رضي الله عنهم لقبول الدعوة هي غاية دينية خالصة فلم تكن الغاية عندهم هي نصرة محمدﷺ بسبب صلة القربى أو البحث عن مكاسب مادية كما ادعى القمني وهذا ما يوضحه عدم معرفة الرسولﷺ المسبقة بمن جاء يبايعه وحتى العباس عم النبيﷺ والذي له معرفة بأهل المدينة لم يتعرف على هؤلاء الرجال، كما أن الأنصار لم يكن لهم على الرسولﷺ إلا طلب واحد مقابل النصرة والمنعة وهي الجنة التي كانوا يسعون لها، فما كانت دعوتهﷺ إلا حقاً ولم تكن إجابة الأنصار إلا إيماناً[٣].

وبهذا تكون أقوال القمني ومن قبله المستشرقين ليست إلا تشكيكاً في سيرته عليه الصلاة والسلام فلم يكلفوا أنفسهم بالرجوع إلى المصادر المعتمدة عند المسلمين للوقوف على الحقيقة، وحتى لو عرفوا الحقيقة فأنهم لن يصرحوا بها استكبارا منهم وانحيازاً عن الحق والصواب، فهم يشككون من غير وجود دليل على صدق ما يقولون.

ooooooo

---

[١]- فقه السيرة: البوطي ، ص:١٩١.
[٢]- المصدر نفسه: ص: ١٦١.
[٣]- ينظر: فتح الباري: ابن حجر، ٢٢٣/٧.

المبحث الثالث: منهج الأثر والتأثر في قراءة القمني لأحداث السيرة.

لقد تناولت أقلام المعادين للإسلام سيرة الرسولﷺ من خلال مناهج عدة ساروا عليها من أجل النيل من رسالته، ومن ضمن هذه المناهج هو منهج الأثر والتأثر، وهو المنهج الذي يقوم على أساس إرجاع المنظومة الإسلامية إلى تأثير ما قبل الإسلام، فمن خلال قراءتهم لسيرة الرسولﷺ نجدهم لا يترددون بالقول بأنه تأثر بما كان موجود قبل الإسلام، وهذا ما سنتناوله في مطلبين.

المطلب الأول: في العهد المكي.

لقد أُثيرت حول سيرة الرسولﷺ في العهد المكي مجموعة من الشبهات من قبل المعادين للإسلام، ومنها.

أولاً: قول القمني: فلم يخفي القمني وجود الأثر والتأثر بين الإسلام والديانة اليهودية ويتبين ذلك في بعض طروحاته والتي يتضح من خلالها، بأن أكثر ما يمكن اعتباره من أوجه التشابه كان بين ديانة الإسلام والديانة اليهودية، ويعزو القمني هذا التشابه إلى ما تتمتع به هاتان الديانتان من أوجه التشابه في الظروف الاجتماعية والبيئية وبعض المعتقدات الدينية[١]. ولم تتوقف أفكار القمني عند هذا الحد، بل تناول بعض أحداث سيرة الرسولﷺ، من خلال إثارة شبهة القول بالأثر والتأثر باليهودية، إذ ذهب إلى أن نبوة الرسولﷺ كانت خاضعة للتأثر باليهود، وهذا ما أشار إليه في كتابه الحزب الهاشمي، والذي زعم فيه أن القصص التي سمعها العرب من اليهود عن أنبيائهم وخصوصاً داوودعليه السلام كانت سبباً في تخيلهم وسعيهم لحيازة شرف ما حازته اليهود... غير أن هذا الحلم لا يمكن تحقيقه على يد ملك؛ كون العرب يمثلون أمم متفرقة، فكان لابد أن يتم هذا الأمر عن طريق ملك نبي مثل داودعليه السلام ... ومن العجيب أنه بعد سنين قليلة قامت هذه الدولة الواحدة بعد أن أعلن محمد ﷺ حفيد عبد المطلب بأنه هو النبي المنتظر[٢].

حيث إن موطن الشبهة يكمن في قوله "ومن العجيب"، فهذا القول يحمل في طياته إشارة إلى شبهة التأثر بالأنبياء الملوك من بني إسرائيل ألذين حكموا أقوامهم من اليهود، ثم يستمر القمني في تأليف قصص التأثر باليهود، فيقول: "وعندما ظهر النبي محمدﷺ في مكة، أرسل إعلانه يدوى بين فيافي الجزيرة ليصل من يهمهم الأمر يؤكد أنه نبوءة موسى وبشرى عيسى وأنه أحمد النبي المنتظر"[٣].

---

[١]- ينظر: رب الزمان: سيد القمني، مؤسسة هنداوي، د.ط، ٢٠١٧م، ص:٣٣٤.
[٢]- ينظر: الحزب الهاشمي: سيد القمني ، ص:٥٣-٥٤.
[٣]- السؤال الآخر: سيد القمني: ص:٧٨.

والذي يثير الدهشة أن القمني يصور للقارئ الأحداث بطريقة درامية محاولاً بذلك نزع البعثة النبوية من صفتها الدينية ومن كونها أمر إلهي إلى جعلها تدبير بشري من قبل الرسولﷺ حيث **يقول:**"وتم دعم ذلك بقصة الذبح التي كاد يتعرض لها أبوه عبدالله لتتناغم مع قصة الذبح التي كاد يتعرض لها إسماعيل ابن إبراهيم، حيث كان الذبح علامة على التواصل مع السماء"[١]. فيدعي أن هذا كله لا يكفي الرسولﷺ لتثبيت نبوته، كون النبوة التي ينتظرها اليهود هي من نسل إسماعيل، فيقول: "ولكن لأن شرط النبوة التوراتية أن تكون في بنى إسرائيل، ولأن النبي محمدﷺ ليس من بني إسرائيل، فقد أمكن إيجاد الصلة مع الوعد بإرجاعه ليس إلى يعقوب المسمى بإسرائيل لكن إلى الأب الخليل صاحب الوعد والعقد الأول، إلى إبراهيم نفسه. وحيث إن إسماعيل كان أول من اختين قبل شقيقه إسحق، أمكن القول بإمكان مجيء نبي آخر الزمان من الفرع الإسماعيلي، دون شرط اقتصاره على الفرع الإسرائيلي من نسل إبراهيم. وهكذا تم ربط صاحب الدعوة بالمشروع الإسرائيلي، ليكون محقق الوعد لكن عبر النسل الإسماعيلي"[٢].

وبهذا القول نجد أن القمني يصر على ربط نبوة الرسولﷺ باليهود بكل شكل من الأشكال.

ثانياً: قول المستشرقين: إن تناول شبهة الأثر والتأثر في سيرة الرسولﷺ باليهود عند المستشرقين والعلمانيين هي شبهة تتشابه فيها الأقوال بشكل واضح وأن تعددت الأساليب، فبعد أن ذكرنا قول القمني بوجود تأثر لبعض أحداث السيرة بما عند اليهود، نذكر الأن ما قاله المستشرقون من تأثر السيرة النبوية باليهودية، وعلى هذا فقد ذكر المستشرق: "**الفريد جيوم**"[٣]، بأن بلاد العرب قد تأثرت بما في اليهودية من تعاليم حتى أن محمد عندما أراد تغيير عبادة قومه من الشرك إلى التوحيد قد ساعده على ذلك ما وجده في الديانة اليهودية[٤].

---

[١]- السؤال الآخر: سيد القمني: ص:٧٨.

[٢]- المصدر نفسه: ص:٧٨.

[٣]- ألفريد غيوم أو جيوم ١٨٨٨ – ١٩٦٦، مستشرق وقسيس بريطاني أكاديمي، أتقن العربية والعبرية، وعمل أستاذاً في جامعات: الولايات المتحدة الأمريكية، ولندن، وتركيا، وكان عضواً بمجمعي اللغة في سوريا والعراق. من مؤلفاته: تراث الإسلام، أثر اليهودية في الإسلام، ومدخل إلى علم الحديث. ينظر: موقع مطبعة جامعة كامبريدج على شبكة الانترنت، تم نشره في ٢٤ ديسمبر٢٠٠٩، أطلعت عليه في ٢٠٢٤/٥/٢٤، https://www.cambridge.org.

[٤]- ينظر: كتاب الإسلام: ألفرد جيوم، ترجمة: مصطفى هدارة، والدكنور: شوقي اليماني السكري، مطبعة لجنة البيان العربي-القاهرة ط:١٩٥٨/١م، ص:٣١. نقلاً عن رسالة ماجستير بعنوان: شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة: محمد زين العابدين محمد الطشو، جامعة الأزهر/ كلية أصول الدين، د.ن، د.ط، د.ت، ص:١٢٢.

ثم يستمر هذا المستشرق بعرض شبهته من أجل إثبات التأثر باليهودية، فيكشف عن هدفه بشكل واضح من خلال ما زعمه، بأن محمداً قد جاء برسالة مؤيدة ومشابهة لما عليه في الديانة اليهودية، ثم يقول، وهذا ما يدعونا إلى القول بتأثر محمد بالديانة اليهودية وبوجود اتصال بينه وبين اليهود[١].

فبعد عرض قول القمني وقول المستشرقين نصل إلى نتيجة مفادها، بأن القمني قال بالأثر والتأثر حاله في ذلك حال المستشرقين، فمن جهة نجد أن القمني يعد النبوة نزعة تأثرية بالديانة اليهودية أثمرت عن إعلان الرسولﷺ نفسه نبياً، ومن جهة أخرى نجد المستشرقين قد سبقوا القمني بالقول بالأثر والتأثر وذلك من خلال قول الفرد جيوم بتأثر الرسولﷺ ، باليهود كما ويعزو هذا التأثر إلى العلاقة التي ربطت الرسولﷺ باليهود.

ثالثاً: الرد على الشبهات.

إن حقد المعادين للإسلام ولرسوله عليه الصلاة والسلام لا يكاد ينتهي، فكان لشخص النبيﷺ نصيباً كبيراً من هذا الحقد من خلال إثارة الشبهات حول سيرتهﷺ ومن هذه الشبهات ما مر ذكره من تأثره باليهود، ويمكن من خلال عرض الشبهات أن نقول بأن القمني قد جعل دوافع تأثر العرب باليهود دوافع مادية، متمثلة بالسعي لحيازة المكانة السلطوية وتسيد القبائل، ومن ثم يأتي دافع أخر وهو الدافع الديني وأن كان أقل من الدافع الأول، أما قول المستشرق ألفرد جيوم، فأنه يكتفي بذكر الدافع الديني، وعلى العموم فإن هذه المزاعم هي مزاعم باطلة ومخالفة لأساسيات البحث العلمي النزيه؛ كونها تفتقد إلى متطلبات البحث العلمي المتمثلة بالإثباتات والأدلة من مصادر موثوقة.

وعلى العكس من قول القمني بأن العرب كانوا يتطلعون لحيازة الشرف الذي حازته اليهود، فالحقيقة هي أن العرب كانوا يرفضون اعتناق أي دين أو معتقد جديد في مكة؛ كون ذلك حسب اعتقادهم يقلل من مكانتهم الاجتماعية ويحط من منزلتهم بين الأمم، كما وإن اعتناق دين جديد يهدد ديانة العرب التي حرصوا على الحفاظ عليها والتي هي قائمة على مبدأ تعدد الآلهة من أن تتأثر بديانات خارجية[٢].

كما ويمكن تفنيد دعوة تأثر الرسولﷺ باليهودية من خلال، الآتي.

أ- ما ذهب إليه القمني من كون العرب قد أرادوا حيازة شرف ما حازته اليهود من خلال مَلِك نبي،

---

[١]- ينظر: كتاب الإسلام: ألفرد جيوم: ص:٦١.

[٢]- ينظر: شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة: محمد زين العابدين محمد الطشو، ص:١٢٣.

فلا يمكن تصنيف هذا القول إلا في خانة ادعاء بشرية الدعوة، وهذا القول يمكن تكذيبه ونفيه بسهوله، إذ إن قريش كانت أحرص من القمني ومن المستشرقين لإثبات بشرية مصدر الوحي، لكنهم عجزوا عن إثبات هذا الادعاء فلم يعرف عنه عليه الصلاة والسلام أنه تعلم على يد معلم سواء كان هذا المعلم يهودياً أو غير يهودي، فلو كان هذا الأمر موجوداً لعرفه الناس خصوصاً أن مكة كانت بيوتها قليلة ومعروفة وينتشر الخبر فيها بسرعة[١].

ب- ولقد كان من حكمة الله ﷻ أن جعل مكة خالية من اليهود فلم يعرف أن اليهود قد سكنوا مكة، فقد كانت مكة والطائف مدناً عربية وتحت قيادة من قبل القبائل العربية، عكس ما كانت عليه يثرب من تجاور اليهود والعرب، وهذا ما يجعل فرضية تأثر الرسولﷺ غير صحيحة[٢].

ج- أن الرسولﷺ لم يعرف عنه أنه خرج قبل البعثة خارج مكة إلا مرتين.

فالمرة الأولى التي رحل بها رسول اللهﷺ، إلى الشام كانت مع عمه أبي طالب، وذلك عندما كان أبن عشر سنين أو اثنتا عشرة سنة على اختلاف الأقاويل والمؤكد أنه كان فتى صغيراً، وفي طريقهم إلى الشام قابلهم حبر من أحبار اليهود فسأل اليهودي أبا طالب عن هذا الغلام، فقال أبو طالب إنه ابن أخي، فقال له اليهودي هل تحبه؟ قال نعم، قال إذا دخلت به الشام سيقتلونه اليهود؛ كونهم قد علموا صفات نبي أخر الزمان، وأنه سيكون عدواً لهم، والأمر العجيب أن اليهود يعتبرون الرسولﷺ عدواً لهم ولم يصدقوه وكادوا له المكائد، ومع ذلك يصر أعداء الإسلام على القول بتأثر الرسولﷺ باليهود**!**[٣].

أما المرة الثانية التي خرج فيها رسول الله ﷺ ، خارج الحجاز فكانت إلى الشام أيضاً، من خلال التجارة بأموال خديجة رضي الله عنها[٤].

فهل يعقل أن المرتين التي ذهب بهما رسول الله ﷺ إلى الشام وإحداهما كان فيها صغيراً، كفيلة بأن تجعله يقتنع باليهودية ويتأثر بها؟.

---

[١]- ينظر: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام: علي نايف الشحود، موقع جامع الكتب الإسلامية على شبكة الأنترنت، المجلد العاشر، د.ت، ص: ٢٦٦، https://ketabonline.com .

[٢]- ينظر: السيرة النبوية والتأريخ الإسلامي: عبد الشافى محمد عبد اللطيف، دار السلام – القاهرة، ط:١٤٢٨/١ هـ ، ص:٧٠.

[٣]- ينظر: دلائل النبوة للبيهقي، ٨٩/١.

[٤]- ينظر: فقه السيرة النبوية: منير محمد الغضبان (ت: ١٤٣٥هـ)، الناشر: جامعة أم القرى، ط:١٤١٣/٢هـ - ١٩٩٢م، ص:٩١.

د- كما أن بعض الأحاديث النبوية تثبت عكس ما ذهب إليه أعداء الإسلام في شبهاتهم بخصوص القول بتأثرهﷺ باليهود، ومن أهم هذه الأحاديث.

١- فقد جاءت بشارات الرسولﷺ بنهاية اليهود على يد المسلمين: فعن عبدالله ابن عمرﷺ ، قال سمعت الرسولﷺ، يقول: "(تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْه)"[١]. فقد بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث حقيقة اليهود من خلال استمرارهم على الضلالة حتى إنهم في أخر الزمان يكونون أتباعاً للدجال فيقاتلهم المسلمون عند نزول عيسىعليه السلام فيقتلونهم حتى إن الحجر الذي يختبئون وراءه ينطقه الله ﷻ فيكشفهم للمسلمين[٢].

٢- وفي حديث أخر يتجلى فيه تفرد الإسلام وتميزه عن غيره من الأديان، فعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "(وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)"[٣].

وعلى هذا تكون بعثة الرسولﷺ إلى الناس كافة، فنسخ الله بشريعته كل الشرائع، كما إنه قد دعا أهل الكتاب إلى الإيمان بما جاء به، وحذرهم من عاقبة صدهم عن الإسلام، وبهذا تكون رسالة الإسلام واجبة الإتباع من قبل من سمع بها من أصحاب الكتاب وغيرهم، ويحرم عليهم البقاء على ما هم عليه سواء كانت ملتهم قد تغيرت أو لم تتغير، وجزاء من وعى رسالة الرسولﷺ واستكبر ولم يؤمن بها ومات على ذلك فهو من الكافرين ومصيره إلى النار[٤].

هـ- إن شبهة القمني والمستشرقين، والتي يدعون فيها خضوع الرسولﷺ، للأفكار البشرية، تدخل ضمن إطار التكذيب لكلام الله ﷻ فالمعلوم هو أن الله ﷻ أعلم بمن يختاره من الرسل عليهم السلام، والذين قد عصمهم الله ﷻ وذلك بقوله تعالى:﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾[٥]. ووجه الدلالة في ذلك أن: "الله يختار من الملائكة رسلاً كجبرئيل وميكائيل

---

[١]- صحيح البخاري: كتاب: المناقب، باب:علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٣٩٨ ، ١٣١٦/٣. وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل رقم ٢٩٢١.

[٢]- ينظر: فتح الباري: ٦١٠/٦.

[٣]- صحيح مسلم: كتاب: الأيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، حديث رقم:١٥٣، ١٣٤/١.

[٤]- فتح المنعم شرح صحيح مسلم: د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط:١٤٢٣/١هـ - ٢٠٠٢م، ٤٨٩/١.

[٥]- سورة الحج: الآية:٧٥.

اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم"[١].

فلم يعرف أن محمداًﷺ ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام قد خضعوا للغايات البشرية، أو أنهم تأثروا بالأفكار السائدة في زمانهم، بل على العكس نجدهم ينكرون ما عليه الناس في زمانهم من بدع وكفر وضلال، كما إن ما جاء به رسول الله ﷺ هو أرفع وأجل من الذي عليه اليهود وغيرهم، فلا يمكن أن تطغى أفكار اليهود على ما عند رسول الله ﷺ كما أن ما لاقاه الإسلام من عداوة كبيرة من قبل قريش في مكة وأطرافها كان كفيلاً بتكذيب دعوة أن الإسلام قد جاء بناءً على رغبة العرب بالوحدة[٢].

ooooooo

[١]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت: ٣١٠هـ ، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط:١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٦٨٧/١٨.

[٢]- ينظر: السيرة النبوية الصحيحة: أكرم ضياء العمري، ص:٨٧-٨٨.

المطلب الثاني: في العهد المدني.

لقد تعامل أعداء الدين الإسلامي مع السيرة النبوية في العهد المدني، كما تعاملوا مع السيرة النبوية في العهد المكي، والأمر الواضح الذي نجد عليه العلمانيين والمستشرقين هو أنهم قد ساروا على الطريق نفسه في إثارة الشبهات، ففي منهج الأثر والتأثر نجدهم مستمرين في إثارة شبهة تأثره ﷺ باليهود، وهذ ما سنعرفه في هذا المطلب، والذي نعرض فيه أقوالهم ثم الرد عليها.

أولاً: قول القمني: لقد تناول القمني مسألة الأثر والتأثر في سيرة الرسولﷺ من خلال مؤلفاته، فمن خلال قراءته لسيرة الرسولﷺ في العهد المدني، يتبين لنا أنه قد استمر في عرض أحداث السيرة النبوية وفق هذا المنهج، وهذا ما نجده في مؤلفاته، إذ ذكر في كتابه حروب دولة الرسول، أن اليهود في المدينة لم يكونوا رافضين لوجود الرسولﷺ في المدينة خاضة بعد المواقف العملية التي اتبعها الرسولﷺ والتي منها: الصلاة على قبلة اليهود، وصيام الأيام التي يقدسها اليهود[١]، ثم يلمح القمني إلى أن اليوم الذي صامه الرسولﷺ مع اليهود كان عذاباً للمصريين العرب على حساب اليهود، فيقول: "ثم تلى ذلك الموقف العملي للنبي عند حلوله كريماً على يثرب ... صام معهم يوم...الغفران يوم غرق المصريين وخروج بنى إسرائيل من مصر"[٢].

فالمسائل التي تناولها القمني في قوله، والتي تعتبر ضمن منهج الأثر والتأثر باليهودية، وهي .

أ- مسألة صلاة الرسولﷺ اتجاه قبلة اليهود.

ب- ومسألة صيام الأيام التي يقدسها اليهود.

ثانياً: قول المستشرقين: فالمستشرقون لهم وجهة نظر مشابهة لما تم ذكره سابقاً فيما يخص مواقف الرسولﷺ من اليهود في المدينة، متمسكين بمنهجهم في الأثر والتأثر، ومن ذلك.

أ- **فيما يخص أتجاه القبلة:** فقد تنوعت أقوال المستشرقين في مسألة تأثر الرسولﷺ ومن ذلك ما قاله المستشرق كارل بروكلمان، من أن الرسولﷺ قد تأثرت اتجاهاته الدينية عند وصوله المدينة باليهود، حتى أنه كيف الشعائر الإسلامية بما تتفق مع الشعائر اليهودية لكسب ود اليهود[٣].

---

[١]- ينظر: حروب دولة الرسول: سيد القمني، ٣٦/١.

[٢]- السؤال الآخر: سيد القمني: ص:٧٩.

[٣]- ينظر: تأريخ الشعوب الإسلامية/ كارل بروكلمان ، ترجمة: نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط:٥/١٩٦٨م ، ص:٤٦.

فكلام بروكلمان يعد شاملاً غير أن ما قاله "**فنسنك**"[١]، يُعد أكثر وضوحاً فقد خصص كلامه عن اتجاه قبلة الرسولﷺ نحو القدس، فيتحدث عن أن محمد قد اختار الاتجاه في صلاته نحو القدس، وهذا التقليد متعارف عليه في الديانة اليهودية، فتعاليم اليهود تنص على الصلاة اتجاه القدس وهذا ما كان يفعله اليهود، وهذا ما يعد تأثراً باليهود[٢].

ب- أما ما يخص الصيام: فقد ذكر بروكلمان أن الرسولﷺ عند وصوله المدينة عمل على تشريع صيام اليوم العاشر من شهر محرم على غرار ما رآه من صوم اليهود[٣].

وهذا ما يعدونه المعادين من المواقف العملية التي ظهرت من الرسولﷺ والتي تشير إلى تأثره باليهود.

ثالثاً: الرد.

فمن أجل الحصول على رؤية واضحة من خلال الرد على الشبهات التي أثارها القمني ومن قبله المستشرقون، كان لابد من تقسيم الرد إلى جزأين، فالجزء الأول: هو ما يخص الرد على شبهة التأثر باليهود في اتجاه القبلة، والجزء الثاني: هو ما يخص الصيام.

أ- اتجاه القبلة: بعد أن هاجر الرسولﷺ إلى المدينة بدأ بالصلاة من خلال التوجه نحو بيت المقدس، وقبل ذلك عندما كان رسول الله ﷺ في مكة صلى باتجاه القدس أيضاً، والتي تعد قبلة الأنبياء عليهم السلام، إذاً فالمسألة دينية وليست تقليد، ففي صلاة الرسولﷺ كان يكره أن يستدبر الكعبة فكان يقف بين الركنين اليمانيين من الكعبة، وبعد هجرته إلى المدينة لم يتمكن من استقبال القبلة إلا من خلال استدبار الكعبة فكان هذا الأمر يزعج الرسولﷺ[٤].

---

[١]- أرند جان فنسنك Arend Jan Wensinck (١٢٩٩ - ١٣٥٨ هـ = ١٨٨٢ - ١٩٣٩ م)، مستشرق هولندي، كان أستاذ اللغة العربية، في جامعة ليدن من سنة ١٩٧٢ إلى وفاته، وقام برحلات إلى مصر وسورية وغيرهما من بلاد العرب، وانصرف إلى العناية بالحديث النبوي، فوضع بالإنكليزية معجما للألفاظ الواردة في أربعة عشر كتابا من كتب السنن والسيرة، نقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وسماه (مفتاح كنوز السنة) وتولى فنسنك تحرير (دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٩٢٥ م، بلغاتها الثلاث، فأتم منها أربعة مجلدات وخمس ملازم، وكتب مقالات كثيرة في مجلات مختلفة، وله كتب بالإنكليزية عن الإسلام والمسلمين. وبدأ بنشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) بالعربية وتوفي قبل إتمامه. الاعلام: الزركلي، ٢٨٩/١. وينظر: موسوعة المستشرقين: د. عبدالرحمن بدوي، ص:٤١٧.

[2]- Wensinck, Muhammad and the Jews of Medina, p79.

نقلاً عن: النبي واليهود في المدينة من خلال دراسات المستشرقين: د. السيد التوي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية- المانيا، ط:٢٠٢٤/١م، ص:١٥٧.

[٣]- ينظر: تأريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، ص:٤٧.

[٤]- ينظر: الوسيط في المذهب: محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (٤٥٠/٥٠٥هـ)، تح: أحمد محمود إبراهيم ، محمد محمد تامر، الناشر دار السلام- القاهرة، د.ط، ١٤١٧هـ ، ٥٨/٢.

وقد استمر الرسولﷺ في صلاته نحو بيت المقدس فترة من الزمن، فعن البراء بن عازبﷺ **قال:** "(صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفنا نحو الكعبة)"[١].

وطيلة هذه الفترة التي صلى بها رسول الله ﷺ باتجاه قبلة اليهود لم يكن فيها مرتاحاً، وكان يترقب نزول وحي من الله ﷻ، بتغيير القبلة، ومن الأسباب التي جعلت الرسولﷺ يتمنى تغيير القبلة.

١- أنه كره استدبار الكعبة، وكان يريد التوجه نحوها كونها كانت قبلة إبراهيمعليه السلام.

٢- مخالفة لليهود؛ لأن اليهود عندما رأوا أن المسلمين يصلون باتجاه قبلتهم شعروا بارتياح، فكأنهم كانوا يرون أن الدين الجديد يتبعهم من خلال الاتجاه نحو قبلتهم، ومن خلال اقتباس الكثير من التعاليم والطقوس.

٣- كما وأن رسول الله ﷺ كانت له رغبة في تمييز المسلمين بقبلة خاصة بهم، تدحض دعوى اليهود بتأثر المسلمين بهم[٢].

فأول من قال بتأثر الرسولﷺ باليهود هم اليهود أنفسهم، وكأنهم يكذبون الكذبة ويصدقونها وبعد الفترة التي قضاها رسول الله ﷺ بالاتجاه نحو بيت المقدس نزلت البشارة من الله ﷻ لنبيه.

الكريم بتغيير القبلة والتوجه نحو الكعبة المشرفة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[٣].

وفي قوله تعالى"{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ } أي تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء، { فَلَنُوَلِّيَنَّكَ } فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها، { قِبْلَةً تَرْضَاهَا } تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها وواقفت مشيئة الله وحكمته"[٤].

وفي الاتجاه إلى بيت المقدس ثم التحول إلى الكعبة حكمة ربانية، فضلاً عن ما فيها من حكم فقد كانت اختبار للمسلمين، والمشركين، والمنافقين، واليهود، فأما المسلمون فقد سمعوا وأطاعوا، ولسان

---

[١]- صحيح مسلم: كتاب: المساجد والمواضع، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، حديث رقم:٥٢٥، ٣٧٤/١.
[٢]- ينظر: السيرة النبوية الصحيحة : أكرم ضياء العمري، ٣٥١/٢.
[٣]- سورة البقرة: الأية:١٤٤.
[٤]- تفسير النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تح: مروان محمد الشعار، دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥م، د.ط: ٩٣/١.

حالهم: كما جاء في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[١]، وهذا دليل هدايتهم، أما المشركون فقد انتابهم الفرح وقالوا مثلما عاد إلى قبلتنا سيعود إلى ديننا، وفي المقابل فإن اليهود قد أظهروا انزعاجهم من تحويل الرسولﷺ اتجاه قبلته بدعوى أن النبيﷺ لابد من أن يكون متبِعاً لما سار عليه الأنبياء عليهم السلام من قبله ومن ذلك الصلاة إلى قبلتهم، وفيما يخص المنافقين فكان همهم إثارة الشكوك فقط من غير تبني موقفاً واضحاً، فشككوا في معرفة الرسولﷺ الحق من الباطل، كونه قد اختار قبلة ورجع عنها إلى أخرى، وبما أن أمر تحويل القبلة من الأمور العظيمة التي حدثت للرسولﷺ ولكي لا تكون أمراً غريباً فقد مهد الله ﷻ لها بوجود النسخ الإلهي للأحكام؛ لكي يزيل شبهات المعادين بأن أمر التحول عن القبلة من فعل محمد ﷺ[٢].

فإن غاية الرسولﷺ من وراء دعائه بأن يمن الله ﷻ عليه بتغيير وجهة القبلة ترتكز على سبب جوهري وهو مخالفة اليهود وهذا ما يجرنا إلى تساءل مهم وهو إن كان الرسولﷺ متأثراً باليهود وبما عندهم من سلامة العقيدة والتشريعات حسب دعوة القمني والمستشرقين، فكيف يسعى إلى مخالفتهم؟[٣].

وقد جاء عن النبي محمدﷺ أحاديث كثيرة في الدعوة إلى مخالفة اليهود في كل شيء ومن ذلك. "(اهتم النبيﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها ؟ فقيل له انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك قال فذكر له القنع .. (هو البوق).. فلم يعجبه ذلك وقال هو من أمر اليهود...)"[٤]. وفي حديث أخر: عن أبي هريرة ﷺ، أن الرسولﷺ قال: "(إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لاَ يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ)"[٥].

فالمتأمل لما جاءت به أحاديث الرسولﷺ يجد أن أمر الرسولﷺ بمخالفة اليهود لم يفرق بين العادات والعبادات، فإذا كان هديهﷺ في مخالفة اليهود في مسألة الصبغ، والتي هي من المسائل الهينة فما بالك بتوجيهه عليه الصلاة والسلام، في المسائل الكبيرة، وهذا بحد ذاته رد واضح على شبهة تأثره ﷺ باليهود.

---

[١]- سورة آل عمران: من الآية:٧.

[٢]- ينظر: زاد المعاد ي هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية ٧٥١/٦٩١ هـ، تح: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، د.ط: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م،٦٧/٣.

[٣]- ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: علي بن نايف الشحود، د.ط، د.ت، ٢٠٩/٥.

[٤]- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، تح: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط:١٤٣٠/١هـ - ٢٠٠٩م: كتاب: الصلاة، باب: بدء الأذان، حديث رقم: ٤٩٨، ٣٦٩/١، تعليق المحقق:(إسناده صحيح).

[٥]- صحيح البخاري: كتاب: الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: ٣٢٧٥، ١٢٧٥/٣.

ب- في مسألة الصيام: من خلال ما حدث من كلام عن صيام الرسولﷺ، يوم "عاشوراء"[١]، وحقيقة هذه الحادثة تبينها الأحاديث الواردة في كتب الحديث، فقد ورد عن ابن عباسﷺ "(قَالَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَسُئِلُوا عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِى أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ. فَقَالَ النبيﷺ نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَأَمَرَ بِصَوْمِهِ)"[٢]. وبما أن أخبار اليهود غير مقبولة "فيحتمل أن النبيﷺ أوحي إليه بصدقهم فيما قالوه أو تواتر عنده النقل بذلك حتى حصل له العلم به"[٣]، ولذا فقد جاءت أحاديث تؤكد على أن هذا اليوم كان معلوماً عند رسول الله ﷺ: "(عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصُومُ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُهُ فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ فَلَمَّا فُرِضَ شَهْرُ رَمَضَانَ قَالَ مَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ)"[٤].

"ومعنى (صامه) استمر يصومه، لأنه كان يصومه قبل أن يهاجر، وقيل: صامهﷺ مع قريش، ثم قطع صيامه قبل الهجرة، ثم صامه بعد سؤال اليهود، والأول أصح، فلعل قريشاً كانوا يستندون في صومه إلى شرع من مضى كإبراهيمعليه السلام، وصوم رسول الله ﷺ يحتمل أن يكون بحكم الموافقة لهم، كالحج، أو أذن الله ﷻ له في صيامه على أنه فعل خير، فلما هاجر إلى المدينة، ووجد اليهود يصومونه، وسألهم، وصامه وأمر بصيامه ... وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم، فإنه كان يصومه قبل ذلك وكان ذلك في الوقت الذي يحب فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه"[٥].

وبناءً على ما تقدم يتضح زيف ادعاء تأثره عليه الصلاة والسلام باليهود؛ لأن اليهود كما نقل عنهم لم يرتقوا لمرتبة تجعل منهم عنصراً مؤثراً، فهم سيئون في كل تعاملاتهم سواء كانت مع العرب أو فيما بينهم، ومن كانت هذه صفاته لا يمكن أن يكون مؤثراً، كما إن إظهار القمني والمستشرقين لليهود بمظهر الارتياح لما جاء به محمدﷺ هو من قبيل الكذب والافتراء، فبعد هجرة الرسولﷺ إلى المدينة لم يجد من اليهود غير المؤامرات والخيانات والتحريض عليه، فهل يمكن إنكار الواقع وتصديق ادعاءات تأثر النبيﷺ باليهود والتي رددها المستشرقون ومن تأثر بهم، والذي نقوله أن

---

[١]- وعاشوراء بالضم وفتحها ممدودة ومقصورة اسم لليوم العاشر من المحرم وهو بلغاته الخمس لا يعرف باللام ولا يوصف به اليوم بل يضاف اليه فيقال يوم عاشوراء. ينظر: الجاسوس على القاموس: أحمد فارس أفندي، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، د.ط، ١٢٩٩هـ ، ص:٤٦٣.

[٢]- صحيح مسلم: كتاب: الصيام، باب: صيام يوم عاشوراء، حديث رقم: ١١٣٠، ٧٩٥/٢.

[٣]-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٣٩٢هـ: ١١/٨.

[٤]- صحيح مسلم: كتاب: الصيام، باب: صيام يوم عاشوراء، حديث رقم: ١١٢٥، ٧٩٢/٢.

[٥]- فتح المنعم شرح صحيح مسلم: ٥٨٩/٤.

اليهود إن كان لهم تأثير في سيرة الرسولﷺ، فهو لا يعدو كونه تأثيراً سلبياً، أسوأ من تأثير قريش، من خلال التكذيب والعناد والمقاومة[١].

ooooooo

[١]- ينظر: طوالع البعثة المحمدية: عباس محمود العقاد، دار نهضة القاهرة- مصر، د.ط، د.ت، ص: ٤٨-٥٠.

المبحث الرابع: المنهج الإسقاطي في قراءة القمني لأحداث السيرة النبوية.

من المناهج التي طبقها الطاعنون في دراستهم لدين الإسلام، هو المنهج الإسقاطي، فمن خلال هذا المنهج حاولوا إسقاط أفكارهم وأحكامهم المسبقة على الإسلام، وهذا ما يظهر واضحاً في كتابات المستشرقين والعلمانيين في دراستهم لسيرة النبي محمدﷺ من خلال إسقاط الأفكار التي يسيرون عليها، وكأنهم يتعاملون مع سيرة رجل عادي وليس نبي، فشطت بهم عقولهم عن إدراك الصواب وراحوا ينسبون إلى الرسولﷺ من الإسقاطات ما يتنافى ومكانته في نفوس المسلمين، ولذلك فقد جاء هذا المبحث ليسلط الضوء على أهم الإسقاطات التي تعرضت لها السيرة النبوية.

المطلب الأول: في العهد المكي.

لقد كانت السيرة النبوية في مكة محطة الاستهداف الأولى من قبل اعداء الإسلام، فما قاله القمني وما قاله المستشرقون لم يكن الأول ولن يكون الأخير؛ كون حرب استهداف الإسلام من قبل المعادين مستمرة، وهي امتداد لسلسلة الاستهداف القريشي للرسولﷺ ويمكن بيان النزعة الاستشراقية لدى القمني.

شبهة القمني.

لقد أثار القمني مسألة حساسة جداً فيما يخص تأثير الدعوة النبوية في المدعوين، فجَرد السيرة النبوية في هذه المرحلة من حقيقتها الجوهرية وتأثيرها الظاهر ليسقط عليها فرضية الأطماع الدنيوية التي راودت مخيلة المدعوين، وبالتالي يوصل القارئ إلى قناعة بأن رسول الله ﷺ قد استخدم أسلوب الإغراء المادي الذي كان تأثيره أكبر من القناعة الدينية، فهو من خلال كتابه الحزب الهاشمي الذي **يقول فيه:** "كانت قريش لا تزال في هدوء وترقب، لكن محمداًﷺ، الذي صمم علي إتمام الأمر مهما تكلف من مشقة، قام يؤلب العبيد علي أسيادهم يناديهم اتبعوني أجعلكم أنساباً، والذي نفسي بيده لتملكن كنوز كسرى وقيصر"[١].

فقد أسقط، فكرة استخدام النبيﷺ للأسلوب المادي ولم يستخدم الدين في دعوته للضعفاء والعبيد، واكتفى بذكر الإغراءات الدنيوية المتمثلة بالحصول على النسب والأموال، حيث ذكر القمني أن

---

[١]- الحزب الهاشمي: سيد القمني: ص:١٣٤.

العبيد قد شعروا بأمل كبير في دعوة النبيﷺ لهم إن هم دخلوا في هذا الدين فسيحصلون على النسب والذي كان من أهم ما يفاخر فيه الإنسان في ذلك الوقت، ومن ثم التفكير في المصالح المادية التي يمكن الحصول عليها من وراء إتباع الرسولﷺ[١]. والعجيب أن القمني بعد قوله هذا نجده قد ناقض نفسه فهو من جهة يقول إن محمدﷺ في بداية دعوته كان يعد الداخلين في دينه بكنوز كسرى وقيصر، ومن جهة أخرى ومن خلال لقاء صحفي معه يذكر أن الرسولﷺ عند فتح مكة قد طمئن المكيين على تجارتهم وأموالهم بأنه قد جاءهم بما هو أفضل مما عندهم وهو الوعد بالحصول على كنوز كسرى وقيصر[٢]، فلا نعلم أي القولين نصدق؟.

شبهة المستشرقين.

كان للمستشرقين النظرة ذاتها، في مسألة دعوة النبي محمدﷺ فهم يميلون إلى إسقاط مسألة وجود دوافع مادية من وراء قبول الناس لدعوة النبي محمدﷺ، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال ما قاله المستشرق هاملتون جب والذي ذكر من خلال كتابه دراسات في حضارة الإسلام، أن الناس قد شعروا بتعاليم الرسولﷺ بشكل ملموس وخصوصاً من أعتنق الإسلام من أجل ما فيه من مكاسب، فهؤلاء قد وجدوا بأن تعاليم الرسولﷺ تتلاءم وتطلعاتهم المادية[٣]. فتعد هذه النظرية من النظريات التي قال بها كثير من المستشرقين والتي يؤكدون فيها أن تعاليم الرسولﷺ ودعوته، كانتا من الأسباب التي دفعت أصحاب الغايات الدنيوية من اعتناق الإسلام، فنجد أن مونتجمري وات قد تكلم عن هذه الدعوة من خلال كتابه محمد في مكة، فذكر أنه على الرغم من اهتمام محمدﷺ بالجانب الديني إلا أنه كان لوجود الدافع السياسي والاقتصادي الأثر الكبير في قبول دعوة النبي محمدﷺ **فيقول:** "فليس غريباً أن بعض الأشخاص قد دفعهم إلى الإسلام النواحي السياسية والاقتصادية فيه"[٤].

وهذا ما ذهب إليه أيضاً المستشرق برنارد لويس في كتابه العرب في التأريخ، إذ ذكر بأن التأييد الذي لقيه محمدﷺ في بداية دعوته كان من الطبقات الفقيرة؛ بسبب ما كان يمثله محمدﷺ من

---

[١]- ينظر: الحزب الهاشمي: سيد القمني: ص:١٣٤.
[٢]- ينظر: لقاء صحفي مع سيد القمني منشور على اليوتيوب: بتأريخ ٢٠٢٤/٦/٢١، الساعة٢٣:٥م، https://youtu.be/lO8zH2rotRM?si=dGGlcWH4E6l_tOtJ
[٣]- ينظر: دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب: ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد، دار العلم للملايين- بيروت، ط:١٩٧٩/٣م، ص:٦-٧.
[٤]- محمد في مكة: مونتجمري وات، ص:١٦٤.

مناصرة للضعفاء والمطالبة بحقوقهم من طبقة السادة الأغنياء في مكة، وهذا ما جعل طبقة السادة تشعر بالخطر من دعوة محمدﷺ والتي أدت بدورها إلى خسارة السادة للكثير من العبيد الذين تمردوا عليهم واتبعوا دعوة محمدﷺ[١].

الرد على هذه الشبهات.

إن ما قاله القمني والمستشرقون يتطابق في مضامينه وغاياته، حتى وإن كان فيه اختلافات فهي لاتعدوا أن تكون اختلافات شكلية فقط، فما طرحوه يمكننا أن نجد له أكثر من وجه، فنجد أنهم يشتركون بالفكرة نفسها من خلال ادعاءهم تركيز الرسولﷺ على الجانب الاقتصادي في دعوته، وأن المدعوين قد وجدوا بتعاليم الرسولﷺ ما يطمحون إليه من مكاسب، وهذا الأمر لابد من الوقوف عليه وبيان ملابساته؛ كون هذا الطرح يظهر الرسولﷺ في دعوته الدينية بمظهر العاجز عن إقناع الناس، كما ويشكك في سلامة إيمان المسلمين وصفاء عقيدتهم، ويظهرهم باحثين عن المكاسب المادية، والمتتبع لما حوته كتب السيرة فيما يخص دعوة النبي محمدﷺ يجد خلاف ما يدعيه القمني والمستشرقين.

فبعد أن اختار الله ﷻ نبيهﷺ لحمل رسالة الإسلام وإيصالها للناس، لم يكن هذا الاختيار إلا لكونه أفضل الناس، فعن ابن مسعودﷺ قال: "(إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ...)"[٢]. وقد لاقت دعوة النبي محمد ﷺ معارضة المشركين منذ بدايتها وهذا ما جاء في، قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١ ﴾[٣]. فهم قد سعوا إلى تكذيب النبي محمدﷺ، فلما لم تنجح مساعيهم سلكوا مسلكاً أخر لإنكار النبوة وهو أنهم قد أظهروا اعتراضهم على إنزال الرسالة على الرسولﷺ، وقد عللوا السبب بوجود من هو أكبر منه سناً وأعز نسباً وأكثر منه أموالاً[٤].

وهذا القول يدحض ادعاء القمني بأن قريش لم تنكر الدعوة في بدايتها، كما إن الدليل على إن كفار مكة كانوا يعرفون أن محمدﷺ أقلهم مالاً فلم يكن يملك شيء من متاع الدنيا يمكن أن يجذب

---

[١]- ينظر: العرب في التأريخ: برنارد لويس: ص:٥١.
[٢]- مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصحابة، حديث رقم:٣٦٠٠، ٨٤/٦، قال المحققون: (حديث حسن).
[٣]- سورة الزخرف: الآية:٣١.
[٤]- ينظر: التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، ط:١٤١٣/١٠هـ ، ٣٩٢/٣.

الناس إليه، فلم يشأ الله ﷻ أن يسند رسالته بشيء من غير طبيعتها فاختار الرسولﷺ لهذه الدعوة والذي يحمل سمات التجرد فلم يكن سيد قبيلة أو تاجراً صاحب أموال وهذا كله؛ لكي لا تشتبه هذه القيم الأرضية مع قيمة الدعوة السماوية[١].

أما فيما يخص دخول الضعفاء للإسلام فإنهم بلا شك قد رأوا أن نور الإسلام قد أنار ظلمة عيشهم في ظل البقاء عند كفار مكة الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب فأحسوا أن دعوة النبي محمد ﷺ، هي حق جاء لِيُزهق الباطل، فدخولهم في الإسلام كان من غير أن يطلبوا من رسول الله ﷺ معجزة أو دليلاً على صدق دعوته، بل إن ما رأوه من الحق في هذه الدعوة وفي الداعي كان كافياً لكي تطمئن قلوبهم ويعلموا أن ما يدعوهم أليه هو الحق[٢].

والمهم في هذا كله هو أن دافع الإيمان عند الضعفاء والبسطاء من الرعيل الأول الذين دخلوا في الإسلام، لو كان حسب دعوى القمني هو نتيجة إغراءهم من قبل الرسولﷺ بأن وعدهم بالأموال والكنوز، لكان أول من استجاب له هم سادات مكة أصحاب الثروة والنفوذ؛ كون هذه الوعود كانت كفيلة بتحريك مشاعرهم المرهفة لحب المال والثروة، وعلى هذا فالفرق بين من أسلم في بداية الدعوة ومن أنكرها وتخلف عنها هو ليس فرقاً بين من يبحث عن المكاسب وبين من يرغب عنها، بل هو فرق بين خير وشر وحق وباطل، فالفقراء والضعفاء لم يكن إسلامهم طمعاً؛ لأن إغراءات سادة مكة كانت أسهل لهم وأقرب، كما إن وعد النبي محمدﷺ بكنوز كسرى وقيصر هو وعد مؤجل لم يستيقنوا من تحققه خصوصاً في ضل حالة الضعف التي كان يعاني منها العرب بالنسبة للفرس والروم، كما أن الذين دخلوا في الإسلام قد أصابهم من العذاب، ما لو أنه قد أصاب صاحب ثروة لافتدى به لينجو من تنكيل قريش بهم، ثم لماذا لم يُعرف عن الأولين الذين دخلوا في الإسلام من الفقراء والمستضعفين أنهم قد تحصلوا على أموال أو أنهم أصبحوا أثرياء حتى بعد فتح بلاد فارس؟[٣].

ولا يفوتنا أن نذكر بأن دعوة النبي محمدﷺ كانت في بيئة مشركة فكانت دعوته مبنية على وجوب الإيمان بالله ﷻ، ونبذ الشرك: "(فعَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُحَارِبِيِّ ﷺ قَالَ: " رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ

---

[١]- ينظر: خواطر وتأملات في السيرة النبوية: د. محمود محمد عمارة: ص:٧٧.

[٢]- ينظر: خاتم النبيين: محمد أبو زهرة، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية والسنة النبوية- الدوحة ١٤٠٠هـ ، د.ط: ٤٠٥/١.

[٣]- ينظر: عبقرية محمد ﷺ: عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة، د.ط، د.ت: ص:٢٣-٢٦.

ﷺ ... وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا...)"[١]. فلم يذكر أي صيغة أخرى لدعوة النبيﷺ وهذا يؤكد افتراء القمني والمستشرقين في دعواهم.

○○○○○○○

[١]- صحيحُ ابن خُزَيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ)، تح: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط:٣/١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، كتاب: الوضوء، باب: الكعبين، حديث رقم: ١٥٩، ١١٩/١.

المطلب الثاني: في العهد المدني.

لقد ظهرت عن العهد المدني عدة شبهات استهدفت سيرة النبي محمدﷺ فمن خلال ما قام به القمني والمستشرقين من تحليل نفسي لسيرة الرسولﷺ من أجل فهم دوافعه وسلوكه، وهذا ما أدى بهم للوصول إلى تأويلات خطير أسقطوا من خلالها فكرتهم ورأيهم الخاص على سيرة النبي محمدﷺ بهدف الطعن بهذه السيرة وتشويهها في نظر المسلمين وغير المسلمين.

شبهة القمني.

لقد اتسمت قراءة القمني لأحداث السيرة النبوية في العهد المدني بأسلوب إسقاطي نقدي، أبعد ما يكون عن الموضوعية وعن الحقيقة العلمية، فقد حاول إسقاط مفاهيمه الخاصة على سيرة النبي محمدﷺ من خلال تناوله موضوعات متنوعة في السيرة النبوية، ومن ذلك ما تناوله بشأن غزوات النبي محمدﷺ فمن خلال مراجعة آرائه في هذا الشأن يتضح أنه قد تناول الكثير من الغزوات غير أنه قد ركز على "غزوة بني قريظة"[١]، فقدم أحكامه متجاوزاً أسباب وملابسات هذه الغزوة، فنجده في كتابه حروب دولة الرسول يصف هذه الحادثة بالمذبحة التي حدثت بشأن اليهود من قبل المسلمين[٢]. ثم نجد القمني وهو يروي قصة هذه الغزوة يبرء بني قريظة من الخيانة وهو ما يشير حسب ما يراه أن المسلمين هم من بادر بنقض العهد حيث يذكر أن بنو قريظة لما رأوا حصار المسلمين قد طلبوا من الرسولﷺ أن يبعث لهم مبعوثاً يشارونه في أمرهم، فلما وصل لهم المبعوث ذكروا له بأنهم لا يريدون قتالاً ورغم ذلك فقد ذكر لهم المبعوث بأن الرسولﷺ يريد لهم الذبح[٣]. وكأن القمني يصور أن أمر قتلهم وذبحهم محسوم، فيتضح منهج القمني في قراءته لهذه الغزوة من خلال محاولته لإثارة القارئ بتكرار مصطلح الذبح والمذبحة، كما أنه يصر على التشكيك في السبب الذي دفع إلى هذه الغزوة خصوصاً بعدما ذكر في لقاء أجري معه بأن بنو قريظة لم يخونوا ولم ينقضوا عهدهم ولم يفتحوا أبواب حصونهم لجيش الكفار وقد تم معاقبتهم لمجرد أنهم فكروا فقط بهذا الأمر بعد أن رأوا محاصرة جيش المسلمين لحصونهم، فكان ادعائهم نقض العهد وسيلة ضغط من

---

[١]- وهي إحدى غزوات النبي محمد ﷺ التي قادها وكانت على يهود بني قريظة في المدينة المنورة، وكان سبب هذه الغزوة أن اليهود قد نقضوا عهدهم مع رسول الله وخانوه من خلال تعاونهم مع أعداء الإسلام يوم الخندق. ينظر: البداية والنهاية: ابن كثير: ١٣٤/٤-١٤٠.

[٢]- ينظر حروب دولة الرسول: سيد القمني: ٨٤/٢.

[٣]- ينظر المصدر نفسه: ص:٨٥.

أجل الدفع باتجاه إرجاع باقي اليهود الذين تم تهجيرهم في السابق، وهذا ما يجعل قرار ذبحهم مبالغ فيه[١].

شبهة المستشرقين.

أما المستشرقين فإن إسقاطاتهم المادية كانت حاضرة من خلال قراءتهم لأحداث هذه القصة، فلم يتطرقوا لحقيقة هذه الغزوة بل اكتفوا بنقدها وتوجيه الاتهامات للرسولﷺ بخصوص ما لحق في هذه الغزوة من تبعات، ومن خلال قراءتنا لأقوال القمني والمستشرقين نجدهم قد تشاركوا في إسقاط نظرياتهم على هذه الحادثة، إذ أخرجوها من غايتها وأسقطوا عليها أفكارهم، فالمستشرق بودلي، بعد أن تكلم عن هذه الغزوة بطريقة درامية، ومن خلال تناوله لأحداثها نجده **يقول:** "إن إبادة اليهود جملة، موضوع جدال بين الذين يعتقدون في محمد، والذين لا يؤمنون به، وإن ما يمكن قوله هو أنه لما يصبح الناس متعصبين للدين يصيرون متعصبين، فيحبون أن يقتلوا الذين يختلفون معهم في أمور عقائدهم، وهم يقتلون عادة في قسوة وجملة"[٢]، ثم يعود بودلي إلى وصف هذه الغزوة بأنها كانت مذبحة بحق اليهود على الرغم من أن المسلمين يعتبرونها عدلاً[٣].

الرد.

لقد أثار القمني من خلال عرضه لأحداث غزوة بني قريظة شبهة كبيرة لها عدة أبعاد، وعلى هذا سيكون ردنا من خلال تناول أبعاد هذه الحادثة، بما يتناسب مع الإطار الزمني ألذي أثيرت فيه هذه الشبهة.

البعد التاريخي: بعد أن مَن الله ﷻ على المسلمين بهزيمة الأحزاب من قريش والمتحالفين معها، توجه الرسولﷺ في غزوة جديدة، وذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة، إلى بني قريظة؛ بسبب نقظهم العهد مع رسول الله ﷺ ومناصرة أعداءه عليه، فتعتبر هذه الغزوة من الأحداث الهامة التي حدثت في تأريخ الإسلام؛ كونها ترتبط بفترة زمنية مهمة وهي فترة بداية أنتشار الإسلام، كما إنها ترتبط بسيرة الرسولﷺ؛ كونها إحدى الغزوات التي قادها رسول الله ﷺ بنفسه[٤]، فقد ذكرت كتب

---

[١]- ينظر: لقاء صحفي مع سيد القمني منشور على اليوتيوب: بتأريخ ٢٠٢٤/٦/٢١، الساعة٢٣:٥م، https://youtu.be/vVSveJpURjo?si=1X4B45e1r8uZJQ37

[٢]- الرسول (حياة محمد): بودلي: ص:٢١١.

[٣]- ينظر: المصدر نفسه: ص:٢١٢.

[٤]- ينظر: المغازي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي(ت: ٢٠٧هـ)، تح: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، ط:٣/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ٤٩٦/٢.

الصحاح عن عائشة رضي الله عنها قالت: "(لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ فَإِلَى أَيْنَ قَالَ هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ)"[١]. فمن سياق الخطاب الذي دار بين جبريلعليه السلام والرسولﷺ والذي فيه أن جبريلعليه السلام قال لرسول الله ﷺ قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم، نجد أن هذا الخطاب هو من قبيل الحث والتعجيل في الخروج إلى بني قريظة[٢]. ويتضح هذا من موقف الرسولﷺ فعن ابن عمررضي الله عنه قال: "(قال النبيﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ)"[٣]. فهذه الدعوة لا تخص الصلاة بقدر كونها حث على الاستعجال بالذهاب لبني قريظة[٤].

وعلى العموم فإن البعد التاريخي لهذه الغزوة يكشف غدر اليهود بالمسلمين، وقد جاءت هذه الغزوة بعد شدة أصابت المسلمين والتي تمثلت في حصار الأحزاب والذي انكشف من خلاله اليهود على حقيقتهم، إذاً فالمصادر التاريخية تثبت هذه الغزوة وتبين أسبابها، عكس رأي القمني والذي لم يعطي أهمية كبيرة للعهد الذي بين الرسولﷺ من جهة، وبني قريظة من جهة أخرى.

البعد الديني: لم يكن لرسول الله ﷺ أن يقاتل من أجل هواه أو من أجل عصبية أو ما شابه ذلك، فكل أفعاله وأقواله لها تبريراتها الدينية وفي هذه الغزوة ظهر التأييد الإلهي لنبيه الكريم من خلال إرسال جبريلعليه السلام والذي هو الوحي الأمين بين السماء والأرض. فعن أنسرضي الله عنه قال: "(كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبِ جِبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.)"[٥]. فوجود جبريلعليه السلام هو تأييداً لرسول الله ﷺ وتثبيتاً له، وكل هذا إذا أردنا تحليله نصل إلى نتيجة واحدة هي عظيم جرم نقض العهد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾[٦]. فقوله تعالى: {ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ}، يراد به أن هذا هو حال

---

[١]- صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب: مرجع النبي محمد ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، حديث رقم:٣٨٩١، ١٥١٠/٤.

[٢]- ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط:١٣٢٣/٧هـ ، ٣٢٨/٦.

[٣]- المصدر السابق: كتاب أبواب صلاة الخوف، باب: صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماء، حديث رقم:٩٠٤، ٣٢١/١. وعند مسلم في كتاب: الجهاد والسير باب: المبادرة بالغزو، حديث رقم:١٧٧٠.

[٤]- ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ٣٢٨/٦.

[٥]- المصدر السابق: كتاب المغازي، باب: مرجع النبي محمد ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، حديث رقم:٣٨٩٢، ١٥١٠/٤.

[٦]- سورة الأنفال: الآية:٥٦.

اليهود ينقضون العهود مرة بعد مرة، وقال ابن عباسﷺ هؤلاء هم بنو قريظة، نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ عندما أعانوا عليه مشركي مكة ومن معهم يوم الخندق، وقد نقضوا العهد من غير خوف من الله ﷻ وعقابه[١]. وقد تحقق عقاب الله ﷻ على اليهود بأيدي المسلمين لينالوا جزاء ما فعلوه، فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧﴾[٢]. فقوله تعالى: {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ} يعني بنو قريظة أزروا الأحزاب وأعانوهم، فأنزلهم الله ﷻ مِنْ صَيَاصِيهِمْ أي من حصونهم، فسلط عليهم المسلمين يقتلون مقاتلهم ويأسرون ذرياتهم وأهلهم، وليس ذلك فحسب بل إن الله ﷻ قد أورث المسلمون أرضهم وأموالهم[٣]. فبعد الذي سبق لم تعد غزوة بني قريظة خياراً للمسلمين فلا يستطيع الرسولﷺ تأجيلها أو العفو عن اليهود فقد صدر الحكم من الله ﷻ وهذا ما يتبين من قول الرسولﷺ لسعد بن معاذﷺ، فعن أبي سعيد الخدريﷺ أنه قال: "(نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّﷺ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلأَنْصَارِ قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ فَقَالَ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ فَقَالَ تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ قَالَ قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللهِ، وَرُبَّمَا قَالَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ)"[٤]. فما وقع منهم أمر عظيم لابد له من عقاب يناسبه، وهذ الأمر لا يقبل التسهيل كما فعل القمني والمستشرقين، من جعل أمر الخيانة شيء هين.

البعد الإنساني: فعلى الرغم من أن غزوة بني قريظة قد أثيرت حولها عدة شبهات إلا أنه من يقرأ هذه الغزوة بنظرة منصفة لن يغفل عن وجود تعامل إنساني من قبل الرسولﷺ اتجاه بني قريظة، فعلى الرغم من الشدة التي أصابت المسلمين في الخندق بقي رسول الله ﷺ محافظاً على عهده مع بنو قريظة فلم يحملهم من الأمر ما لا يطيقون ولم يطلب منهم الدخول مع المسلمين في هذه

---

[١]- ينظر: التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط:١/١٤٣٠هـ ، ٢٠٦/١٠.

[٢]- سورة الأحزاب: الآية:٢٥-٢٦-٢٧.

[٣]- ينظر: المصدر السابق: ٢٢٤/١٨.

[٤]- صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب: مرجع النبي محمد ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، حديث رقم:٣٨٩٥، ١٥١١/٤.

الحرب، على الرغم من أن المعاهدات قد تنص بعضها بين المتعاهدين على نصرة أحدهما الأخر، وعلى الرغم من ذلك فقد جاء نقض العهد من قبل بني قريظة، وهذا ما جعل رسول الله ﷺ يرسل إليهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فحاول أن يذكرهم بما تعاهدوا عليه مع رسول الله ﷺ فلم يُجدِ ذلك نفعاً، فتبين من موقفهم أنهم التزموا بالعهد خوفاً من المسلمين، غير أنهم قد ظهروا على حقيقتهم بعدما رأوا أن المسلمين محاصرين من كل مكان وأن دخول جيوش الأحزاب سوف ينهي قوة المسلمين إلى الأبد فعلقوا أمالهم بجيوش الكفر ونسوا أن الله ﷻ على كل شيء قدير[١].

أما الرسول ﷺ والمسلمين فقد تيقنوا من غدر اليهود وأنهم عازمون على تسليم المسلمين إلى الكفار ليقتلوا رجالهم ويسبوا نسائهم، وعلى هذا فإن ما أصابهم من المسلمين لم يكن إلا ردة فعل طبيعية لغدرهم، فلم يبادر رسول الله ﷺ قتالهم حتى أرسل إليهم من يستيقن أمرهم، وبعد أن نصر الله المسلمين على الأحزاب وظفر المسلمون باليهود خَيرهم رسول الله ﷺ بين الإسلام والنجاة بأموالهم وأهليهم وبين القتل فقادهم بغضهم للإسلام إلى العناد واختاروا القتل على الإسلام، ورغم ذلك فقد أوكل اليهم رسول الله ﷺ أن يختاروا من يحكموه في أمرهم فاختاروا سعد ابن معاذ رضي الله عنه فاختار لهم الحكم الذي يناسبهم، فلم يكن هذا الحكم إلا نتيجة واضحة لسوء التدبير من قبل ولاة أمر بني قريظة الذين كانوا يطمحون في المجد ولم يخضعوا للواقع، والسؤال المهم الذي يطرح نفسه هو ماذا لو أن ما أراده اليهود قد تحقق ألم يكن حدوث مذبحة بالمسلمين أمر حتمي، غير أن إرادة الله ﷻ سبقت مكرهم[٢].

إذاً فلم يكن قتال اليهود من غير سبب كما قال القمني، ولا هو بسبب تعصب ديني كما ادعى المستشرقون، بل إنه كان تثبيتاً لدعائم الإسلام وضرباً على يد كل من تسول له نفسه تعريض حياة المسلمين للخطر، فالقمني والمستشرقين أغفلوا كل هذه الحقائق وأسقطوا أحكامهم الخيالية على هذه الواقعة، ولا عجب من سلوك المستشرقين لهذا المنهج غير أن العجب من شخص يدعي الإسلام يسلك مسلكهم.

○○○○○○○

[١]- ينظر: فقه السيرة: محمد الغزالي: ص:٣١٢إلى٣٤١.
[٢]- ينظر: المصدر نفسه: ص:٣١٢إلى٣٤١.

الفصل الثالث

النزعة الاستشراقية للقمني في تعامله مع القضايا المعاصرة والرد عليها.

المبحث الأول: أثر النزعة الاستشراقية حول العقل.

المطلب الأول: مفهوم العقل والتفكير والعلاقة بينهما.

المطلب الثاني: النزعة الاستشراقية حول العقل.

المطلب الثالث: الاجتهاد وموارده.

المبحث الثاني: النزعة الاستشراقية للقمني في قراءته للقيم الأخلاقية.

المطلب الأول: نظرة القمني للقيم الأخلاقية.

المطلب الثاني: القيم الدينية والقيم الوضعية.

المطلب الثالث: موقف القمني من الرق.

المطلب الرابع: موقف القمني من المرآة ومكانتها الاجتماعية.

المطلب الخامس: موقف القمني من الحجاب والنقاب.

المبحث الثالث : النزعة الاستشراقية للقمني في تعامله مع الاتجاهات الفكرية المعاصرة.

المطلب الأول: الحرية والحريات.

المطلب الثاني: الديمقراطية.

المطلب الثالث: العلمانية.

الفصل الثالث: النزعة الاستشراقية عند القمني في تعامله مع القضايا المعاصرة والرد عليها.

كان للقمني من خلال مؤلفاته موقفاً واضحاً فيما يتعلق بالتفكير وأدواته وانعكاساته، والذي أتبع فيه من سبقه أو عاصره من المستشرقين أو ممن تأثر بالمستشرقين من العلمانيين، لذا جاء هذا الفصل ليسلط الضوء على بعض القضايا المعاصرة والتي تتصل بالفكر والتفكير وغيرها، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، أما المبحث الأول: فقد تناولت فيه موقفه من التفكير وانعكاساته في ثلاثة مطالب أما المطلب الأول: فقد تناولت فيه تعريف العقل والفكر مع أدلتهما من القرآن الكريم والسنة النبوية والعلاقة بينهما، وأما المطلب الثاني: فقد تناولت فيه النزعة الاستشراقية عند القمني حول العقل، وأما المطلب الثالث: فهو مخصص للكلام عن رأي القمني في الاجتهاد وموارده، وأما المبحث الثاني: فهو مخصص للنزعة الاستشراقية للقمني في قراءته للقيم الاخلاقية، وتحته أيضاً ثلاثة مطالب، أما المطلب الأول: فمخصص لنظرة القمني للقيم الأخلاقية، وأما المطلب الثاني: فهو عن المرآة وحقوقها، وأما المطلب الثالث: فهو عن الحجاب والنقاب ما بين التراث والمعاصرة ، فيما جاء المبحث الثالث: ليتناول النزعة الاستشراقية للقمني في تعامله مع الاتجاهات الفكرية والذي قسمته إلى ثلاثة مطالب، أما المطلب الأول: فيتكلم عن آراء القمني فيما يخص مفهوم الحرية والحريات، وأما المطلب الثاني: فتناولت فيه آراء القمني فيما يخص الديمقراطية، وأما المطلب الثالث: فهو يتكلم عن رؤية القمني للعلمانية.

المبحث الاول: موقفه من التفكير وانعكاساته.

جعل الله ﷻ عقول البشر أداة من أدوات التفكير والإدراك والفهم والموازنة، حتى يكون لها دور في هذا الكون من أجل تسخيره وعمارته وإصلاحه، على وفق ما سنَهُ الله ﷻ ولقد حث الله ﷻ على التفكير من خلال استخدام العقل للوصول إلى عبادتهﷻ من غير شرك، وقد اختلفت رؤى المفكرين في معنى التفكير والعقل، لذا سنذكر معناها ثم نبين موقف القمني من مسألة التفكير وانعكاساته وما يتعلق به وعلى النحو التالي.

المطلب الأول: العقل والتفكير والعلاقة بينهما.

كرمَ الله ﷻ الإنسانَ وفضَله بنعمة العقل كما وحثَ البشر على استخدام العقل بالتفكير فلا فائدة للعقل من غير تفكير، ولذلك أذا أردنا بيان مفهوم العقل والتفكير لابد من بيان معناهما اللغوي والاصطلاحي، مع عرض النصوص الدالة عليهما من الكتاب والسنة، وبيان علاقة العقل بالتفكير باعتبار أن التفكير هو ثمرة من ثمرات العقل.

أولاً: العقل.

أ- **تعريفه:** لقد جاء تعريف العقل مشتملاً على المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

١- **العقل لغةً:** هو، "ضدّ الْجَهْل.... وَلَيْسَ لفُلَان مَعْقُول، أَي لَيْسَ لَهُ عقل..."[١]. وقد سمي "عقلُ الْإِنْسَان وَهُوَ تَمْيِيزه الَّذِي بِهِ فَارق جميعَ الْحَيَوَان عقلاً، لأنّه يعقله، أَي يمنعهُ من التورُّط فِي الهَلَكة، كَمَا يعقل العقالُ البعيرَ عَن ركُوب رَأسه"[٢].

وجاء بمعنى" الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق... وقيل العاقِلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها"[٣]. وبه يكون، "العلم، بصفاتِ الأَشياء، من حُسْنِها وقبحها، وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، أو مطلق الأمور، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحُسْنِ، ولمعانٍ مُجتمعة في الذهن..... والحق أنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد"[٤].

---

[١]- جمهرة اللغة: أبو بكر الأزدي: ٩٣٩/٢، مادة(عقل).

[٢]- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت: ٣٧٠هـ ، تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط:١ ، ٢٠٠١م ، ١٦٠/١، مادة(عقل) .

[٣]- لسان العرب: أبن منظور: ٤/ ٣٠٤٦ ، مادة (عقل).

[٤]- القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادى ، ص: ١٠٣٤، مادة (عقل).

٢- العقل اصطلاحاً:

عَرف "المعتزلة"[١] العقل بأنه. "عبارة عن جملة من العلوم المخصوصة – يقصد بها الضرورية – متى حصلت في المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام بما كلف، ولابد من اجتماع هذه العلوم حتى يسمى عقلاً أما أذا تفردت عن بعضها فهي ليست كذلك"[٢].

وعَرفه الفلاسفة بأنه: "قوة النفس التي بها يحصل للإنسان اليقين بالمقدمات الكلية الصادقة الضرورية لا عن قياس أصلا ولا عن فكر؛ بل بالفطرة والطبع أو من صباه أو من حيث لا يشعر من أين حصلت وكيف حصلت"[٣]. وفي تعريف أخر هو "جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا... جوهر مجرد يدرك الفانيات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة"[٤]. وقد ذهب البعض إلى أن العقل "يراد به صحة الفطرة الأولى في الناس، فيقال لمن صحت فطرته الأولى: إنه عاقل، فيكون حده إنه قوة بها يجود التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة...و يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده إنه معاني مجتمعة في الذهن تكون مقدمات يستنبط بها المصالح والأغراض.. فهو هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وهيئاته وكلامه واختياره، ولهذا الاشتراك يتنازع الناس في تسمية الشخص الواحد عاقلاً فيقول واحد: هذا عاقل، ويعني به صحة الغريزة، ويقول الأخر: ليس بعاقل ويعني به عدم التجارب"[٥].

---

[١]- المعتزلة فرقة إسلامية نشأة في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية، من أبرز رجال هذه الفرقة: واصل بن عطاء و القاضي عبد الجبار الهمذاني و بشر المريسي وغيرهم الكثير. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي د. مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط:٤/١٤٢٠هـ ، ٦٥/١.

[٢]- نظرية التكليف (آراء القاضي عبدالجبار الكلامية): د. عبدالكريم عثمان ، مؤسسة الرسالة – بيروت،١٩٧١م، د.ط، ص:٧٤.

[٣]- رسالة في العقل: أبو ناصر محمد بن محمد الفارابي ، تح: الأب موريس بويج ، المطبعة الكاثوليكية – بيروت، د.ط، ١٩٣٨م، ص:٨.

[٤]- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني ٧٤٠هـ/٨١٦هـ ، تح: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي – بيروت، د.ط، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ١٩٦/١-١٩٧.

[٥]- معيار العلم في فن المنطق: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) ، تح: د. سليمان دنيا ، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٦١م ، ص: ٢٨٦.

ب- النصوص الدالة على مكانة العقل من القرآن الكريم والسنة النبوية:

١- من القرآن الكريم: لقد وردت آيات في القرآن الكريم تدعوا إلى إعمال العقل واستخدامه للوصول إلى معرفة الله ﷻ، وإدراك عظمته تبارك وتعالى، كما جاءت الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم على صيغ مختلفة منها ما كان ألفاظ صريحة عن العقل، ومنها ما هو ألفاظ ذات صلة مثل: اللب، والفؤاد، والنهى، ومن الكلمات الدالة على العقل دلالة صريحة والتي تكررت كثيراً في سياق المخاطبة القرآنية، هي كلمة **(يعقلون)** والتي جاءت في صيغة النفي تارة وصيغة الإثبات تارة أخرى من خلال ورود الكلمة بصيغة الإثبات كما في **(يعقلون)** وبصيغة النفي كما في **(لا يعقلون)**.

* **أما بصيغة الإثبات:** ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١].

" ومعنى قوله: {لآيات} فإنه علامات ودلالات على أنَ خالق ذلك كلَه ومنشئه إلهٌ واحدٌ، وقوله: {لقوم يعقلون} أي: لمن عقل مواضع الحجج وفهم عن الله أدلته على وحدانيته. فأعلَمَ تعالى ذكره عباده بأن الأدلة، والحجج إنما وضعت معتَبراً لذوي العقول والتمييز دون غيرهم من الخلق، إذ كانوا هم المخصوصين بالأمر والنهي، والمكلفين بالطاعة والعبادة، ولهم الثواب وعليهم العقاب"[٢].

* **وأما بصيغة النفي:** ففي قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [٣].

ووجه الدلالة في قوله تعالى: "{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم، وما فيه الضر، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله، ينالون بها عند الله زلفة وقربة، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود في النار"[٤].

فنرى أن الله ﷻ جعل عدم إتباع المشركين للحق هو بسبب عدم تعقلهم في آيات الله ﷻ وهذا ما يجرهم إلى العذاب والهلاك في نار جهنم، فعقولهم التي يحملونها لا فائدة منها إن لم تجنبهم المهالك.

---

[١] - سورة البقرة: الآية:١٦٤.
[٢] - تفسير الطبري: ١٤/٣.
[٣] - سورة العنكبوت: الآية: ٦٣.
[٤] – المصدر السابق: ٤٣٩/١٨.

٢- **من السنة النبوية:** فلم ترد في أحاديث الرسولﷺ ألفاظٌ صريحة تخص العقل، غير أنه قد جاءت أحاديث في المعنى العام للعقل مبينةً مكانة العقل والحث على إعماله ومن هذه الأحاديث.

ما جاء "(عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لِيَلِنِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ»)"[١].

فوجه الدلالة في هذا الحديث هو أشارة النبيﷺ لمن يليه في الصلاة، "وأولو الأحلام: يعني الذين بلغوا الحلم وهم البالغون، والنهى: جمع نهية وهي العقل، يعني العقلاء فالذي ينبغي أن يتقدم في الصلاة العاقلون البالغون؛ لأن ذلك أقرب إلى فهم ما يقوله النبيﷺ أو ما يفعله، من الصغار ونحوهم، فلهذا حث النبيﷺ أن يتقدم هؤلاء حتى يلوا الإمام[٢].

وفي حديث أخر قال الرسولﷺ لأحد الصحابةﷺ : "(إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ)"[٣].

"وأما الحلم فهو العقل ، وأما الأناة فهي التثبيت وترك العجلة"[٤].

ثانياً: التفكير.

أ- **تعريفه:** وردت تعاريف كثيرة لغوية واصطلاحية عن التفكير.

١- **التفكير لغةً:** "من المصدر المفرد فكر، ما يقابل الوجدان والنزوع"[٥].

٢- **التفكير اصطلاحاً:** "هو كل نشاط عقلي أدواته الرموز، أي يستعيض عن الأشياء والأشخاص والمواقف والأحداث برموزها بدلا من معالجتها معالجة فعلية واقعية"[٦].

وفي تعريف آخر أنه: "التقصي المدروس للخبرة من أجل غرض ما، وقد يكون ذلك الغرض هو الفهم، أو اتخاذ القرار، أو التخطيط، أو الحكم على الأشياء، أو القيام بعمل ما"[٧].

---

[١]- صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف ، حديث رقم:٤٣٢، ٣٢٣/١.

[٢]- شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ) ، دار الوطن للنشر، الرياض- ١٤٢٦هـ ، د.ط، ٢٣٦/٣.

[٣]- المصدر السابق: كتاب: الإيمان ، باب: باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه ، ٤٨/١.

[٤]- شرح صحيح مسلم للإمام النووي، ١٨٩/١.

[٥]- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ص: ١٧٣٤/٣.

[٦]- أصول علم النفس: د. أحمد عزت راجح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر- القاهرة ، ط:١٩٦٨/٧م ، ص:٢٧١.

[٧]- تعليم التفكير: ادورد دي بونت ، ترجمة: د. عادل عبدالكريم ياسين ، اياد احمد ملحم ، توفيق احمد العمري ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ط:١٩٨٩/١م، ص:٤٢.

وعُرف أيضاً بأنه: "هو نشاط عقلي يميز الإنسان عن سائر المخلوقات...وهو العملية التي ينظم بها العقل خبراته بطريقة جديدة...فالتفكير ليس إلا اسماً متعارفاً عليه لمجموعة معقدة من العمليات العقلية، نتعرف بها على العالم ونتعلم كيف نستدل على طريقنا فيه"[١].

ب- النصوص الدالة على التفكير من القرآن الكريم والسنة النبوية.

إن ما جاء به ديننا الإسلامي من نصوص دلت على التفكير وكيفية استخدام الإنسان للجوهرة التي وهبها الله له وميزه بها عن جميع المخلوقات والتي هي العقل، فهي كثيرة سنذكر بعضاً منها.

١- من القرآن الكريم: دلت آيات قرآنية في كتاب الله ﷻ، بشكل صريح على مفهوم الفكر، للدلالة على سبيل المثال لا الحصر. ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾[٢].

فوجه الدلالة في هذا "{لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} أي: لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه، وتعرفوا أن أوامره، فيها مصالح الدنيا والآخرة، وأيضا لكي تتفكروا في الدنيا وسرعة انقضائها، فترفضوها وفي الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فتعمروها"[٣].

ومن أساليب المخاطبة الأخرى التي وردت بخصوص التفكير، والتي نجد فيها أسلوب المدح للمتفكرين .

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[٤].

فيكون وجه الدلالة في هذه الآية: "(وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) استدلالاً واعتباراً، وهو أفضل العبادات... فلما تفكروا في عجائب المصنوعات، قالوا: رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا أي:

عبثاً من غير حكمة، بل خلقته لحكمة بديعة، من جملتها: أن يكون مبدأ لوجود الإنسان، وسبباً لمعاشه، ودليلاً يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك، لينال الحياة الأبدية، والسعادة السرمدية في جوارك، سُبْحانَكَ تنزيهاً لك من العبث وخلق الباطل، فَقِنا عَذابَ النَّارِ التي استحقها من أعرض عن

---

[١]- المنطق والتفكير الناقد: د. عصام زكريا جميل ، دار المسرة للنشر والتوزيع- عمان ، ط:١/١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، ص:١٩٣.

[٢]- سورة البقرة: من الآية: ٢١٩.

[٣]- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) ، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط:١/١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م ، ص:٩٨.

[٤]- سورة آل عمران: ١٩٠ – ١٩١.

النظر والاعتبار، وأخلّ بما يقتضيه من أحكام الواحد القهار، وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ يمنعونهم من دخول النار. ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن ظلمهم سبب لإدخالهم النار، وانقطاع النصرة عنهم في دار البوار"[١].

٢- **من السنة النبوية:** لقد جاءت السنة النبوية مكملة لدعوة القرآن الكريم إلى التفكير، فمن خلال الأحاديث النبوية يتضح السلوك النبوي القولي والفعلي في الدعوة الى التفكير، ومن ذلك مارويَ.
عن عائشة رضي الله عنها قالت أن رسول الله ﷺ قال : "(يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...)"[٢]. فالرسولﷺ هو أعلم البشر بقول الله ﷻ فَعلِمَ أن هذه الآيات التي نزلت هي دعوة من الله ﷻ للتفكر في مخلوقاته، حيث إن الغاية من التفكر في هذه الآيات هو الوصول إلى التعقل، فالتفكر والتعقل يحدث من خلال قراءة هذه الآيات[٣]. فما دام الإنسان له عقل فهو غير معفي من التفكر في عظمة الله ﷻ حتى يصل إلى كمال الإيمان، بالنجاة من عذاب الله ﷻ والفوز برحمته وجنته.

ثالثاً: العلاقة بين العقل والتفكير.

لقد اتسمت العلاقة بين العقل والتفكير بأنها علاقة مترابطة، فكيف يفكر من لا عقل له، ومن هذا المنطلق رفعت الشريعة الإسلامية التكليف عن المجنون الذي هو فاقد للعقل، والذي يدلل على

---

[١]- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ) ، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، د.ط ، ٤٥٠/٤.

[٢]- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ، تح: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط:١٤٠٨/١هـ - ١٩٨٨م ، كتاب الرقائق ، باب التوبة ، حديث رقم: ٦٢٠، ٣٨٦/٢ ، تعليق : شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط مسلم).

[٣]- ينظر: الدر المنثور في التفسير بالماثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: مركز هجر للبحوث ، دار هجر – مصر، د.ط، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ١٨٣/٤.

ذلك ما ورد: "(عن علي بْنِ أَبي طالب، أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رُفِعَ القلم عن الصغير وعن المجنون وعن النائم)"[١]."والحديث فيه دلالة على أن الثلاثة لا يتعلق بهم الخطاب التكليفي"[٢].

ولهذا برز التفكير بكونه ثمرة العقل والدال عليه، فالتفكير هو أحد الخصائص التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، ومن خلال التفكير يستطيع الإنسان أن يتعامل مع محيطه، كما يستطيع أن يتعامل مع المواقف التي يواجهها، وتُستخدم عملية التفكير عندما يواجه الشخص مشكلة أو يشعر بوجود خطأ ما، أو حاجة لمعرفة شيء ما، فيبدأ العقل بممارسة مهنته الأساسية وهي التفكير والتي من خلالها نصل إلى نتائج، وتبدو ضرورة حاجة الإنسان من خلال ما ارساه الإسلام من الدعوة إلى التفكير وبناء أسسه، حيث لم يحض العقل والتفكير بمكانته الحقيقية إلا من خلال الإسلام، ويمكن تقسيم مهارات التفكير إلى فئتين أساسيتين وهي :

أ: مهارات التفكير ذات المستوى المنخفض: والتي تعني الاستخدام المحدود للعمليات العقلية مثل الذاكرة والحفظ ، وهي عمليات يجب تعلمها قبل الانتقال إلى مستوى التفكير الأعلى.

ب: مهارات التفكير ذات المستوى المرتفع: وهي مهارات التفكير التي تكون على مستوى عالي، وبها يكون الاستخدام المكثف للعمليات العقلية، والذي يحدث عندما يقوم الفرد بتفسير وتحليل المعلومات ومعالجتها بدلاً من الحلول أو الصيغ البسيطة للإجابة عن الأسئلة أو حل المشكلات التي لا يمكن حلها من خلال الاستخدام المنتظم للعمليات العقلية ذات المستوى المنخفض[٣].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى الاتصال بين العقل والتفكير فلا يمكن أن ينفك أحدهما عن الأخر بحيث لا يمكن أن يخلو العقل من التفكير، مع الأخذ بنظر الاعتبار تباين الأفكار بين شخص وأخر، فالعقول تتشابه والأفكار تختلف، وبهذا يكون التفكير هو منطلق العقل نحو البحث وإيجاد أجوبة لأسئلة العقل.

ooooooo

---

[١]- سنن ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير النائم ، حديث رقم:٢٠٤٢، ١٩٩/٣ ، (علق عليه شعيب الأرنؤوط بأنه حديث صحيح).

[٢]- البدرُ التمام شرح بلوغ المرام: الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي (ت: ١١١٩ هـ)، تح: علي بن عبد الله الزبن، ط:١/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ٧٩/٨.

[٣]- ينظر: تعليم التفكير: صباح مرشود منوخ العبيدي و ليلى علي عثمان البرزنجي ، بحث مشترك منشور على مكتبة نور الإلكترونية ، د.ت، ص:١١-١٢ ، https://www.noor-book.com .

المطلب الثاني: النزعة الاستشراقية للقمني حول العقل.

مرَ معنا في المطلب الأول الكلام عن مكانة العقل وتفضيله في النصوص الشرعية، وكونه أداة التفكير وبه كان التكريم الرباني، فضلاً عن كونه أداة لبناء حضارة الإنسان، غير أن هذا لا يعني الخضوع المطلق للعقل والتسليم له بكل ما يتوصل أليه وبكل ما يحكم، ولبيان النزعة الاستشراقية حول العقل لابد من القول أن ثمة مراحل مر بها العقل في مجال التسليم له بكل ما يتوصل أليه، وقبل أن نخوض في هذه المراحل لابد أن نتطرق في المرحلة الأولى لموضوع مكانة العقل في الإسلام، وأن هذه المكانة لا تعني تقديم العقل في كل شيء، والمرحلة الثانية والتي هي المنهج العقلي القديم المتمثل بالنزعة العقلانية المفرطة لدى الفلاسفة، وأما المرحلة الثالثة وهي مرحلة الفكر الإعتزالي، ثم المرحلة الرابعة والتي هي مرحلة المنهج العقلي الحديث والمتمثلة بالمستشرقين ومن جاء بعدهم من أصحاب التيار العقلاني من العلمانيين، لذا سنقف عند هذه المراحل، مع بيان أقوال القمني والتي تصنف ضمن المرحلة الرابعة.

أولاً: مكانة العقل في الإسلام لا تعني التقديس: إن موضوع العقل هو موضوع شائك أُلفت فيه مؤلفات، وقد شهد هذا الموضوع شد وجذب، بين من يقدسونه ومن لا يقدسونه، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يقفون موقف متوسط بين الفريقين، فالشريعة الإسلامية أعطت مجالاً للعقل كي يفكر، لكن وفق ثوابت الدين الإسلامي، فالإسلام يرفع من شأن العقل إلى مكانة تليق به، من غير تقديس أو إهمال، فلا تغالي في تقديس العقل وتقديمه بحيث يكون هو المرجع في كل شيء، وبالتالي إقحامه فيما ليس له به علم من أمور الوحي، ولا هي تحط من قدره فتحجر عليه وتحرمه من ممارسة نشاطاته في الميادين الطبيعية التي تناسبه والتي يبدع من خلالها[١].

ويعرف مفهوم التقديس من خلال معنيين فهو جاء بمعنى محمود وهو تنزيه الله ﷻ وتقديسه والمعنى الآخر هو المعنى المذموم وهو تقديس ما دون الله ﷻ من أشياء[٢].

ومن خلال نظرة الإسلام إلى العقل فقد أوكل إليه مهمات كثيرة ذات طابع خطير وحساس ومنها مهمة حراسة الوحي المحفوظ من الله ﷻ من خلال الابتعاد عن كل التأويلات الفاسدة والمضللة،

---

[١]- ينظر: مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب ، دار الشروق – القاهرة ، ط:٩/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ص:٥٥٢-٥٥٣.

[٢]- ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) ، تح: د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر- دمشق ، ط:١/١٤١٠هـ ، ص:١٠٦.

وحفظ أحكام الله ﷻ من الإنحراف عن مقاصد الشريعة... وحماية المجتمع من الشرور الاجتماعية، والسياسية، والفكرية، والأخلاقية، التي تؤدي إلى هلاكه... كما عهد إليه مهمة التقدم في المجال العلمي والبحث التجريبي ومهمة إصلاح الأرض وعمارتها، مع الأخذ بنظر الاعتبار وجوب عدم الخروج عن الطريق والمنهج الرباني، مع عدم الاجتهاد بما لم يبيحه الله ﷻ؛ لأن ذلك يعرضه للخروج عن طريق الصواب، والابتعاد عن الخير، وتمكين الفساد، هذه هي نظرة الشريعة إلى العقل وتعاملها معه[١].

ثانياً: المنهج العقلي عند الفلاسفة: وهو المتمثل بفلاسفة الإغريق القدماء الذين ساروا على منهج قائم على رفع العقل من مكانته الطبيعية إلى مكانة هي بمثابة عبادة وتأليه له، وإنزاله منزلة هي أكبر من منزلته بكثير، فأصبح الوجود كله عند الفلاسفة عبارة عن قضايا مجردة، وهذه القضايا يتم معالجتها ذهنياً من غير الأخذ بنظر الاعتبار وجودها الواقعي الذي يقبل تفسير العقل أو لا يقبله، وعلى الرغم من نجاح المنهج العقلي الفلسفي في الكثير من المجالات غير أن هذا المنهج شهد انحرافات كبيرة جداً ومن تلك الانحرافات هو طريقة تفسير الفلاسفة لقضية الألوهية والكون والعلاقة بينهما، فأقحموا العقل في مسألة الألوهية والتي هي فوق قدرة هذا العقل، فهذا الميدان لا يستطيع العقل اقتحامه وليس له قدرة للخوض فيه؛ لكون العقل محدد فكيف للمحدد أن يكون له علم كامل بغير المحدد، والعقل يمكنه في هذه الحالة التصور فقط أما الإحاطة الكاملة بهذا العلم فهي بلا شك أمر خارج عن نطاق العقل، كما وقع الفلاسفة بتناقضات أخرى من خلال تعارض كلام أحدهم مع كلام الأخر في مسألة الألوهية؛ ولا عجب في ذلك التعارض فما دام العقل هو الموجه أذا فليس من اليسير الوصول إلى عقل من هو الأصح كون كل منهم له طريقته الخاصة في النظر، وبعد هذا التخبط شهد التيار الفلسفي عزوفاً واضحاً من الناس كون المفاهيم الفلسفية معقدة وتصعب على كثير منهم، وبعد هذا يمكن القول أن اعتماد الفلاسفة على العقل اعتماداً كاملاً لم يوصل الفلاسفة إلا إلى مزيد من التخبط والاختلاف في الآراء في كثير من المجالات[٢].

---

[١]- ينظر: مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب ، ص:٥٥٢-٥٥٣.
[٢]- ينظر: المصدر نفسه ، من ص:٥٠٠إلى٥٠٥.

ثالثاً: المنهج العقلي عند المعتزلة: فبعد الانفتاح على الثقافات الغربية انتقلت النظرة الغربية للعقل إلى بلاد الإسلام وكان أول المتأثرين بهذا الفكر هم المعتزلة الذين رفعوا مكانة العقل إلى مرتبة التقديس وجعلوه حَكماً في كل شيء، ومع توفر المؤثرات الداخلية والخارجية شهد هذا الفكر تطوراً وأصبح له أتباعاً وبعد أن شهد فكر الاعتزال رفضاً. "واضمحل، الاعتزال مذهباً، إن صح القول، ولكنه بقي روحاً وموقفاً، وقد جاءت النهضة الحديثة وفيها ألوان من الاعتزال ففيها الشك والتجربة، وهما منهجان من مناهج الاعتزال، وفيها الإيمان بسلطة العقل وحرية الإرادة، أي بخلق الإنسان لأفعال نفسه، وما يتبع ذلك من مسؤوليته، وفيها حرية الجدل والبحث والمناظرة، وفيها شعور الانسان بشخصيته، وعدم تحميل القدر كل تبعة ومسؤولية، إلى كثير من أمثال ذلك، وكلها مبادئ قد قال بها المعتزلة، وهذه الروح الأعتزالية هي تماماً ما يطالب بعودته وتقويته واستمراره عدد كبير من الباحثين والمفكرين المعاصرين ويرون فيها تارة الحافاً على الرجوع إلى الفكر المعتزلي، أو فتح باب الاجتهاد من جديد، أو كفاحاً للرجعية من أجل التقدم"[١].

رابعاً: المنهج العقلي الحديث: وهو ما يعرف بعصر العقلانية والذي بدأ في القرن السابع عشر الميلادي، واستمر حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ويُطلق على عصر العقل أيضًا اسم عصر التنوير أو عصر العقلانية، وكان من بين قادة هذا العصر العديد من الفلاسفة والمفكرين، الذين اعتمدا بشكل كبير على المنهج العلمي، مع التركيز على التجريب والملاحظة الدقيقة، وعلى ما يراه العقل[٢]. ولقد كان من نتائج المنهج العقلي الحديث ظهور ما يعرف "بالمدرسة العقلانية الحديثة"[٣]. ولقد كان لهذه المدرسة منهج خاص، يتمثل باتجاهات كثيرة منها، الاتجاهات التي تدعوا إلى أحياء وتجديد أصول المدارس والفرق العقلانية القديمة، كما أنها تعمل على أن يكون العقل هو الحكم في كل شيء وتقديمه على الدين، بالإضافة إلى اتجاهها لتفسير الإسلام بشكل كامل تفسيراً عقلياً، عصرانياً، مادياً، دون أي اعتبار للوحي، وتفسير العقيدة الإسلامية حسب ما تمليه مفاهيم العقل البشري، والنظريات الغربية المادية وبالتالي إعادة صياغة الفكر الإسلامي حسب مقتضيات

---

[١]- المعتزلة والفكر الحر: د. عادل العوا ، الأهالي للطباعة والنشر – دمشق ، ط:١/ ١٩٨٧م، ص:٣٧٨.

[٢]- ينظر: الموسوعة العربية العالمية: مجموعة من الباحثين ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية ، ط:٢/١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ٢٧٤/١٦.

[٣]- هي تلك الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين، والتي تتبنا تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، أو تعطي العقل البشري اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ . الاتجاهات العقلانية الحديثة: ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الفضيلة – الرياض ، ط:١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ص:١٩.

العصر؛ لكي يساير الفكر الغربي، من خلال الدعوة إلى الفصل بين الدين وبين الحياة، والعلم، والدولة، وقد اتخذت منهجاً بضرورة مسايرة الدين للعصر بل والخضوع له[١].

وبعد التطور الذي شهدته العلوم أخذ المنهج العقلي بالتطور، ومن الذين تأثروا بالمنهج العقلي، سيد القمني ومن معه من المستشرقين والعلمانيين.

أ- **القمني:** تطور هذا المنهج وأصبح لهُ صدى في بلاد المسلمين من خلال تأثر بعض المفكرين العرب بهذه الأفكار الوافدة ومن نماذج الذين ساروا على هذا المنهج في العصر الحديث هو سيد القمني الذي فتح لعقله كل الأبواب من غير تقييد وهذا ما سنتعرف عليه من خلال طرح أفكاره، فهو يُعتبَر من المُتأثرين بمنهج المدرسة العقلية فكان يركز على استخدام العقل بدلاً من النصوص، كما ويدعو الى أعادة قراءة وتفسير القرآن الكريم تفسيراً عقلياً يساير العصر الحديث، ففي محاضرة له **يقول:** "سنحاول التقاط أفكار من التراث لمعالجة النص بالعقل وبالمنطق وبما حدث بالعالم من تغيرات ... منذ أكثر من ١٤٠٠عام"[٢]. ولهذا فإنه يعتبر من رواد المدرسة العقلية، فنجده يطلق العنان لعقله من غير تقييد، حتى إنا نجده يصوب سهامه نحو الإسلام كي يشبع رغبات عقله، **ويقول أيضاً:** في كتابه السؤال الأخر ما نصه: "فإن العقل له شروط، وله مطالب كي يكون عقلا بالأصل، وهو منحة الله للإنسان، بل إن وظيفة التفكير في ذلك العقل هي بضعة متناهية من القدرة الإلهية وعلمها اللامتناهي، وهذا العقل لا يرضى بمجرد سرد الأمثلة، فيقف معانداً لا يتزحزح كي يطمئن الفؤاد إلى طوية الإيمان، لكنه لا يجد من مفسرينا إجابة شافية، ولا تفسيراً مرضياً لذلك يمسك بالعدل الإلهي، ويرفض ما دون ذلك، قانعاً أن هناك لاشك تفسيراً جديداً يرفع عن مأثورنا التناقض، ويحفظ للنفس ثقتها في الله وحبها له لكنه التفسير الذي لم يطل زمانه بعد فهلا حاولنا فتح نافذة عليه"[٣]. ثم يعود ليطرح تساؤلات تشكيكية، من خلال **قوله:** "ألا يمكن أن تكون تلك الأقاصيص من حكايا الأولين مجرد ضرب مثل، وعاه مؤرخونا ورجالاتنا الأوائل، فنحتوا له اصطلاحاً نعلمه هو (الترغيب والترهيب) ربما.. ربما كان ذلك ضرباً من المثل الرمزي لعقول غير عقولنا في زمن غير زماننا له مفاهيم غير مفاهيمنا و مستوى معرفي غير مستوانا.. ربما"[٤].

---

[١]- ينظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة: ناصر بن عبدالكريم العقل، ص: ١٩-٢٠.

[٢]- محاضرة لسيد القمني على اليوتيوب بعنوان: قراءة عقلانية لتراثنا الديني:
https://youtu.be/8heq5iLUTDg?si=zebqNKvp80IPSkgU

[٣]- السؤال الاخر : سيد القمني ، ص:٤٨.

[٤]- المصدر نفسه: ص:٤٨.

ثم ينتقد تمسك المسلمين بمناهج تفسير القرآن الكريم القديمة الثابتة، **فيقول:** "إن الإصرار على المنهج العتيق في فهم لغة المقدس بقدر ما يضر بحياتنا بالتأكيد فإنه يضر بالمقدس ذاته"[١].

ب- المستشرقون: يُعتَبر المستشرقون من رواد هذه المدرسة كون منهجهم في دراسة الإسلام يعتمد على النظرة العقلية فينفون كل ما يخالف العقل، فبعد أن حددوا أهدافهم، والتي من ضمنها استهداف السنة النبوية، وهي أحدى أهداف الفكر الاستشراقي، ولقد خدمهم الفكر الأعتزالي في هذا الاتجاه فلم يجدوا أفضل منه لتحقيق هذه الغاية؛ لذلك هم يدافعون عن أفكار المعتزلة ويحترمونها؛ لكونها تتناغم مع أفكارهم في الرؤية العقلية، فسارا على خطى المعتزلة في موقفهم العقلي من النصوص الشرعية، كما تأثر أتباع المدرسة العقلية الحديثة بفكر المعتزلة، وبالتالي فإن وجود الصلة بين رواد المدرسة العقلية والمستشرقين قائمٌ على أساس المنطلق العقلي في الأفكار[٢]، وما قاله القمني في شأن فسح المجال أمام العقل لإعادة دراسة التراث الإسلامي من أجل رفع التناقضات كما يدعي، قد حث عليه المستشرقون من قبل ومثال هذا التوجه ما قاله "**هاملتون جب**"[٣]، "إن ما هو مطلوب هو إعادة تفسير القرآن على أن يشير هذا التفسير بمجمله إلى حقيقة القرآن المادية عوضاً عن حقيقته الروحية"[٤].

إن دعوة هذا المستشرق ما هي إلا جزء من دعوات المستشرقين التي تسعى إلى تحقيق هدفهم المنشود في إدخال تعديلات على دين الإسلام لكي يثبتوا أنه هو دين لا يصلح لكل زمان، فنجد هاملتون جب في موضع أخر **يقول:** "إن انتشار الروح العصرية هو إنذار بأن أعادة صياغة الإسلام ليس من الأمور التي يمكن تأجيلها إلى الأبد"[٥].

---

[١]- السؤال الاخر : سيد القمني، ص:٤٨.

[٢]- ينظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين ، مكتبة الرشد- الرياض ، ط:١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ٤٣١/١

[٣]- مستشرق إنجليزي .. ولد في مدينة الإسكندرية في (مصر) في ٢ يناير ١٨٩٥، وتعلم في أسكتلنده في المدرسة الثانوية الملكية في أدنبره. وفي ١٩١٢ دخل جامعة أدنبره حيث تخصص في اللغات السامية العربية والعبرية والآرامية ومن ١٩١٤ إلى ١٩١٨ كان جندياً في مدفعية الميدان الملكية ، وفي ١٩٢٢ حصل على درجة الماجستير من جامعة لندن ، وكان قد عين في ١٩٢١ مدرساً .للغة العربية ، له مؤلفات كثيرة منها (المجتمع الإسلامي والغرب)و(المحمدية)و(الاتجاهات الحديثة في الإسلام)وكثير من الكتب والمقالات، وتوفي في ٢٢ أكتوبر ١٩٧١ في أكسفورد ، (ينظر: موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي ، ص:١٧٤-١٧٥).

[٤]- الاتجاهات الحديثة في الإسلام: هاملتون جب ، ترجمة: هاشم الحسيني ، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت ، د.ت، د.ط، ص:١٠٣.

[٥]-المصدر نفسه: ص:١٦٩.

ومن خلال ما سبق يمكن تقسيم كلام القمني إلى ثلاث محاور كلها قائمة على منهج عقلي تشكيكي من خلال تقديس العقل وجعله حكماً على النص، وهذه المحاور هي.

المحور الأول: التشكيك بالقصص القرآنية (الترغيب والترهيب) من حيث الفائدة المرجوة منها من خلال جعلها مضرب مثل لا أكثر، والدعوة لإعمال العقل في هذه النصوص.

المحور الثاني: التشكيك بما ورد في القرآن من قصص وعبر وأنها غير ملائمة لزماننا، كونها خاصة بزمان معين له معارفه الخاصة به.

المحور الثالث: التشكيك بفائدة التفاسير القديمة والخطوات المتبعة في تفسير الآيات، والدعوة لقراءة جديدة بلغة جديدة، ويبرر لذلك أن الجمود وأتباع الطريقة القديمة في قراءة المقدس يضر بالمقدس نفسه كون هذه التفاسير تخضع لطرق تختلف عن طرق الدراسة الحديثة حسب ما يدعي.

فالدعوة لقراءة جديدة للقرآن الكريم والإسلام تعني إيجاد تفسير جديد يعتمد على النظريات التاريخية والفلسفية والاجتماعية التي تستند على مبدأ رفض هذا الدين، ولهذا أصبحت رؤيتهم لهما على أنهما مرتبطان بفترة زمنية معينة يختصان بها، وهذا ما دفع الكثير منهم للحديث عن الإصلاح والتجديد في الإسلام على أساس هذه النظريات، حيث جعلوا لأنفسهم الحرية في التفسير من غير الالتزام بأي ثوابت دينية، بناءً على الاعتقاد بأن العلم الحديث والتقدم العلمي يتطلبان إعادة تقييم أساسية للمعتقدات التقليدية بحيث لا يعتبر الدين بياناً موثوقاً ودقيقاً يستحق الموافقة على حقيقة الله ﷻ الموحى بها وقبولها، بل تصنيفات من المشاعر والتجارب الدينية التي يعيشها بعض الناس عبر حقبة تاريخية معينة، وعلى هذا الأساس تكون الحقائق الدينية عرضة لعملية تطوير مستمر كجزء من الخبرة المتقدمة للجنس البشري، وتستلزم هذه العملية إدخال مفاهيم عديدة وجديدة كشيء ضروري للتعبير عن الفكر والتقدم الحديث[١].

ولهذا نجد أن أتباع المدرسة العقلانية الحداثية قد غرتهم عقولهم فجعلوا من أنفسهم حاكمين على الشرع يغيرون ما لا يوافق عقولهم بحجة أن العقل البشري يعلم المصالح من المفاسد، أي أنهم قدسوا العقول واخضعوا كل شيء لمقياسها، واصرارهم على تقديس العقل تسبب في استياء شديد في البيئة الإسلامية، لأن الإسلام لا يقدس العقل، ولكنه يعتبر العقل مصدراً للفهم والإدراك بإطار محدود، فهو بحكم الشريعة، لا يمكن أن يأمر به وحده، لأنه إذا أوكلت إليه الأمور، فسوف يخطئ ويخرج عن

---

[١]- ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: علي بن نايف الشحود ، ١٥٦/١.

المسار الصحيح، فهو في الواقع ابن البيئة التي يوجد بها، لا يملك القدرة على الحكم على الأشياء بشكل مستقل، وهذا هو باب الانحراف عن الصواب[١].

ج- تطور المنهج العقلي عند القمني.

لقد تطور منهج القمني في ما يخص العقل من خلال جعل العقل بديلاً للشرع أو منفصلاً عنه، لأن الشرع في نظره هو لزمان معين كان فيه الرسولﷺ موجوداً والوحي ينزل والمعجزات موجودة. فنجده **يقول:** "جاء النبي الخاتم كآخر حلقة في تلك السلسلة من التدخلات السماوية في عالم الإنسانية. لقد بلغت الإنسانية من الرشد وعليها من تلك اللحظة التاريخية الزمكانية أن تعتمد على نفسها ولا تنتظر تدخلا سماويا آخر، جاءت لتعلن انتهاء التدخل الإعجازي السماوي وبداية عصر العقل الإنساني على الأرض....من هنا كانت دروس الإسلام النظرية والعملية التي جاءت تؤكد بدء عصر العقل والإنسان على الأرض وأنه قد بلغ سن الرشد وأن أوان اعتماده على ذاته وعقله ومناهجه وتجربته الإنسانية بعد أن اختمت السماء شروط عقدها مع خليفتها على الأرض بمجيء، أخر تواصل للسماء مع الأرض النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وانتهاء عصر المعجزات"[٢].

فيتضح مما سبق من قوله، أن نظرته تحتمل جانبين .

الجانب الإيجابي: فيكون ذلك من خلال الأخذ بالأسباب، وعدم انتظار المعجزات لحل مشاكلنا مع إيماننا بالمعجزات .

الجانب السلبي: وهو من خلال عزل النص الإلهي عن واقعنا، وتحكيم العقل في كل شيء، حتى بالحكم على النص، وهذه النظرة العقلية نجدها عند مفكرين أخرين غير القمني فمثلاً نجد استاذه المفكر المصري، حسن حنفي، يقول في كتابه من العقيدة إلى الثورة: "لا يؤخذ شيء على أنه حق إن لم يعرض على العقل والواقع وإثبات أنه كذلك"[٣]. وهذا ما يعزز من فرضية تأثر القمني بأستاذه حسن حنفي في المنهج العقلي والذي بدوره نجده أيضاً عند الكثير من المفكرين.

---

[١]- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني ، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية ، ط:١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ٢٢١/١.

[٢]- السؤال الأخر: سيد القمني ، ص: ٧٢.

[٣] - من العقيدة إلى الثورة: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر- لبنان، ط:١٩٨٨/١م، ١١/١.

ومن المعلوم أن العقل وحده مع أهميته فهو غير كاف لتفسير الكثير من العقائد الدينية والظواهر الكونية، إذاً فلا يمكن التسليم إلى العقل في كل شيء، فالمعلوم في عقائد المسلمين أن هذا الدين هو دين عام شامل لكل زمان وهو للناس جميعاً، ومن أجل ذلك ولأن الله ﷻ من حكمته أن جعل الدين الإسلامي هو الدين الإلهي الأخير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلم يترك الله ﷻ عباده يتبعون ما يشاؤون من شرائع وقوانين، يرجعون إليها في أمورهم كلها، بل أنه ﷻ قد أنزل الأنظمة والقوانين التي هي أساس المجتمع الذي لا يقوم إلا بها في كل زمان ومكان ومن غير تمييز بين أمة وأخرى، لأن الإسلام ليس اعتقاد ديني، أو نظاماً أخلاقياً فقط، بل إن الإسلام هو نظام شامل ومتكامل بلا شك؛ كون الإنسان يخضع للإسلام في كل تصرفاته سواء كانت أمور دينية أو دنيوية، فالإسلام جاء لينظم كل هذه الأمور بما يناسب حياة الناس، ومن أجل هذه الميزة التي ميزت الإسلام فلم تكن الأمة الإسلامية بحاجة إلى أخذ قوانين من الأمم الأخرى، لكون قوانينهم من وضع بشري يخطئ ويصيب أما ما عندنا فهو شرع إلهي مقدس لا يحتمل التحريف والتغيير ولا يخضع للأهواء[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [٢].

"أَي: ليس للبطلان اليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين، ولهذا قال: {تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} أَي: حكِيم في أقواله وافعاله، حميد بمعنى محمود، أَي: في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته"[٣]. ولهذا فالعقل لا يمكنه تغيير الشرع الالهي.

○○○○○○○

---

[١]- الإسلام وحاجة الانسانية اليه: د. محمد يوسف موسى ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – القاهرة ، د.ط، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ، ص: ٤٠-٤١.

[٢]- سورة فصلت: الآية: ٤٢.

[٣]- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ ، تح: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط: ٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ١٨٣/٧.

المطلب الثالث: الاجتهاد وموارده عند القمني.

لقد تناول القمني في مؤلفاته موضوع الاجتهاد وركز عليه، والتي تتضمن رؤيته لطريقة الاجتهاد والشروط التي يجب توافرها في المجتهد، مع بيان رأيه في مخالفة الاجتهاد للواقع، مع الأخذ بنظر الاعتبار بيان النزعة الاستشراقية لدى القمني فيما يخص مفهوم الاجتهاد.

أولاً: قول القمني في الاجتهاد.

بعد أن علمنا أن الاجتهاد يكون في استنباط أحكام جديدة من أمور ظنية، أن الاجتهاد مباح، فهذا أكبر دليل على عدم جمود الشريعة الإسلامية في أحكامها، كما أنه دليل على صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان، ليس مثلما يدعي أعداء الدين ومن ذلك كلام القمني عن الاجتهاد حيث **يقول:** "وهو أمر يركن إلى تعريف المصلحة العامة بما يراه لها من هو أعلم بمصالحنا منا، قياساً إلى شريعة الله الذي هو أعلم بمصالحنا منا لا يرى هؤلاء حولهم في الدنيا أن صالح الناس العام لم يعد بيد من يفتي فيه من أهل العلم الديني والتقوى العارفين بالشريعة، ولا بيد من يريد الاجتهاد ليستنسخ لنا من الشريعة القديمة شريعة قديمة برداء محدث، المصلحة العامة هي التي يحددها الرأي العام، من يحددها هم الناس وليس المشايخ والمفتون والمجتهدون...، اليوم من يقرر الصالح العام هم الناس هو رأيهم العام، اليوم يصبح الاجتهاد عملا ضد السلام العام للمجتمع المدني المحلي، وضد أمن وسلام المجتمع الدولي؛ لأن استدعاء ذلك الزمان بما فيه من الجهاد والسبي والفيء واحتلال العالم لإدخاله في نور الله كفيل بتهديد الأمن الوطني والعالمي كله"[١].

فهذا القول فيه الكثير من الوقفات التي تحمل دلالات واضحة على التهجم على التراث الإسلامي منهجاً، ومضموناً ورجالاً، من خلال الاستشهاد بحوادث لا يمكن قياسها على غيرها من الأمور المعاصرة، فضلاً عن موقفه من الصالح العام والذي يدعو القمني إلى سلبه من المفتين والمشايخ وأهل الشأن في هذا المجال.

لقد أثارت مسألة الاجتهاد في الأمور الشرعية حالة من الإنكار عند علماء الغرب وأبواقهم من المنتسبين إلى الإسلام من أبناء جلدتنا، ومنهم القمني الذي يعد من الرافضين للاجتهاد؛ لكونه يجعل كثير من الأحكام الشرعية متجددة على وفق القرآن الكريم والسنة النبوية وبالتالي تمسك الناس أكثر وأكثر بدينهم لملائمته متطلبات حياتهم في كل زمان، فالقمني من جهة يرفض أن يكون من

---

[١]- الدولة الاسلامية والخراب العاجل: سيد القمني ، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠م، د.ط، ص:١٤.

المسلمين شخص يفتي في مسائل المسلمين بحجة أن هذا ليس من مصلحة الناس ثم يحاول أن يجر المسلمين إلى صف الغرب بدعوى أن الناس يعرفون مصالحهم، وهو بهذا قد جعل من المصلحة باباً للكفر والفجور والإلحاد وغيرها، كما أن من يحملون هذه الأفكار نجدهم يطالبون بالأخوة بين المسلمين والكفار لأنهم تخلوا عن المقياس الديني، وخضعوا للمقياس العقلي وجعلوا منه مدخلاً لمنازعة الله ﷻ في التشريع وإصدار الأحكام، وهذا عكس ما نراه في الإسلام من مفاهيم ومناهج وسلوك جاء بها الإسلام لتحديد هوية المسلم وتمييزه عن غيره، وتحدد له الطريق المستقيم للنجاة، وهو يقتضي عدم ترك الأمور التي تخص أخلاق وحياة أمة الإسلام، فحياة المسلمين مبنية على أساس خاص قوامه التسليم والعبودية لله ﷻ، والانقياد له بالطاعة فالإسلام ليس كغيره؛ فقد جاء بما يحفظ الدين والدنيا فهو سياسة واجتماع واقتصاد وسلوك وتربية، ولكن بعد الذي أصاب المسلمين من تراجع وظهور القوانين المضادة لحكم الله ﷻ، قد تجرأ هؤلاء المتأثرون والتابعون للأفكار الغربية بالمطالبة بتغيير المجتمع الإسلامي، من خلال مطالبتهم بتغيير القوانين الإسلامية إلى قوانين غربية[١].

ثانياً: الرد على القمني.

يمكن الرد على كلام القمني والذي ينكر فيه الاجتهاد الأصولي من خلال الأتي.

أ- طريقة الاجتهاد.

ب- من لهم الحق في الاجتهاد.

ج- مخالفة الاجتهاد للواقع.

أ- **طريقة الاجتهاد:** كان لمنهج القمني الفكري الأثر الكبير في إصداره الأحكام على القضايا التي أثارها مثل القضايا التي تخص المرأة وقضايا التفسير والاجتهاد وغيرها، فهو ومن خلال مؤلفاته نجده لا يتبع أسلوب علماء الإسلام في ألية فهم النصوص الشرعية ومراعاة مقاصد الشريعة في تنزيل القضايا المعاصرة دون المساس بثوابت الدين ومن غير الطعن في رجالاته وإنما انتهج منهج المناوئين للإسلام أو من أعتد بعقله واطلق له العنان، فهو في الكثير من مؤلفاته نجده يدعو إلى ضرورة استبدال المفاهيم القديمة للإسلام بمفاهيم جديدة بحجة مواكبتها للعصر، فالاجتهاد عنده يكون من خلال فك قيود الارتباط مع الدين وعدم الخضوع لأحكام قديمة تخالف العصر، كما

---

[١]- ينظر: توحيد الكلمة على كلمة التوحيد: عبدالعزيز بن مرزوق الطريفي: بحث منشور من خلال موقع مكتبة نور الإلكترونية على شبكة الأنترنت: www.noor-book.com، د.ت ، ص: ٥-٦.

ويطالب بإتباع الأفكار الغربية لنجاحها في تحقيق غايات الناس، وهذه مغالطة فما حققته الأفكار الغربية في بلاد الغرب قد لا تنجح كلها في تحقيق غايات المسلمين، خصوصاً أن الأفكار الغربية أكثرها تخالف عقائد المسلمين، فالاجتهاد بمعناه الشرعي خاضع لثوابت لا يمكن الخروج عنها.

ومن المعلوم لدى أهل الاختصاص من الأصوليين: "أن أصول الاجتهاد وأركانه أربعة : القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس، وربما تعود إلى أثنين وإنما تلقوا صحة هذه الأركان وانحصارها من أجماع الصحابةﷺ وتلقوا أصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم أيضا فإن العلم قد حصل بالتواتر إنهم اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام فزعوا الى الاجتهاد وابتدءوا بكتاب الله تعالى فإن وجدوا فيه نصاً أو ظاهراً فزعوا إلى السنة النبوية فإن روي لهم في ذلك خبر أخذوا به ونزلوا على حكمه وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد فكانت أركان الاجتهاد عندهم أثنين أو ثلاثة، ولنا بعدهم أربعة إذ وجب علينا الأخذ بمقتضى إجماعهم واتفاقهم والجري على مناهج اجتهادهم... ثم لا يجوز أن يكون الاجتهاد مرسلاً خارجاً عن ضبط الشرع فإن القياس المرسل شرع أخر وإثبات حكم من غير مستند وضع أخر والشارع هو الواضع للأحكام فيجب على المجتهد أن لا يعدل في اجتهاده عن هذه الأركان"[١].

فهذه طريقة أهل العلم في آلية الاجتهاد في المسائل التي لا نص فيها، وهذه الطريقة قد تتعارض مع ما يذهب إليه ويحكم به القمني في الكثير من المسائل التي تناولها، فمن خلال حوار أُجري مع سيد القمني تم سؤاله عن الاجتهاد عند تعارض القانون مع النص فأجاب بأنه لا يعتبر القرآن الكريم كتاباً علمياً بقدر كونه كتاباً دينياً يختص بالأحكام المجتمعية، ولهذا فقد ذكر القمني بأنه يقدم القانون العقلي على النص، ثم يستشهد بذكر المعتزلة بأنهم قدموا العقل على النص، ثم يذكر أنه هنا يقدم القانون والعقل على النص؛ كون النص يخضع لظرف تأريخي قديم، وهذا ما جعله يدعو الناس إلى قراءة القرآن الكريم قراءة تأريخيه وحسب ضرفه عند نزوله[٢].

ب- شروط المجتهد:

تكمن نظرة القمني في رفض الاجتهاد من خلال وجود مجتهد يتقدم بصفته هو أعلم الناس أو أنه يعلم مصالح الناس أكثر من أنفسهم، ويرى أيضاً غير ذلك من خلال قوله الذي سبق، والذي يصر

---

[١]- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩هـ ، ٥٤٨هـ) ، تح: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ط، د.ت، ١٩٨/١ – ١٩٩.

[٢]- لقاء صحفي أجراه بابكر فيصل وهو باحث ومحلل مهتم بالجماعات الإسلامية، مع سيد القمني، تم نشره على موقع الحرة الإلكتروني في ٨ ديسمبر ٢٠٢١.https://www.alhurra.com

فيه على القول بأن الناس يستطيعون معرفة مصالحهم من غير وجود مفتي أو مجتهد، وهذا خلاف ما عليه واقع البشرية فإن وجود أشخاص قائمين على مصالح الناس موجود مع تكون المجتمعات قبل الإسلام، غير أن المختلف في الإسلام أنه جعل شروط يجب توفرها في الشخص "المجتهد"[١]، والتي تقسم إلى.

١- الشروط الشخصية:

وهي التي تكون من جهة البلوغ والعقل وعدالته واجتنابه للمعاصي، ومن كان غير متصف بالعدل فلا تقبل فتواه. ومع ذلك، يمكنه أن يبذل الجهد لنفسه وليس للآخرين الذين يفهمون وضعه، فالعدل شرط لقبول الفتوى، وليس شرطاً لصحة الاجتهاد، ومن الشروط الشخصية التي يُقبل فيها اجتهاد المجتهد ويُنظر إليه، كالصلاح، والتقوى[٢].

٢- الشروط العلمية: والتي يندرج تحتها عدة أمور منها.

* **العلم بالقرآن الكريم:** أن يكون عالماً بكتاب الله ﷻ وذلك بمعرفة آيات الأحكام، وأسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، ومعاني القرآن الكريم، والإحاطة بما يحتويه من علوم.

* **العلم بالسُنة النبوية:** ويتم هذا من خلال الفهم الصحيح لهذه السُنة ومن ذلك معرفة أحاديث الأحكام، كما لابد من معرفة معنى الأحاديث، وذلك لا يتحقق إلا من خلال معرفته بكتب السُنة التي جمع فيها العلماء سنة الرسول ﷺ والعلم بصحيح الحديث من الضعيف، وبقية علوم الحديث الأخرى.

* **العلم بمواضع الإجماع:** من خلال معرفة المسائل التي أجمع عليها العلماء، حتى لا يخالف في فتواه ما أجمعوا عليه[٣].

* **العلم باللغة العربية:** يجب على المجتهد أن يمتلك معرفة باللغة العربية بلاغةً ونحواً وصرفاً ومعنىً وتفسيراً وطريقةً، حتى يتمكن من فهم لغة العرب وعاداتهم في الاستخدام، ويفرق إلى حد ما بين: واضح كلامه ومعناه الظاهر، وحقيقته، واستعارته، وعموميته وخصوصيته، ودقته وتشابهه، ومطلقه وحدوده، ونصه ومحتواه. ولحنها ومعناها... وذلك لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين

---

[١]- (الفقيه الذي يبذل وسعه لاكتساب حكم شرعي ظني عملي من أدلته التفصيلية). المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي ، المكتبة الشاملة- مصر ، ط:٢/ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ، ص:٢٤١.

[٢]- ينظر: (كتاب "بداية المجتهد وكفاية المقتصد" لابن رشد ودوره في تربية ملكة الاجتهاد) أطروحة دكتوراه، محمد بولوز ، جامعة محمد بن عبد الله ... شعبة الدراسات الإسلامية كلية الآداب والعلوم الإنسانية ... وحدة القرآن والحديث وعلومها- فاس – المغرب، السنة الجامعية:٢٠٠٦ – ٢٠٠٧م، ص:٢٥١.

[٣]- المصدر نفسه: ص:٢٥٢الى٢٥٩.

والسنة النبوية نطق بها الرسول العربيﷺ. ويتم إعطاؤهم ملخصاً للنص، بالإضافة إلى فهم معنى اللغة العربية وخصائص بنيتها من خلال فهم الكلمات العربية مفردة ومجتمعة... وفهم معنى الجمل ما هو شكلها الحقيقي، وكذلك معاني التقديم والتأخير والحذف والتقييد[١].

* **فقه الواقع:** وهذا الشرط ضروري أيضاً ليكون الاجتهاد صحيحاً، فلا يكفي من المجتهد معرفة الأحكام الشرعية من خلال التعامل مع النص بالضوابط الأصولية المتعارف عليها، فالمجتهدون لا يجتهدون في الفراغ، بل في الأحداث الشخصية والاجتماعية التي تجري حولهم، وتتأثر أفكارهم وأفعالهم بمختلف التيارات والعوامل: النفسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وشرط الاجتهاد هو الفهم المعرفي الشامل لحقيقة العمل الذي يؤديه المجتهد، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال وجود آليات للفهم تتمثل من ناحية العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي تساعد على معرفة الجوانب الاجتماعية للواقع، حتى يفهم المجتهدون بنية التماسك الاجتماعي، وطبيعة المجتمع، وطبيعة التنظيم الاجتماعي والبنية الأسرية، والاطلاع على الجوانب الأخرى التي تخص حياة الناس فهو في الجانب الاقتصادي يفهم أنظمة الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، وعلى الجانب السياسي يفهم طبيعة وأنظمة ومؤسسات الحكومة، وعلى الجانب الثقافي يفهم ما يتبعه الناس من أساليب في تصوير الأمل والألم والفرح والحزن وغيرها من الأساليب، وفهم الظروف الفكرية والنفسية العامة وطبيعة الاتجاهات والأفكار المؤثرة في المجتمع[٢]. والشروط التي ذكرناها والواجب توفرها في المجتهد هي شروط لا يعترف بها القمني؛ كونها شروط قد وضعها علماء الإسلام والقمني يرفض استخدام الاجتهاد الإسلامي من الأساس إذاً فالقمني يرفض الاجتهاد الذي يكون مبنياً على أُصول القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس، ويرفض تحديد الاجتهاد وتخصيصه بالعلماء بل يريد أن يجعل الناس كلهم مجتهدون كلاً حسب فهمه وعقله.

ج- مخالفة الاجتهاد للواقع:

وهو ما تطرق له القمني في قوله الذي مر معنا بأن الاجتهاد الإسلامي الذي يمارسه المسلمون والقائم على القرآن الكريم والسنة النبوية هو مرفوض بسبب أن القرارات التي صدرت في العالم قد نسخت الكثير من الأحكام الإسلامية فلا يمكن رفض هذه الأحكام والرجوع إلى حلقة الاجتهاد.

---

[١]- ينظر: كتاب "بداية المجتهد وكفاية المقتصد" لابن رشد ودوره في تربية ملكة الاجتهاد، أطروحة دكتوراه ، محمد بولوز ، ص:٢٥٢الى٢٥٩.

[٢]- ينظر: المصدر نفسه: ص:٢٥١الى٢٥٩.

فيقول: "إن قرارات الأمم المتحدة نسخت فقهًا كاملًا بما يرتبط به من حديث وقرآن هو فقه الجهاد والسبي وتغيير أديان الناس بالسيف، اليوم لم يعد هناك خُمس ولا فيء ولا من قتل قتيلًا فله سلبُه، حركة التاريخ نسخت أحكام الرجم والجلد والقطع والجزية"[١].

والحقيقة أنه لا يمكن وصف الاجتهاد بأنه مخالف للواقع وخصوصاً بعد أن علمنا أن من الشروط التي يجب توافرها في المجتهد هو معرفته بالواقع، كما أن الفتوى يمكن أن تتغير بتغير الزمان والمكان، وبعد هذا نستطيع أن نقول: أن سيد القمني يشترط فقهاً جديداً قائماً على نسخ الكثير من أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية بما يتلاءم مع الرؤية الغربية وعصر التطور، وإن فكرة تغيير أحكام الدين هي ليست وليدة اليوم بل هي فكرة متوارثة بين المفكرين العلمانيين المتأثرين بالغرب، كما إن هذه الرؤية تعتبر مشهورة عند المستشرقين ونخص منهم المستشرق **ن.ج.كولسون(n.j.coulson)**[٢]. **الذي يقول:** " وأياً ما كان الأمر في شأن الأسس النظرية التي يقوم عليها (الاجتهاد الجديد) أو في النتائج التي يقود إليها فقد كان أثره العملي الذي لا ينكر، وما يزال، هو بث دبيب الحياة والحركة في النظر الفقهي، إن عصر التقليد ليبدو الآن أشبه بفترة ركود طويلة في تأريخ التشريع الإسلامي، لكن هذا الركود قد أخلى مكانه الآن للتدفق الجديد والنمو المرتقب"[٣].

ويبدو أن الاجتهاد الجديد الذي يريده كولسون يختلف عن الاجتهاد المحدد أصولياً، فالثاني يتمثل في الاعتماد على القواعد الاستنباطية الأصولية للوصول إلى حكم قانوني، في حين أن هدف الأول غالباً ما يكون مجرد الوصول إلى حكم يراعي التوجهات الشعبية ويخضع لها دون أي قيود، إن رؤية كولسون للاجتهاد الجديد قائمة على السعي للتخلص من المفاهيم الفقهية السابقة و أعادة النظر في تفسير النصوص الفقهية والتي يعتبرها فضفاضة تحمل طبيعة خلقية بما يتلاءم مع ظروف العصر، والنظر إلى المصالح الجديدة للمجتمعات والتي تخضع بدورها إلى المفاهيم والقيم

---

[١]- مجلة الحوار المتمدن: مقالة لسيد القمني بعنوان: العلمانية الدين السياسي ونقد الفكر الديني : في٢٠٢٢/٢/١١، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=746608.

[٢]- وهو مستشرق إنجليزي معاصر يعد من أهم واكبر المستشرقين الذين درسوا الفقه الإسلامي، وقد رست في جامعة لندن وتتلمذ على يد المستشرق يوسف شاخت، كما تمكن من دراسة القانون الانجليزي وهذا ما أعطاه القدرة على تناول الفقه الإسلامي من وجهة نظر مختلفة، وقد عمل أستاذا في أحدى جامعات نيجيريا ، مؤلفاته: كتاب في الميراث ، وتأريخ التشريع الإسلامي. ينظر: كتاب تأريخ التشريع الإسلامي : ن. ج. كولسون ، ترجمة وتعليق: د. محمد احمد سراج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت ، ط١٤١٢/١هـ - ١٩٩٢م / ص:٥.

[٣]- المصدر نفسه: ص: ٢٧٩.

الغربية، وعليه يمكن القول: أن هدف كولسون من هذا الكلام هو الانتصار لمفاهيم الحضارة الغربية، وجعلها هي المعيار الأمثل الذي يجب الأخذ منه[١].

وهذا فهم للجديد في غير محله ينطبق عليه قوله تعالى:﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾[٢]. فهذا خطاب مباشر موجه لليهود: "ومن هذا الذي هو أَحسن حُكماً أيها اليهود من اللَّه تعالى ذكره عندَ مَن كان يوقن بوحدانية الله ويقر بربوبيته، يقول تَعَالَى ذكره: أَي حكم أَحسن من حكم اللَّه إِنْ كنتم موقنين أَن لَكُمْ رَبًّا وكنتم أَهل توحيد وإقرار به"[٣].

فلا يمكن بأي حال من الأحوال استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، حيث أن القمني ومن هو على شاكلته يطالبون المسلمين بأن يلحقوا بركب الحضارة حسب ما يدعون مع إغفال متعمد منهم على فضل هذا الدين على ما سواه، فكيف يمكن أن يُستبدل بفكر وأهواء بشرية مبنية على أسس مخالفة لما جاء به الإسلام، ولبيان فضل الإسلام نقول: على دعاة الحداثة أن يفهموا أمرين.

الأمر الأول: أن الإسلام لا يحتوي على أساطير أو أكاذيب فهو يحترم العقل ويوجه بتحكيمه، وهو ليس منغلقاً على ما جاء به الوحي فقط، فمع تقديسه للوحي فإنه منفتح على كل العلوم التي تستند على حقائق ولا تخالف الشرع والتي هي من أجل خير البشرية، كما ويحث على التقدم والتطور، وليس جامداً وينهى عن التبعية المطلقة في الفكر أو السلوك، بل يقرر أن اللّه يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد أمر هذا الدين، ويوضحون للناس ما اشكل عليهم، ويصححون لهم أخطائهم فيه ويوفقون بين الدين والحياة فيما تسمح به الموافقة ، لأنه دين صالح لكل زمان[٤].

الأمر الثاني: الإسلام ليس فيه أشخاص يتحكمون في مصير الناس بدخولهم الجنة أو حرمانهم منها لاعتبارات خاصة، فهذا يدور حول الإيمان الخالص والعمل الصالح، والذين يعملون في العلوم الدينية هم مجرد معلمين ومرشدين فإذا كان هذا أمر الدين الإسلامي فلماذا يصرون على تغييره؟ وبناءً على ذلك يتضح لنا مدى التناغم بين ما يطرحه القمني وما طرحه المستشرقون قبله، ومن

---

[١]- ينظر: تأريخ التشريع الإسلامي: كولسون: كلام المحقق في الهامش ١و٢ ص:٢٨٠.
[٢]- سورة المائدة: الآية:٥٠.
[٣]- تفسير الطبري: ٥٠٣/٨.
[٤]- ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، ٢٩١/١٢-٢٩٢.

خلال كلامه في أن عودة الإسلام إلى الواجهة بنفس الأفكار يتسبب بتهديد الأمن العالمي فهو عرض لواقع حال الغرب ومدى خوفه من الإسلام[١].

كما وإن الغرب لازالوا يشعرون بالخطر الذي يمثله انتشار الإسلام في جميع أنحاء العالم، والذي كان بمثابة كارثة للمسيحية، لذلك كان موقف المفكرين الغربيين يميل دائمًا إلى مهاجمة الإسلام والنبي محمدﷺ في هذا السياق، كما إن ظهور الإسلام كمصدر رئيسي لإزعاج الكنيسة؛ لكونه يمثل قوة دافعة يدفع أتباعه لرفض مشاريع الاستعمار الفكري والاقتصادي بنفس الشدة والصرامة والمقاومة للاستعمار، ومن أجل الحد من قوة الإسلام اتحدت التيارات العلمانية الغربية مع التيارات الدينية المتطرفة، ولم يشهد العالم تحالفاً بمثل هذه الدرجة من الشمولية والتعقيد والانتشار الجغرافي في تاريخ الألف عام[٢].

وعليه فإن ما يعنيه القمني من أن انتشار الإسلام يمثل تهديداً للأمن العالمي؛ هو بسبب ما يحمله الإسلام من تشريعات ومفاهيم تقف بالضد من الأفكار والمفاهيم العالمية الجديدة المبنية على أساس علماني أو لاديني، كما إن الإسلام يقف بالضد من كل التيارات الفكرية التي قامت على حطام الكنيسة، وأصبحت هي المتحكم الأول والمسير للعقل الغربي.

○○○○○○○

[١]- ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، ٢٩١/١٢-٢٩٢.

[٢]- ينظر: وا محمداه : أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني ، دار العفاني، مصر ، ط:١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، ٦١٠/٣-٦١٢.

المبحث الثاني: النزعة الاستشراقية للقمني في نظرته للقيم الدينية وغيرها.

لقد كانت نظرة القمني في تناوله لقضايا القيم الدينية وغيرها، على مستوى النظام الاجتماعي أو الأخلاقي تتسم بالاضطراب في قراءته للنصوص فضلاً عن كونها متنوعة، ولذا سنتناول في هذا المبحث موقفه من بعض القيم الدينية والوضعية والأخلاقية والاجتماعية.

المطلب الأول: مفهوم القيم الأخلاقية.

أرادت المجتمعات الإنسانية منذ وجودها، أن يكون لها أسلوب للمعاملة يضمن لها الأمن والترابط والمحبة، واهتم أهل الرأي والفكر بذلك وأخذوا يوضحون الحدود التي يقف عندها الفرد، ليحظى بالمقبولية من الآخرين ووضعوا الموازين والقيم التي يجب أن تنتشر في المجتمع لكي يتعاملوا بها، ويشعر الفرد من خلالها بالانتماء لهذا المجتمع وبذل الجهد في خدمته، ولهذا اختلفت القيم الأخلاقية والسلوكية باختلاف الأمم وتعددها، حتى ظهرت الشرائع السماوية فتبدلت هذه القيم من خضوع للإرادة الإنسانية، إلى الأوامر الإلهية والتشريعية، ومن هذه الأمم من رضيت بهذه الأوامر واتبعتها فحصلت على حياة كريمة ومجتمعات سعيدة راقية، وأمم أخرى ما لبثوا أن غيروا وبدلوا شرائع الرسل والأنبياء عليهم السلام فانحرفت مجتمعاتهم، وضلت الطريق فسقطت في مستنقع الظلم والقسوة والاستعباد[١].

فالكلام عن القيم الأخلاقية من قبل المسلمين هو أمر سهل كون المصادر الإسلامية الرئيسية (القرآن الكريم والسنة النبوية) زاخرة بما يدعو إلى القيم الأخلاقية وتقويتها كونها من الدين، حيث أن القرآن الكريم يدعو إلى القيم والأخلاق بكل صورها، ولمكانة الأخلاق نجد أن الله ﷻ قد امتدح نبيه ﷺ بحسن خلقه في كتابه العزيز. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[٢].

وقبل الخوض في مضمون هذا المطلب والذي سيكون مخصص لموقف القمني من القيم، لابد من التعريف بالقيم الأخلاقية أولاً، ثم نفصل القول بعدها.

---

[١]- ينظر: طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها: عبد الرشيد عبد العزيز سالم، وكالة المطبوعات، ط:٣/ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ص:٨٤.

[٢]- سورة القلم: الآية:٤.

أولاً: تعريف القيم الأخلاقية.

أ- القيم في اللغة: "القيم مصدر بمعنى الاستقامة"[١].

ب- أما في الاصطلاح: "إنها صفات ذاتية في طبيعة الأقوال والأفعال والأشياء، مستحسنة بالفطرة والعقل والشرع"[٢]. أما الأخلاق فقد تزايدت أهمية دراسة المواضيع الأخلاقية؛ وذلك كونها أصبحت مقياسا يتم من خلاله تقييم الشعوب والأمم.

ج- الأخلاق في اللغة: هي من الخُلْقُ "والخُلْقُ، بالضم وبضَمَّتَيْنِ: السَّجِيَّةُ والطَّبْعُ، والمُروءةُ والدينُ"[٣].

د- أما في الاصطلاح: الجمع أخلاق ومفردها خُلُق وهو "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"[٤].

ثانياً: الاتجاهات الأخلاقية وموقف القمني منها: تنقسم الاتجاهات الأخلاقية عند المسلمين إلى ثلاثة.

أ- الاتجاه الروحي: وهو الاتصاف بالفضيلة، وتهذيب النفس وترويضها، والارتقاء بالروح وتنقيتها من الدنس، ويمثل هذا الاتجاه السمة البارزة عند رجال "التصوف"[٥].

ثانياً: هو ما يعرف بالاتجاه العقلاني: وقد اشتهر عند المعتزلة، فهم يعتقدون أن ما حسنه العقل فهو حسن، وما قبحه العقل فهو قبيح، وهم بهذا يرجعون كل شيء إلى حكم العقل.

ثالثاً: وهو الاتجاه المشهور عند باقي المسلمين ويتمثل في أسلوب الجمع بين الاتجاه الروحي والاتجاه العقلي على ضوء الوحي[٦].

---

[١]- لسان العرب: ابن منظور، ٣٧٨٥/٥ .

[٢]- مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض، د.ت ٢٧١/٨٦.

[٣]- القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادى، ص:٨٨١.

[٤]- التعريفات: الجرجاني ، ص:١٣٦.

[٥]- يعرف التصوف بأنه التطبيق العملي لتعاليم الإسلام، فيه يحدد المسلم صلته بالخالق وسلوكه مع المخلوقين، وفيه يراعي الفرد أفعاله الظاهرة البينة التي تجمعه بالناس، ووجدانه الخفي المستتر الذي يشده إلى الله ﷻ .... وبهذا يعيش عيش الصفاء والوضوح من خلال منهج يمضى على طريق تحقيقه من أجل الوصول إلى الله تعالى، وقد ظهرت تسمية التصوف في حدود سنة مئتين للهجرة، ومن أبرز رجال التصوف، الحسن البصري، والجنيد البغدادي، وعبدالقادر الجيلاني، وغيرهم الكثير. ينظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل: أبي زيد عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الأشبيلي المالكي(٧٣٣-٨٠٨هـ)، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق/١٩٩٦، ط:١٤١٧/١هـ-١٩٩٦م، ص:٧.

[٦]- ينظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، د. محمد منير مرسي ، دار المعارف-١٩٨٧م ، د.ط، ص:٩٩-١٠٠.

وقد تبنى القمني الاتجاه الثاني الذي هو الاتجاه العقلاني وتبرز هذه السمة في كتابات القمني عن القيم من خلال كتابه انتكاسة المسلمين إلى الوثنية حيث نجده يربط بين القيم وبين الحرية، والتي يجعلها أساساً في وجود القيمة السليمة. **فيقول:** "فالقيمة السليمة لا وجود لها في غياب الحرية الكاملة للفكر والرأي، للاختيار والمفاضلة والمقارنة مع غياب الحرية لا توجد سوى القيم المزورة، التي تعطل كل قيم التقدم المبنية على إعلاء العقل البشري الحر على أي مصدر معرفي سماوي أو أرضي"[١]. وهذا بطبيعة الحال يتعارض مع الدين، لأن الدين له تأثير على حياة الأفراد والمجتمعات كونه يحدد المبادئ والقيم التي تنظم العلاقة بين الإنسان وخالقه، والعلاقة بين الإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه، فالقيم الدينية ليست مبادئ نظرية؛ بل هي حقائق السلوك والعمل والحياة التي تميل إلى تكوين الفرد الصالح، فإذا تم ذلك قام المجتمع القوي السليم، الذي يتعاون أفراده على العدل والتقوى، ويقام فيه أساس الكفاية والعدل والسلام[٢].

وقد ويحتاج الإنسان إلى فهم الشكل الحقيقي لهذه القيم حتى يتمكن من اتخاذ الاتجاه الصحيح في الحياة ويستمد من هذه القيم الطاقة التي تمكنه من تحقيق رسالته الاجتماعية، وقد تختلف طريقة فهم القيم الدينية بين شخص وأخر، فهنالك من أساء فهم القيم الدينية فكراً أو تطبيقاً، ومنهم من أساء في الحكم على هذه القيم من خلال بناءً حكمه نتيجة لنظرته لخطأ التطبيق، فلم ينضروا إلى حقيقة الدين وتطبيقه[٣].

ويعد ما قاله القمني بمثابة منهج تعاملَ به كل المشككين في دين الإسلام، فلم يترك المستشرقون والعلمانيون باباً من أبواب الشريعة إلا ودخلوه بغية إثارة الشكوك والتضليل حول تعاليم هذا الدين، وللأهمية الكبرى للقيم الأخلاقية في حياة المسلمين، فقد توجهت الأفكار الغربية نحو البلاد الإسلامية لاستهدافها من أجل قطع صلة المسلم بتعاليم دينه، وكان للتوجه الغربي نحو البلاد الإسلامية تأثير واضح؛ كونه قد ولّد آراءً مؤيدة للفكر الغربي، ومن هذه الآراء والتي اتسمت بالحدة في نقد القيم الأخلاقية الدينية هو رأي سيد القمني والذي تحدث عنها من خلال كتابه انتكاسة المسلمين إلى الوثنية فتناول فيه أكثر من شكل من أشكال القيم الأخلاقية الدينية متبعاً منهجاً نقدياً وتشكيكياً.

---

[١]- انتكاسة المسلمين الى الوثنية: سيد القمني ، مؤسسة الانتشار العربي – بيروت ، ط:١/٢٠١٠م، ص:١٤٤.
[٢]- ينظر: القيم الدينية والمجتمع: محمد كامل حته ، دار المعارف- القاهرة ، ص:٥.
[٣]- ينظر: المصدر نفسه: ص:٥.

المطلب الثاني: القيم الدينية والقيم الوضعية.

لقد استطرد القمني في كلامه بما يخص القيم الدينية، إذ إنه يرفع من مكانة القيم الوضعية وبالمقابل يحط من مكانة القيم الدينية، وذلك من خلال أقواله التي انتقد فيها القيم الدينية، والأقوال التي رفع بها من شأن القيم الوضعية، وسوف نقسم أقوال القمني إلى قسمين الأول ما يخص كلامه عن القيم الدينية، والقسم الثاني ما يخص كلامه عن القيم الوضعية.

أولاً: قوله فيما يخص القيم الدينية:

إن طريقة القمني في قراءته لأحداث تاريخية خاصة بفترة معينة، فيما يتعلق بمبدأ من المبادئ الأخلاقية، فالقمني وكعادته يحاول أن يثير القارئ من خلال ما يطرحه، فنجده يستشهد بقصة من التوراة عن نبي الله أبراهيم عليه السلام. **فيقول:** "لو راجعنا التاريخ الديني فسنجد أن التقوى لم تمنع نبياً من أولي العزم مثل إبراهيم من قوله عن زوجته سارة إنها أخته فيتزوجها الفرعون المصري، وذلك بحسب التوراة لأسباب: قولي إنك أختي ليحصل لي خير بسببك وتحيا نفس من أجلك.. هذا بينما القيم الوضعية المصرية هي التي دفعت الفرعون إلى طلاق سارة وإعادتها إلى إبراهيم تاركاً لها مهرها لها بل ومزوداً لها بخير عظيم كتكفير عما لحقه من عار الزواج بامرأة ذات بعل"[١].

فهذا الكلام في حق نبي من أنبياء الله عليهم السلام، هو في غاية الخطورة، أن يقدم هذه المقارنة بين نبي الله إبراهيم عليه السلام وبين فرعون مصر، فهل يجهل القمني أن التقوى والتي تعرف عند أهل اللغة بأنها: "تجنب القبيح خوفا من الله وأصلها الوقاية"[٢]. وفي الاصطلاح: "الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك"[٣]. هي مبدأ متفق عليه بين كل الشرائع.

فقد سار القمني على خطى استاذهُ حسن حنفي في نقد القيم الدينية، حيث ذكر حسن حنفي ما حدث لنبي الله إبراهيم عليه السلام وزوجته في مصر، فبعد أن سرد هذه الحادثة علق عليها بقوله: "والقصة ليس بها أي أثر من النبوة لعدة أسباب: كذب إبراهيم وطلبه من زوجته أن تكذب معه، وهي ليست شيمة الأنبياء، عدم مقاومته رغبة الملك في طلب من معه، التضحية بأخته دون امرأته الغرور بأنه لا يوجد على الأرض مؤمن إلا اثنان، نوم الملك والحسناء أمامه مرتين حماية المرأة نفسها بالدعاء

---

[١]- ينظر: انتكاسة المسلمين الى الوثنية ، سيد القمني، ص:١٥٣. والنبي أبراهيم والتاريخ المجهول: سيد القمني، ص:٦١.

[٢]- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي ، ص:١٩٩.

[٣]- التعريفات: الجرجاني: ص:٩٠.

وليس بالمقاومة أو بالحيلة، حكم الملك أنها شيطان، إرساله هاجر هدية بالرغم من غضبه، وبالتالي تفوق أخلاق الملوك على أخلاق الأنبياء"[١].

وكما جرت العادة من القمني ومن على شاكلته في تناول كل فكرة عن الغرب من غير أن ينظروا في صحتها، والمهم عندهم أن يقولوا ما يدور في عقولهم، فهم قد أخذوا هذا القول عن الغرب متأثرينً بما يقولونه في هذا المجال، ومن ذلك ما تم ذكره في كتاب (حياة إبراهيم) والذي طعنوا فيه بنبي الله إبراهيمعليه السلام من خلال **قولهم:** "عندما فقد إبراهيم إيمانه، ونزل إلى مصر، فقد أيضا شجاعته، وأقنع زوجته بأن تقول عن نفسها إنها أخته، فإنه كان قد سمع عن فساد أخلاق المصريين، وخشي أن يقتلوه ليتمكنوا من أخذ سارة التي كانت على شيء عظيم من الجمال، رغم تقدمها في السن"[٢].

وللرد على هذه القراءة الخاطئة نقول:

إن القمني من خلال كل طروحاته ينطلق من وجهة نظر أبعد ما تكون عن الحقيقة الإسلامية فإذا رجعنا إلى ملابسات القصة نجد خلاف قوله الذي مر معنا، وقد وردت هذه القصة في كتب السُنة باسلوب منصف صادق بعيد عن الطعن والتشكيك، تصف ما تعرض له إبراهيمعليه السلام من امتحان ومحنة كبيرة: ففي الحديث "عن أبي هريرةرضي الله عنه **قال:** (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز و جل. قوله { إني سقيم }، وقوله{ بل فعله كبيرهم هذا }، وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه ؟ قال أختي فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعي الله ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو يصلي فأومأ بيده مهيا قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر)"[٣].

---

[١]- من النقل إلى العقل: حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط،٢٠١٢م، ٤٠٤/٢.
[٢]- حياة إبراهيم: فريدريك ماير، ترجمة: مرقس داود ، مكتبة المحبة للنشر، د.ت، د.ط، ص:٣٦.
[٣]- صحيح البخاري: كتاب الأنبياء ، باب: قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا، حديث رقم:٣١٧٩، ١٢٢٥/٣.

يبدو أن القمني ومن خلفه من المشككين في قوة الإيمان لم يسمعوا شيء عن حسن الظن بالله، فكلام نبي الله إبراهيمعليه السلام لا يمكن تصنيفه إلا من جهة حسن الظن وعمق الإيمان ومقام النبوة لديه عليه السلام، فكانت رؤيته في تقدير هذه الحالة منطلقة من هذا المقام، كون الأنبياء عليهم السلام ليسوا كغيرهم، والدليل على حسن الظن بالله هو أنهعليه السلام بعد أن قام جنود الملك بأخذ زوجته قام إلى الصلاة ومناجاة ربه وسؤاله أن يكف يد الظالم عن زوجته ويردها إليه وتصرفت هي بمثل ذلك فقد توضأت وصلت ودعت ربها أن يكف بأس هذا الملك الظالم، فما كان من الله ﷻ إلا أن استجاب دعوتهما ونجاها من يد الظالم[١]. كما سبق ذكره في الحديث النبوي.

أما ما يخص قول القمني بشأن مخالفة النبي إبراهيمعليه السلام للقيم الدينية من خلال كذبه، فهذه مندفعة أيضاً، من خلال ما تم ذكره عن هذه، التي شرحها أهل الحديث فضلاً عن أهل التفسير وبما يتناسب مع عصمة الأنبياء عليهم السلام، والمصادر الإسلامية شاهدة على ذلك، فقد ذكر بعض العلماء عن تأويل هذه القصة إن "هذه الثلاث كلها خارجةٌ من الكذب، لا في القصد، ولا في غيره، وهي داخلةٌ في باب المعاريض التي فيها مندوحةٌ عن الكذب.... وأما قوله ((أختي)) فقد بين في الحديث وقال: ((لأنك أختي في الإسلام))، وهو صدقٌ أيضاً، وأما قولهﷺ في حديث الشفاعة... ((لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثاً))، فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب –وإن كان حقاً في الباطن– إلا هذه الكلمات... فبين النبيﷺ أن هذه الكذبات ليست داخلةً في مطلق الكذب المفهوم، بل لو لم يكن لها وجهٌ كانت جائزةً لما تتضمنه من إعلاء كلمة الله، ودفع المفسدة عن سارة رضي الله عنها. والله سبحانه أعلم"[٢].

وبالمقابل فأي قيم هذه التي يتحدث عنها القمني عند هذا الملك ألذي يأخذ كل امرأة ذات جمال حتى ولو كانت متزوجة بل أنه يقتل زوجها ويجعلها من جواريه؟.

---

[١]- ينظر: قصص الأنبياء: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد ، مطبعة دار التأليف – القاهرة ، ط:١/ ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ص:١٩٧.

[٢]- رسالة في تفسير قوله تعالى: إن إبراهيم كان أمة ، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي ت: ٩٥٣هـ ، تح: محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، ط:١٤١٧/١هـ - ١٩٩٧م ، ص: ٦٣-٦٤.

ثانياً: قوله فيما يخص القيم الوضعية.

إن المتتبع لكتابات القمني يجده يهدف من خلالها إلى فك الارتباط بين الإنسان والدين، والدعوة إلى اعتماد القيم الوضعية. **فيقول:** "**لا** تفهم مشايخنا هنا، ولا تفهم مبرر مهاجمتهم للقوانين الوضعية"[١].

وهذه المناصرة للقوانين الوضعية التي أنحاز لها القمني نجدها عند كثير من المفكرين العلمانيين المتأثرين بالفكر الغربي فعلى سبيل المثال نجد إن "**قاسم امين**"[٢]، في مقدمة كتابه المرأة الجديدة، يتكلم عن الحرية والتي يعدها مكسباً من مكاسب القوانين الوضعية، وسبباً في تكوين المرأة الجديدة المتحررة، **إذ يقول:** "المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث بدأ ظهورها في الغرب على أثر الاكتشافات العلمية التي خلصت العقل الإنساني من سلطة الأوهام والظنون والخرافات وسلمته قيادة نفسه ورسمت له الطريق التي يجب أن يسلكها، ذلك حيث أخذ العلم يبحث في كل شيء وينتقد كل رأى ولا يسلم بمقال إلا إذا قام الدليل على ما فيه من المنفعة للعامة"[٣] .

وللإجابة عن ذلك نقول: عندما تختفي القيم وتضيع المعاني الإنسانية التي يزرعها الدين في النفوس، فإن أنتشار الظواهر المنحرفة والحالات المنفرة في المجتمع ليس شيئاً عجيباً، بقدر كونه نتيجة حتمية لعدم وجود قوانين تحكم الناس من خلال النظر إلى الصالح العام، فقد ظهرت في المجتمعات الغربية ظواهر بدأت تهدد وجود هذه الدول، ففي امريكا على سبيل المثال وفي تقرير صدر يؤكد أن أمريكا شهدت انتشاراً كبيراً لظاهرة الشذوذ الجنسي لدى الذكور والإناث، وهذا بلا شك يؤثر على النسل البشري من خلال قلة الولادات ناهيك عن التأثيرات الخلقية وما يصاحب هذه الظواهر من عواقب على الفرد والمجتمع، كما وإن ما تنتهجه الدول من سياسات أتجاه بعضها البعض من تهديد ومحاصرة اقتصادية وحروب طاحنة تستخدم فيها الدول الأسلحة المحرمة والتي يذهب ضحيتها الملايين من البشر ليس هو إلا بسبب فقدان القيم الدينية الأخلاقية[٤].

---

[١]- انتكاسة المسلمين إلى الوثنية: سيد القمني ، ص:١٥٤.

[٢]- قاسم بن محمد أمين المصري: (١٨٦٣ – ١٩٠٨ م) كاتب باحث، كردي الأصل. ولد ببلدة " طره " بمصر. اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها. وانتقل مع أبيه إلى الإسكندرية، فنشأ وتعلم بها، ثم بالقاهرة. وأكمل دراسة الحقوق في " مونبلييه " بفرنسا. وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥م فكان وكيلا للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة. فمستشارا بمحكمة الاستئناف. له عدة مؤلفات منها: " تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة" كما ونشر له كتاب ثالث سمي " كلمات قاسم بك أمين". وغيرها من الكتب، بقي في مصر حتى توفي بالقاهرة. ينظر: الأعلام: الزركلي، ١٨٤/٥.

[٣]- المرأة الجديدة: قاسم امين، مطبعة الشعب-مصر/١٣٢٩هـ- ١٩١١م، ص:١/من المقدمة.

[٤]- ينظر: ازمة الحضارة الغربية والبديل الاسلامي ، د. عبدالقادر طاش ، مطبعة كتاب المختار، د.ط، ص:٢٧.

وبعد هذا العرض يتبين أن ما يروجون له أدعياء العلمانية وأصحاب النزعة الاستشراقية من رفع للقيم الوضعية، هو أمر يحتاج إلى وقفة لأن ليس كل ما أوجده البشر يعتبر قيمة أخلاقية في نظرنا نحن المسلمون، فالقمني ومن معه خلال حديثهم عن القيم نجدهم يجهدون نفسهم في أن يصوروا للقارئ خلو الإسلام من القيم الاخلاقية، وأن القيم الوضعية هي القيم المثلى ويتغافلون عن حقيقة ما في هذه القيم الوضعية، من شطحات كونها تنبع من فكر إنساني يميل إلى تفضيل الأشياء التي تلبي رغباته حتى لو كانت مخالفة للواقع، على عكس القيم الدينية التي ترسم للناس منهجاً يتلاءم وحاجاتهم وتطلعاتهم بخلاف ما يراه الذين يطالبون بالتحرر من قيود القيم الأخلاقية الدينية.

ooooooo

المطلب الثالث: موقفه من الرق.

لقد تناولت أقلام المعادين للدين الإسلامي من مستشرقين وأذنابهم الشريعة بكل تفاصيلها، من خلال نسج الأكاذيب وتلفيقها على الإسلام بغية أثارة الشكوك بهذا الدين والطعن به فكانت أساليبهم شاهدة عليهم ومما تناولوه هو موضوع حرية الإنسان بوصفها قيمة أخلاقية، وهو الموضوع الذي أثاره القمني من خلاله شبهته في ما يخص (الرق.

أولاً: تعرف الرق لغة واصطلاحاً.

أ- **في اللغة:** وهو "بالكسر من الملك وهو العبودية"[١].

ب- **في الاصطلاح:** وهو "العبودية في عرف الفقهاء: عبارة عن عجز حكمي شُرع في الأصل جزاءً عن الكفر، أما أنه عجز، فلانه لا يملك ما يملكه الحر من الشهادة، والقضاء، وغيرهما وأما أنه حكمي، فلأن العبد قد يكون أقوى في الأعمال من الحر"[٢].

ثانياً: النزعة الاستشراقية في الرق.

أ- **قول القمني:** ولقد أتضحت رؤية القمني لمفهوم الرق من خلال جعله تشريعاً إسلامياً ثابتاً، وربطه بموضوع القيم الدينية من أجل التشكيك بهذه القيم وتثبيت ما يصبوا إليه من ادعاء عدم وجود القيم في الدين الإسلامي، وأنه مخالف لقيمة احترام الإنسان. **فيقول:** "هل من احترام قيمة الإنسان أن يدرس أبناؤنا في معاهدنا الدينية حتى اليوم فقهاً كاملاً على المذاهب الأربعة مدوناً في مئات الصفحات ليشرح لهم فقه الرقيق"[٣]. وهو بهذا يلقي على الإسلام تهمة تشريع الرق، وأن الإسلام ليس فيه من القيم الأخلاقية الدينية ما يرفع مكانة الإنسان ويستشهد في ذلك بمفهوم الرق.

ب- قول بعض المستشرقين.

١- المستشرق وليم موير ، يقول "إن الرق معضلة إسلامية"[٤].

وهذه مغالطة كبير وتجني على الإسلام، فلا يوجد ما يثبت أن الإسلام قد أوجد الرق.

٢- ومن المستشرقين من سلك طريقاً آخر في هذه المسألة وهذا ما نجده عند المستشرق "**كارل بروكلمان**"[١]، الذي يرجع سبب بقاء الرق هو عدم معالجة النبي محمدﷺ لها كما فعلت الديانة

---

[١]- مختار الصحاح: الرازي ، ص:٢٦٧.
[٢]- القاموس الفقهي : د. سعدي أبو حبيب ، دار الفكر. دمشق – سورية ، ط:٢/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص:١٥٢.
[٣]- انتكاسة المسلمين الى الوثنية: سيد القمني: ص:١٦٤.
[٤]- المصدر نفسه: ص: ١٤٣.

المسيحية، **فيقول:** "ولم يتعرض محمد لنظام الرقيق بأكثر مما تعرضت الكنيسة المسيحية الأولى لهذا الأساس الذي قامت عليه الحياة الاقتصادية عند القدماء"[٢].

ثالثاً: الرد على شبهة الرق.

ولبيان مشكلة الرق والتي يصر أعداء الإسلام على جعلها من مثالب الإسلام، فلابد من تناول هذه المشكلة من ثلاثة جوانب: وعلى النحو التالي.

أ- منهج الإسلام في التعامل مع الرق.

إن دعوى القمني في شأن الرق هي نتيجة تأثره بأقوال أسياده من المستشرقين الذين سلكوا طريق الطعن بالإسلام، والرد على هذا الادعاء يكون من خلال القول: "إن الإسلام إنما جاء لا ليشرع رقاً، ولكن جاء لينهي رقاً، ويسد منابعه التي كانت موجودة قبل الإسلام، ولا يبقى إلا منبع واحد، هذا المنبع الواحد هو الحرب المشروعة، ولماذا لم يطلقهم؟؛ لأن الحرب المشروعة عرضة أن يأخذ الخصوم من أبنائي وأنا آخذ من أبنائهم، فلا أطلق أبناءهم إن جاءوا في يدي حتى يطلقوا أبنائي الذين في أيديهم، ويصير الأمر إلى المعاملة بالمثل، التي انتهى إليها العالم الحديث وهي تبادل الأسرى، فالرق كان موجوداً، وله ينابيع متعددة فوق العشرين، وليس له إلا مصرف واحد هو إرادة السيد، فجاء الإسلام ليصفي الرق، وأول تصفية لشيء هو أن تسد منابعه، وبدل أن يكون مجرد مصرف واحد، وهي رغبة السيد، جعل له الإسلام مصارف متعددة، إذن فنكون قد حددنا المنابع في نبع واحد، وعددنا المصارف فالذنب بينك وبين الله ﷻ تكفره بأن تعتق رقبة"[٣].

كما وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوي تحث على العتق وعظيم الأجر الذي يتحصل عليه المعتق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣﴾[٤].

---

[١]- مستشرق ألماني ولد في شمال ألمانيا سنة١٨٦٨م ، بدأ شغفه بالدراسات الشرقية قبل أن ينهي دراسته الثانوية، التحق بجامعة روستوك سنة ١٨٨٦م ، وقد حضر دروس للمستشرقين نولدكة و وهوبشمان ، وبعدها حصل على شهادة الدكتوراه في التأهيل المنهي، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب تاريخ الأدب العربي و كتاب علم اللغات السامية وكتاب تاريخ الشعوب الإسلامية ، وبقي مستمر في أبحاثه حتى توفي ١٩٥٦م. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي ، ص:٩٧.

[٢]- تأريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، ص:٨١.

[٣]- تفسير الشعراوي – الخواطر: باب:٣٦ ، ٢٢٢١/٤.

[٤]- سورة البلد: الآية: ١٢-١٣.

"{فَكُّ رَقَبَةٍ} أي: فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار"[١]. وعن أبي هريرةﷺ : عن النبيﷺ قال "(مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْ النَّارِ حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ)"[٢].

فبينما كانت أعداد الرقيق الكبيرة موجودة ومسحوقة ومهمشة ومسلوبة الحقوق، جاء الإسلام وفتح لهم نافذة الحياة وجعل التعامل معهم بطرق تختلف عن ما كان سائداً قبل الإسلام، فلم يعد مسموحاً ضربهم أو إهانتهم وما إلى ذلك من أساليب كانت موجودة قبل الإسلام، وهذا خلاف ما يدعيه القمني من أن هذا الشيء مخالف لمبدأ احترام الإنسان.

ب- لماذا لم يقرر الإسلام إلغاء الرق دفعة واحدة:

إن استعباد الإنسان لأخيه الإنسان هو مظهر من مظاهر العصر الهمجي والتخلف، فكيف يمكن لدستور الله ﷻ الأبدي أن يجيز سلوكاً يعتبره العقل عيباً ومظهراً من مظاهر التخلف؟ ولكن السؤال الذي يُطرح هو: لماذا لم يقم الإسلام بإلغاء الرق دفعةً واحدة؟ والجواب على هذا التساؤل: هو أن الإسلام يعالج الأمراض الاجتماعية المزمنة والمتوطنة بطريقة تدريجية ومرحلية، وذلك للخوف من ردود الفعل السلبية، والأمثلة على ذلك كثيرة مثل تحريم الخمر والربا وغيرها، فعندما جاءَ الإسلام كانت أعداد العبيد أكثر من الأحرار، فكان اتخاذ القرار بإلغاء الرق دفعة واحدة سيترتب عليه نتائج سلبية، ومن هذه النتائج:

١- لقد كانت تشكل تجارة الرقيق العمود الفقري للحياة الاقتصادية، وعليه فإن قرار الغاء هذا النظام دفعة واحدة كان سيؤدي إلى مجابهة الإسلام من قبل الطغاة أسياد العبيد.

٢- ولم يكن الإسلام يتمتع بالإمكانية المادية ما يضمن عيش الأعداد الكبيرة من العبيد، ولم يكن لهم مصدر رزق، فتحريرهم جميعاً دفعةً واحدة كان سيؤدي بهم إلى التمرد على الإسلام[٣].

٣- لقد اعتاد العبد على العبودية، وقد يؤدي تحرره إلى رفضه شخصياً، كما حدث في الولايات المتحدة عندما صدرت قوانين إلغاء العبودية وتم رفضها، وبالتالي فعندما وصل الإسلام، وجد أن نظام استعباد الإنسان لإخوانه من البشر كان مستنقعاً نتناً، تغذيه روافد قليلة، وإزالة هذه الروافد

---

[١]- تفسير السعدي: ص:٩٢٤.

[٢]- صحيح البخاري: كتاب: كفارات الأيمان ، باب: قوله تعالى أو تحرير رقبة، حديث رقم: ٦٣٣٧ ، ٢٤٦٩/٦.

[٣]- ينظر: أسباب إباحة الأعمال الجرمية : مصطفى إبراهيم الزلمي ، احسان للنشر والتوزيع ، ط:١٤٣٥/١هـ - ٢٠١٤م ، ص:١٤٦.

يقطع المصدر ويجفف المستنقع دون أي مقابل، فالإسلام قد نظم أحكام الرق من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية في هذه الفترة، فإن توقفت النصوص المنظمة لهذه الأحكام عن العمل، فهذا لا يعد نسخاً، بل توقف العمل على النص لأجل غرض معين، وينتهي العمل به بانتهاء ذلك الغرض، ومن القواعد الفقهية الأساسية المتفق عليها في الإسلام أن الحكم يدور على أسبابها، سواء كانت موجودة أم لا، وإذا زال السبب زال الحكم[١].

ج- هل مازال الرق موجوداً؟.

إن مفهوم الرق الذي ينسبونه إلى الإسلام، والذي تبين أنه موجود قبل الإسلام والذي حث الإسلام على تركه من خلال الدعوة إلى تحرير الرقيق، لم ينتهي بل على العكس تم تحديثه ليشمل جوانب كثيرة، فمن الممكن أن يطلق عليه الرق الحديث: "ومع أن مصطلح "الرق الحديث" لم يُعرّف قانوناً، إلا أنه يُستخدم مصطلحاً شاملاً يشمل ممارسات مثل العمل الجبري، ورق الديون، والزواج القسري، والإتجار بالبشر، ويشير بشكل أساسي إلى حالات الاستغلال التي لا يمكن لأي شخص رفضها أو الفكاك منها بسبب التهديدات والعنف والإكراه والخداع وإساءة استخدام السلطة"[٢]، كما إن النظرة العامة حول الشعوب المستعبدة من قبل السلطات الاستعمارية أو الاستبدادية كافية لتكشف لنا أن العبودية لا تزال سارية في العالم الحديث، إلا أنها تأخذ لونًا مختلفًا في حد ذاته، مقنعاً بأسماء حديثة، بما في ذلك سلطة القوانين التي يستفيد منها أُناس على حساب أخرين، وتأخذ أشكال متنوعة منها سلطة الاحتلال، وسلطة الانتداب وسلطة الحزب الحاكم وسلطة طاغية ظالم هو عدو القانون، ويستفيد من هذا الأمر أيضاً أفراد يسترقون الشعوب بغير وجه حق وتكون القوى المسلحة ساندة لهم، وإن كل شخص يحاول التخلص من هذا الظلم والاستبداد يعتبر عدواً للسلطة، لذلك يجب أن يتعرض لمختلف أنواع التعذيب والاضطهاد، وقد يصل إلى حد القتل[٣].

إذاً ما هو الفرق بين العبيد في العالم القديم الذين حرموا من حريتهم في التملك وحرية العمل التي يمكن أن تؤدي إلى الملكية، والعبيد الذين حرموا من هذه الحرية جراء ما فرضته الأنظمة العالمية الحديثة والتي أخذت شكل العبودية الجماعية الشاملة تحت مسمى النظام العام أو القانون أو

---

[١]- ينظر: أسباب إباحة الأعمال الجرمية : مصطفى إبراهيم الزلمي ، ص:١٤٦.
[٢]- الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة ، بتأريخ: ٢٠٢٣/١٢/٢٢، الساعة٧:٣٠ مساءاً ، https://www.un.org/ar/observances/slavery-abolition-day
[٣]- ينظر: اجنحة المكر الثلاثة: عبدالرحمن حسن حبكة الميداني، ص: من٥٤٨إلى٥٥٣.

المبادئ الثورية أو بأسماء أخرى، ما هو الفرق بين العبيد الذين لم يُسمح لهم بممارسة أي نشاط اجتماعي أو سياسي في العالم القديم والشعوب المستعبدة من قبل الدول الكبرى الذين تم منعهم من الانخراط في مختلف الأنشطة الاجتماعية والسياسية، مع العلم أن هذه الدول الكبرى يصفون أنفسهم بأنهم تقدميون ويحملون لواء الحرية، إن الاختلاف هنا هو فقط إن العبودية كانت لشخص وأصبحت لدول، وللعم أن تعامل هذه الدول مع الرقيق هو يعتبر تراث قديم بالنسبة لهم فمن سبقهم كانت لهم أساليبهم البشعة في التعامل مع الرقيق، فالرومان كانوا يعاملون العبد معاملة الحيوانات أو أشد من حيث سلب الحقوق أو حرمانهم من المسكن اللائق، أو الطعام، أو الملبس، كما وأن الرومان كان لهم مهرجان خاص يدخلون فيه أثنين من العبيد إلى حلبة كبيرة يتبارزون فيها حد الموت مع وجود جمهور يصفق للقاتل ويفرح ويبتهج، وعلى هذه الشاكلة كان نظام الرق في الهند وبلاد فارس، واليهود قد بالغوا في هذا الأمر حيث أنهم تخطوا الحدود الشرعية في ذلك، فوصل بهم الأمر إلى أن يقاتلوا إخوانهم من نفس الديانة فيأخذون منهم الأسرى ويطالبون بفدية مقابل إطلاقهم[١].

ooooooo

[١]- ينظر: اجنحة المكر الثلاثة: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص: من٥٤٨إلى٥٥٣.

المطلب الرابع: موقف القمني من المرأة ومكانتها الاجتماعية.

إن المكانة التي حظيت بها المرأة في الإسلام جعلت أعداءه يثيرون حولها كثيراً من الشبهات التي لابد من الوقوف عندها؛ لكي تتوضح الصورة لكل الناس، وذلك خلال بيان نظرة القمني للمرأة والنزعة الاستشراقية عنده، وعرض ما قاله المستشرقون والعلمانيون بهذا الخصوص، فالشريعة الاسلامية جاءت بكل ما من شأنه أن يحفظ مكانة المرأة ويصونها، حتى أن الرسولﷺ حث المسلمين على حسن معاملة النساء فقالﷺ "(اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)"[١] .

أولاً: نظرة القمني لمكانة المرأة في الإسلام.

لا يخفى أن في واقعنا المعاصر استمرار النسق العدائي ضد الإسلام فيما يخص التعامل مع النساء، وما ذلك إلا بسبب الحقد أتجاه الإسلام وأنظمته وأحكامه، فكل من اتخذ منهج العداء ضد الإسلام لابد له من إثارة شبهات حول النساء، فالقمني مثلا وانطلاقاً من العداء ضد الإسلام أثار الشبهات ذاتها التي أثارها الذين سبقوه من مستشرقين وغيرهم **فيقول:** "التاريخ يؤكد أن الشرق كان هو المؤسس لذلك التقسيم العنصري الطبقي في أن معاً، ولم يزل، ومن يومها تتعزى المرأة الشرقية بالصبر والسلوان الفقهي، وتبلسم جراحها بخطابات منبرية، تؤكد لها أنها في مكان التكريم بين نساء العالمين، تتعزى صبراً في عالم الأرض وصبراً في عالم السماوات، في الدنيا وفي الآخرة"[٢].

وفي موضع أخر نجده يستمر بمنهجه التشكيكي النقدي والذي لا يكاد يتغير حيث أنه يوجه نقداً لاذعاً للشريعة الإسلامية لتعاملها مع المرأة من خلال عدة وجوه.

فيقول: "وهكذا يؤسس موروثنا لتبخيس المرأة، فقد خُلقت من ضلع أعوج، وناقصة عقل ودين، وشهادتها نصف شهادة الرجل، وميراثها نصف ميراث الرجل، وليس لها من الطلاق شيء، ولو كنتُ أمراً أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.. والكهنة رسل الشيطان والنساء مصايده، شَلٌّ مستمر لشخصيتها، وإضعاف دائم لفاعليتها، ودفع دائم لها لتكون على الصورة التي يريدها الرجل، ليسقط عليها عدم براءته وشهوانيته ونقائصه، لتصبح مجرد جسد غير مطلوب منها أن تفكر فهناك من يفكر بالنيابة عنها"[٣].

---

[١]- صحيح مسلم: كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء، حديث رقم: ١٤٦٨، ١٠٩١/٢.
[٢]- رب الزمان: سيد القمني، ص:٣٢٦.
[٣]- المصدر نفسه، ص:٣٢٧.

ثانياً: نظرة المستشرقين لمكانة المرأة في الإسلام.

إن استهداف الإسلام من خلال شبهات تثار حول حقوق المرأة أمراً ليس بجديد فقد أسس أعداء الدين لهذه الشبة تأسيساً قديماً فنجد مثلا: "**اللورد كرومر (افلين بارينغ كرومر ١٨٤١م-١٩١٧م)**"[١]، **يقول:** "إن لفشل الإسلام كنظام اجتماعي أسباباً، منها أنه جعل المرأة في مركز منحط كثيراً عن الرجل"[٢].

ثالثاً: وللرد على شبهة مكانة المرأة في الإسلام يتضح أن .

القمني أثار مسائل عديدة أعتبر أن الإسلام قد ظلم المرأة فيها، وسوف نقتصر على مسألتين فقط وهي الاختلاط والميراث، كون هذه المسائل هي من المسائل المعاصرة المهمة والتي كانت محط اهتمام من قبل الكثير من المستشرقين والمفكرين العلمانيين.

أ- مسألة الاختلاط:

١- الاختلاط لغة: مأخوذ من "خَلَطَ الشيء بالشيء يَخْلِطُه خَلْطاً وخَلَّطَه فاخْتَلَطَ مَزَجَه واخْتَلَطا وخالطَ الشيءَ مُخالَطة وخِلاطاً مازَجَه والخِلْطُ ما خالَطَ الشيءَ وجمعه أَخْلاطٌ"[٣].

٢- اصطلاحاً: هو: "اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر، أو الإشارة، أو الكلام، أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد"[٤].

لقد تطرق القمني لموضوع الاختلاط منتقداً تعامل الإسلام مع المرأة بهذا الخصوص فنجده **يقول:** "مأثورنا يُعيد وضع المرأة إلى زمن حواء الأسطوري، زمن الخطيئة الأولى، ويمركز الشر كله حولها، فهي شيطان غواية لأنها رفيقة إبليس، فالمرأة لا تتحكم بشهواتها، ولا تكون مع رجل إلا وكان الشيطان ثالثهما، ويتأصل سوء الظن بها ... لأنها هي التي أغوت آدم"[٥].

---

[١]- إڤلين بارنگ، كرومر، وهو مستشرق بريطاني، ولد في بريطانيا وعمل ضابطاً في الجيش البريطاني، فاختارته الحكومة البريطانية سنة ١٨٨٣ عقب احتلالها مصر عام (١٨٨٢م) ليكون «الوكيل البريطاني والقنصل العام» بدرجة وزير مفوض في السلك الدبلوماسي واستمر في منصبه حتى استقالته عام ١٩٠٧، كان رجل دولة ودبلوماسي وإداري مستعمرات بريطاني كبير، وكان من كبار دعاة التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي وواحد من الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها الاستعمار ولا يزال، في محاولة القضاء على مقومات العالم الإسلامي والأمة العربية، من أهم أعماله كتاب مصر الحديثة، بعد انتهاء مهمته العسكرية عاد إلى بريطانيا وبقي فيها حتى توفي سنة١٩١٧م. ينظر: موقع المعرفة على شبكة الأنترنت، بتأريخ: ٢٠٢٤/٨/١٧، https://www.marefa.org.

[٢]- ينظر: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، د. شوقي ابو خليل ، ص:١٣٣.

[٣]- لسان العرب: أبن منظور، مادة خلط ، ١٢٢٩/٢.

[٤]- عودة الحجاب: محمد أحمد إسماعيل المقدم ، دار القمة، دار الإيمان (الإسكندرية) ، ط:٢/ ٢٠٠٤ م ، ٥٧/٣.

[٥]- رب الزمان: سيد القمني، ص:٣٢٦. وينظر: السؤال الاخر: سيد القمني ، ص: ١٨٣-١٨٤.

إن مثله في انتقاد الإسلام بشأن منع الاختلاط كمثل المستشرقين ومن تأثر بأفكارهم من العرب، فنجد المتأثرين بالأفكار الغربية انتهجوا منهجاً ماكراً في الدعوة إلى الاختلاط فنجد "**طه حسين**"[١]، والذي يعد من المتأثرين بشكل كبير بأفكار المستشرقين؛ وذلك لما أبداه من أعجاب بالمستشرقين **يقول:** "لم أكن أُقدر أن هؤلاء المستشرقين يستطيعون أن يعرضوا في إصابة وتوفيق لألفاظ القرآن ومعانيه، والكشف عن أسراره وأغراضه"[٢]. وبعد أن ترسخت الأفكار الاستشراقية في رأسه اخذ يطبق مناهج المستشرقين من خلال إسقاط الواقع الغربي المنحل والذي لا
يحرم الاختلاط على بلاد الإسلام. **فقال:** "لا أعلم نصاً في كتاب الله أو سنة نبيه يمنع اختلاط الشبان بالشابات لطلب العلم"[٣].

لقد كان نظام المداورة في الأفكار واضحاً بين المفكرين المتأثرين بالغرب فما كانت طروحات القمني إلا نهجاً تأثرياً بأفكار من سبقه سواء عن طريق التلقي المباشر أو من خلال المؤلفات، فلم يكن القمني أول منتقد للدين، ولن يكون الأخير ففي مسألة الاختلاط ذكرنا قول طه حسين وللتحقق أكثر من تأثر بعض المفكرين العرب بنفس الشبهات نجد أن من الذين تأثروا أيضاً بهذه الشبهات ورددوها كثيراً ودافعوا عنها في مؤلفاتهم هو المفكر المصري، "**نصر حامد أبوزيد**"[٤]. فهو يكرر الأفكار نفسها ويتناول الشبهات نفسها ففي كلامه عن الاختلاط نجده **يقول:** "وعلينا ألا ننخدع كثيراً بما يبدو على سطح الخطاب الديني خاصة وخطاب التراجع عامة من حرص على إبراز أن مدخله لمناقشة قضايا المرأة هو مدخل الحرص على كرامتها، وعلى حمايتها مما تتعرض له من إهدار لأدميتها اذا خرجت للعمل واختلطت بالرجل في وسائل المواصلات العامة المزدحمة"[٥].

---

[١]- طه بن حسين بن علي بن سلامة ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م ، أديب وناقد مصري لقب (بعميد الأدب العربي) يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة، له أفكار ومواقف لاتزال مثيرة للجدل حتى اليوم ، عين محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم كان عميدا لتلك الكلية فوزيرا للمعارف ، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ المراسلين بدمشق ثم رئيسا لمجمع اللغة بمصر ، من مؤلفاته: (في الأدب الجاهلي) و (في الشعر الجاهلي) و (حديث الأربعاء) و (قادة الفكر) و (على هامش السيرة) وغيرها من المؤلفات ، ينظر: الأعلام : الزركلي، ٢٣١/٣-٢٣٢.

[٢]- طه حسين في ميزان الاسلام: انور الجندي ، دار الاعتصام ، ط:٢/ ١٩٧٧م ، ص:٣٦.

[٣]- المصدر نفسه: ص: ٦٢.

[٤]- مفكر مصري مثير للجدل ولد ١٩٤٣م في مصر، حاصل على شهادة الليسانس من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة ، ثم الماجستير من نفس القسم والكلية في الدراسات الاسلامية ومن ثم حصل على الدكتوراه بنفس التخصص من نفس الكلية ، تقلد مناصب عدة منها معيد بقسم اللغة العربية الذي درس فيه، ثم مدرس مساعد بنفس الكلية ، له مؤلفات عديدة منها نقد الخطاب الديني، المرأة في خطاب الازمة ، التفكير في زمن التكفير، وغيرها من المؤلفات ، رحل عن الدنيا سنة ٢٠١٠م ، نقلا عن صحيفة اليوم السابع الالكترونية: بقلم: أحمد إبراهيم الشريف، في ٠٥ يوليو ٢٠٢١م، http://www.youm7.com/5378835

[٥]- دوائر الخوف : نصر حامد أبو زيد: المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط:٢٠٠٤/٣م ، ص:٨٠.

فكان هذا التوجه بمثابة بذرة الأفكار الغربية التي انغرست في عقول المفكرين العرب فساروا عليها في دعوتهم إلى تحرير المرأة والتدرج في إباحة الاختلاط، فتوحدت رؤية القمني ومن ركب معه في قطار التبعية للغرب الذين طوعوا أنفسهم لتنفيذ الأفكار الغربية المعادية للإسلام؛ والتي تحلل للمرأة الاختلاط والكشف عن جسمها وتحلل الفاحشة إن كانت برضا المرأة ! ومن جراء هذه المفاهيم يصاب المسلم في دينه فيقع في الفتنة، وذلك من خلال عدم السماح للمسلم بمنع ابنته من الاختلاط، والتبرج، والعري في ضل الحكم الغربي والدعوة إلى تطبيقه في البلاد الإسلامية[١].

والرد على أقوال القمني وأقوال العلمانيين المنبهرين بالأفكار الغربية، في مسألة الاختلاط يكون من جانبين.

الجانب الأول: ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

وهذا ما يتمثل بسنة الرسولﷺ، قال الرسولﷺ، "(لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ)"[٢].

ونستطيع أن نعلم الغاية التي من أجلها شدد الرسولﷺ منع اختلاط والخلوة، من خلال شرح الحديث. فقوله "لا يخلون أحدكم بامرأة أجنبية، "إلا مع ذي محرم"، استثناء متصل، أي: إلاّ أن يكون محرماً لها، ويحتمل أنه منقطع، أي: إلا أن يدخل عليها وعندها ذو محرم منها، فإنها لا تكون خلوة بامرأة، وهذا النهي من باب سد الذرائع؛ لأن الخلوة ذريعة إلى المحرم، وهو مثل نهيه تعالى لنساء رسوله – صلى الله عليه وسلم – بأن لا يخضعن بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض، والمرأة منهية أيضاً عن الخلوة بالأجنبي، كما أنه منهي عن ذلك إذ العلة واحدة وهما متلازمان"[٣].

فلو أن في الاختلاط خير ومنفعة لحثت عليه الشريعة الإسلامية، حيث إن الشريعة الإسلامية شددت في منع الاختلاط حتى في العبادة، فقال الرسولﷺ "(خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا)"[٤].

---

[١]- ينظر: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام: أبو سفيان مصطفى باحُو السلاوي المغربي ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية ، ط:١/ ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، ص:٩.

[٢]- صحيح البخاري: كتاب: النكاح، باب: باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، حديث رقم:٤٩٣٤، ٢٠٠٥/٥.

[٣]- التحبير لإيضاح معاني التيسير: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، تح: محمد صُبحي بن حسن حلاق أبو مصعب، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة الْعربية السعودية، ط:١٤٣٣/١هـ-٢٠١٢م، ٦٥٩/٦-٦٦٠.

[٤]- صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: تسويه الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، حديث رقم: ١٣٢، ١/ ٣٢٦.

"وفيه فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن عن مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك"[١].

وعلى الرغم من الأدلة الشرعية على منع الاختلاط إلا أن الشريعة الإسلامية حددت صوراً له، وبينت الجائز منها وغير الجائز، فالاختلاط الجائز في الإسلام مثل اختلاط النساء بمحارمهن مع ضرورة الحشمة، أو المخالطة في الأمور الضرورية، كما لابد من مراعات أمور عدة ومن أهمها.

* أن لا يؤدي الاختلاط إلى خلوة بين الرجل والمرأة.

* المباعدة قدر الإمكان بين الرجال والنساء، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

* أن لا يؤدي إلى النظر المحرم، وأن يكون الكلام على قدر الحاجة، وأن لا تتكسر المرأة في الكلام وتخضع فيه.

* أن لا يصاحب الاختلاط تبرج المرأة وكشف ما لا يجوز لها كشفه.

* أن يخلو من إزالة الحواجز بين الجنسين حتى يتجاوز الأمر حدود الأدب[٢].

أما الاختلاط غير الجائز، فهو الذي يؤدي إلى زوال الكلفة بين النساء والرجال، ومن أهم صور هذا الاختلاط.

* اختلاط الذكر والإناث في المضاجع، حتى إن كانوا إخوة، ودليل ذلك حديث الرسولﷺ "(مُرُوا أولاكمِ بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سِنينَ، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عَشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المَضاجِعِ)"[٣].

* اتخاذ الخدم من الرجال أو النساء واختلاط النساء بالخدم الرجال وقد يصل لحد الخلوة، واختلاط الرجال بالخادمات النساء كذلك، وحصول الخلوة بهن.

* اجتماع الرجل بالمرأة، ولو كان ذلك في مكان عام إذا ترتّبت عليه ريبة أو سوء ظنّ فيهما.

* الاختلاط والخلوة التي تحصل للخطيبين والسماح لهما بالمصاحبة والمخالطة التي تجر إلى الخلوة، ثم إلى ما لا يحمد عقباه، فيقع العبث بأعراض الناس بحجة التعارف ومدارسة بعضهم بعضاً[٤].

---

[١]- فتح المنعم شرح صحيح مسلم: د. موسى شاهين لاشين، ٦٠٤/٢.

[٢]- ينظر: الاختلاط بين الرجال والنساء: شحاتة محمد صقر، دار اليسر للطباعة- مصر، ط:١/ ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ٧٣/١.

[٣]- سنن أبي داود: كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم: ٤٥٩، ٣٦٧/١. تعليق المحقق(حديث حسن).

[٤]- ينظر: المصدر السابق، ٦٦/١-٦٧.

أذاً فلم تكن الغاية من تحريم الاختلاط والخلوة إلا من أجل سد باب الفتنة لأن الشيطان يتربص بالإنسان ليوقعه في شباكه، قال الرسولﷺ "(إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ)"[١].

وبالتالي فإن الدين الإسلامي لا يدعو إلى الحجر على المرأة كما يدعي أعداء الإسلام، بل أن تكون أعمالها وفقاً لضوابط الشريعة الإسلامية، فإذا حرمت الشريعة الإسلامية الاختلاط فذلك لمصلحة المرأة؛ لأن الاختلاط الذي يدعو له الغرب ليس اختلاطاً عادياً، بل أنهم يدعون إلى جواز انفراد المرأة والرجل لوحدهم، وهذا من أكثر أسباب شيوع الفاحشة.

الجانب الثاني: الانتقادات الغربية للاختلاط.

وهذا الجانب يتمثل بانتقادات بعض المنصفين الغربيين للاختلاط، فإذا سلطنا الضوء على ظاهرة الاختلاط عند الكثير من الغربيين نجدهم لا يؤمنون بالاختلاط، **فتقول: اللادي كوك** وهي كاتبة انكليزية مشهورة، أن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا وهنا البلاء العظيم على المرأة... أما آن لنا أن نبحث عمّا يخفّف، إذا لم نقل: عمّا يزيل، هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟!، وتقول إحدى أساتذة الجامعات في بريطانيا وهي تودع طالباتها بعد أن قدمت استقالتها: ها أنا قد بلغت سنّ الستين من عمري، ووصلت فيها إلى أعلى المراكز، نجحت وتقدّمت في كل سنة من سنوات عمري، وحقّقت عملاً كبيراً في نظر المجتمع، لقد حصلت على شهرة كبيرة وعلى مال كثير، ولكن هل أنا سعيدة بعد أن حققت كل هذه الانتصارات؟!"تجيب هي على نفسها فتقول: "لا، إن وظيفة المرأة الوحيدة هي أن تتزوج وتكوّن أسرة، وأي مجهود تبذله بعد ذلك لا قيمة له في حياتها بالذات"[٢].

ب- مسألة الميراث.

تعد مسألة الميراث من المسائل التي أثارها القمني في بعض مؤلفاته، وقبل بيان ما ذكره في هذه المسألة لابد من تعريف الميراث لغة واصطلاحاً.

١- لغة: هو "ما يستحق الوارث من مال الميت، والجمع مواريث"[٣].

---

[١]- صحيح مسلم: كتاب: السلام، باب: بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، حديث رقم: ٢١٧٤، ١٧١٢/٤.

[٢]- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: علي بن نايف الشحود ، ١٠٥/٥٥.

[٣]- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ) ، تح: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) ، ط:١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ٧١٢٨/١١.

٢- **أما اصطلاحاً:** فيعرف بأنه "حق قابل للتجزئة، ثبت لمستحقه بعد موت من كان له ذلك، لقرابة بينهما، أو نحوها"[١].

وتستمر مغالطات القمني في هذا الجانب شأنه في ذلك شأن المستشرقين المعادين للإسلام من خلال اقتطاع نصوص وتوجيهها حسب أهوائهم أو الأخذ بنصوص من كتب غير معتمدة عند علماء المسلمين، فقد وقع هو ومن قبله من المستشرقين بالخطأ حين انتقدوا الإسلام في مسألة الميراث، فهو وفي حوار أجري معه تكلم عن مسألة الميراث في الشريعة الإسلامية، **فيقول:** "وإذا قال البعض إن المرأة ناقصة عقل ودين بسبب الحيض الذي يمنعها من الصوم والصلاة فليس معنى ذلك نقص في إنسانيتها، فهذه ليست حجة تجعلنا نضعها نصف ذكر في الميراث والشهادة"[٢]. ولقد أخذ هو هذا الفهم الخاطئ من المستشرقين الذين أتخذوا من مسألة ميراث المرأة حجة للطعن في شريعة الإسلام، فنجد المستشرق **(جاستون فييت** ١٨٨٧-١٩٧١م)[٣]. **يقول:** "إن دور المرأة في المجتمع الإسلامي على جانب كبير من الضآلة، وأن ضآلة مرتبتها كانت أمراً مُسَلماً به في جميع مظاهر الحياة... حتى أنه في مسالة الميراث لم يكن نصيبها إلا نصف نصيب الرجل.."[٤].

والرد على هذه المغالطات يكون من جانبين.

الجانب الأول: نتكلم عن الحكمة من أن تكون حصة الرجل ضعف حصة المرأة، فالقمني والمستشرقين وكل الطاعنين في دين الإسلام، لم يرجعوا إلى السبب الرئيسي الذي من أجله جعل الله ﷻ ميراث الرجل أكثر من المرأة، فإن شأن ميراث المرأة معلل بمصالح قد تكون ظاهرة أو مخفية كما في الكثير من أحكام الشريعة الإسلامية، فحكمة الإسلام في إعطاء الرجل أكثر من المرأة إنما يكون بسبب ما ألزم الإسلام به الرجل من أمور النفقة الكاملة على الزوجة والأولاد على خلاف المرأة التي لم يلزمها الإسلام حتى بالنفقة على نفسها فكل ذلك من واجبات الرجل، ومن أجل ذلك فقد

---

[١]- القاموس الفقهي: سعدي أبو جيب ، دار الفكر. دمشق – سورية ، ط:٢/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص:٢٧٣.

[٢]- موقع الحرة الإلكتروني على شبكة الأنترنت، أطلعت عليه في٢٠٢٤/٨/١٨.
https://www.alhurra.com

[٣]- عالم اثار ومؤرخ عرف باهتمامه بالإثار والتأريخ الاسلامي، ولد في باريس وتلقى تعليمه ثم التحق بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية، ومن ثم درس الحقوق وحصل على الليسانس، ثم سافر إلى مصر، ولما قامت الحرب العالمية الأولى التحق بجيش بلاده غير أنه أعفي من الخدمة بعد فترة قصير بسبب المرض، ثم عُين أستاذاً في المدرسة الوطنية للغات الشرقية، ثم سافر إلى القاهرة مرة أخرى وأسس فيها مجلة فرنسية سماها مجلة القاهرة، ثم عاد إلى فرنسا وتم تعيينه استاذاً حيث بقي في منصبه حتى تقاعده في عام ١٩٥٨م، له أعمال كثير من أهمها: الأثار الإسلامية وهي عبارة عن مجموعة مؤلفات تتناول الأثار الإسلامية، وكتاب: تاريخ مصر الإسلامية، وغير ذلك من أعمال التحقيق والترجمة. ينظر: موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي ، ص:٤٣٣-٤٣٧.

[٤]- مفتريات اليونسكو على الاسلام: محمد عبدالله السمان ، المختار الاسلامي للطباعة والنشر- القاهرة ، ط:١/ ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، ص: ٣٨.

كرمها الإسلام وطرح عنها حمل هذه الواجبات والقاها على الرجل فصارت بهذا أموالها تزداد وأموال الرجل تنقص فهذا هو العدل والإنصاف بين الذكر والأنثى[١].

فالإسلام هو نظام واقعي يأخذ بنظر الاعتبار الفطرة الإنسانية فهو لا يخرج عن إطارها، كما حدد لكل من الذكر والأنثى الطريق المناسب لهما، فيسير معهما بما يراعي ما فطرهما الله ﷻ، عليه، فيكلف الأنثى بقدر استطاعتها مراعاةً لقدرتها وينظر إلى الذكر مثل ذلك، فالإسلام ينظر إلى موضوع الذكر والانثى وقضية المساواة من منظور خاص فهو يساوي معهم حين تكون المساواة هي المنطق المطلوب ويفرق بينهم حين تكون التفرقة هي المنطق المطلوب[٢].

ومن أجل هذا فإن حكمة الإسلام هذه تخالف تطلعات أعداء الإسلام الذين يريدون للمرأة التحلل والعيش على الطريقة التي يحددها الغرب، ويريدونها أن تنافس الرجل في ميادين ليست مخصصة لها، وهذا ما أدى بالقمني وغيره إلى تنصيب أنفسهم مدافعين عن حقوق المرأة رافعين لواء الغرب في تناول الموضوعات الخاصة بحقوق المرأة، فنجد أن التدليس والكذب ليس بالغريب في كتابات القمني، فكل كتاباته تتسم بطابع النقد للدين والذي يخضع فيها للنزعة التأثرية بما قاله المستشرقون والعلمانيون، فهو في جانب حقوق المرأة يردد شبهات المستشرقين على طريقته غير أن هذا المنهج لا يعدو كونه مجرد ترديد للشبهة بطريقة أخرى، ومن خلال ما عرضناه من أقوال للقمني، وأقوال للمستشرقين نجد أن القمني كان له الأسلوب نفسه الذي أتبعه المستشرقون فيما يخص النظرة للمرأة وحقوقها في ظل الإسلام، فقد أشار القمني إلى المسائل ذاتها التي تطرق لها المستشرقين من خلال أتباع المنهج التشكيكي النقدي في إثارة الشبهات التي تخص مكانة المرأة، وادعاء تفضيل الإسلام الذكر على الأنثى، وعدم مساواتها بالذكر في كل الحقوق، وهذا كله كذب، وافتراء.

الجانب الثاني: والمتمثل في كون الإسلام قد كرم بني أدم دون تمييز، فالأحكام في الدنيا تقع على الذكر والأنثى على حد سواء، كما إنهم مشتركون في الجزاء والثواب في الأخرة أيضاً، من غير تفضيل لأحدهما على الأخر إلا بالعمل الصالح، فالجزاء على العمل واحداً سواءٌ كان فاعل العمل ذكراً أم أنثى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾[٣].

---

[١]- ينظر: موسوعة الفقه الإسلامي: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط:١/١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م ، كتاب الفرائض: ٤/٤٥٧.

[٢]- ينظر: شبهات حول الاسلام: محمد قطب ، دار الشروق- القاهرة ، ط:١٩/١٩٨٩م-١٤٠٩هـ ، ص: ١١٩.

[٣]- سورة آل عمران: من الآية:١٩٥.

أي: لا يضيع لأحد عندي عمل، رجلاً كان أو امرأة، حكم جميعكم حكم واحد منكم فيما أفعل بكم من مجازاتكم على أعمالكم وترك تضييعها لكم"[١].

وأن الآيات القرآنية لم تأتِ لتخاطب الذكر على أنه ذكر من جهة التكريم، بل إن الخطاب القرآني موحد أتجاه البشر على حد سواء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾[٢].

والمعنى: "فضلناهم بالعقل والنطق والتمييز"[٣]. فهل خصص الله ﷻ في هذا الفضل ذكر عن أنثى، فسياق الآية واضح وأن التفضيل يشمل بني أدم من غير تخصيص.

فمن خلال هذه الآيات يتبين دليل كذب القمني ومن خلفه من المعادين لهذا الدين بشأن تفضيل الله ﷻ الذكور على الاناث[٤]. وكذلك الأمر ينطبق على كلام المستشرقين والذي يُعتبر كذباً وافتراءً؛ كون الحقوق والواجبات لم تختلف بين الذكور والإناث إلا بناءً على اختلاف المركز لكل منهما فالمرأة إنسانة من بني أدم ولها حقوق وواجبات، وفضلاً عن حقوقها كإنسانة فإن لها حقوق إضافية أيضا باعتبارها زوجة أو أماً أو أختاً أو بنتاً، وهذه الاعتبارات كما أنها توجب لها حقوقاً فهي في الوقت ذاته تضع عليها واجبات، وكذا الحال بالنسبة للرجل، فإذا كان في الشريعة ما يعتبره أعداء الإسلام هو تفضيل للذكر على الأنثى فهم واهمون، فما هذا إلا مراعاة للمرأة عن أمور فيها إجهاد لها، ومن ذلك ما جعله الله حقا للأنثى وخص فيه الذكر دون الأنثى وهو النفقة فجعلها الله ﷻ على الذكر دون الأنثى، ومن الصور الأخرى هو أمر القتال الذي خصت به الشريعة الذكر دون الأنثى فهل يمكن اعتبار ذلك تفضيلا للذكر على الانثى؟، كما إن في الشريعة الإسلامية حالات كثيرة تكون فيها حقوق الأنثى في الميراث مساوية للذكر أو أكثر منه، وفي ذلك تفصيلات كثيرة يختص بها أهل الفقه، فلماذا لم يذكر القمني وجود هذه الحالات؟[٥].

○○○○○○○

---

[١]- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٥٣٥/١.

[٢]- سورة الإسراء: الآية: ٧٠.

[٣]- المصدر السابق: ١١٧/٣.

[٤]- ينظر: الإسلام أصوله ومبادؤه: محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط:١/ ١٤٢١هـ ، ص:٣٩.

[٥]- ينظر: المفصل في احكام المرأة والبيت المسلم: د. عبدالكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط:١٤١٣/١هـ - ١٩٩٣م ، ١٨٥/٤.

المطلب الخامس: موقف القمني من الحجاب والنقاب.

من أفضل الطاعات وأجل القربات التي تتقرب بها المرأة من ربها هو الستر والعفاف وهذا لا يتحقق بالقلب أو باللسان فقط بل لابد من شيء ملموس يعرف من خلال المظهر وهذا ما يتمثل بالستر والذي يعد الحجاب أحد أشكاله.

أولاً: مفهوم الحجاب والنقاب.

أ- تعريف الحجاب لغة واصطلاحاً.

١- لغة: "والحِجابُ، اسمٌ،: ما حَجَبْتَ به شيئاً عن شيءٍ"[١]. ومنه ما جاء في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾[٢].

بمعنى انه ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت، فيرى بعضنا بعضاً، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين[٣]. ويعرف أيضاً بأنه. "مأخوذ من (حجب) الحاء والجيم والباء أصل واحد، وهو المنع. يقال حجبته عن كذا، أي منعته"[٤]. ومنه ما جاء في القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾[٥].

فمعنى قوله ﷻ من وراء حجاب، أي هو الساتر الذي يحول دون النظر المباشر[٦].

٢- أما اصطلاحاً: فيعرف بانه: "ما تلبسه المرأة من الثياب لستر العورة عن الأجانب" [٧]. وفي تعريف آخر: "هو ستر المرأة جميع بدنها وزينتها، بما يمنع الأجانب عنها من رؤية شيء من بدنها أو زينتها التي تتزين بها، ويكون استتارها باللباس وبالبيوت"[٨].

---

[١]- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ت: ١٧٠هـ ، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت، باب الحاء والجيم والفاء ، ٨٦/٣، مادة:(حجب).

[٢]- سورة فصلت: الآية:٥.

[٣]- ينظر: تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٠.

[٤]- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، ١٤٣/٢، مادة:(حجب).

[٥]- سورة الأحزاب: من الآية:٥٣.

[٦]- ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل(تفسير الخازن): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١/ ١٤١٥هـ ، ٤٣٤/٣.

[٧]- معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت ، ط:١٤٠٨/٢هـ - ١٩٨٨م ، ص:١٧٤.

[٨]- حراسة الفضيلة: بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض ، ط:١١/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص:٢٦.

ب- تعريف النقاب لغة واصطلاحاً.

١- لغة: "والنِّقابُ: ما انتقبت به المرأة على محجرها. والنِّقبَةُ: ثوب كالإزار فيه تكة ليس بالنطاق، إنما النِّطاقُ محيط الطرفين. وانتَقَبَتِ المرأة نِقْبَةً من النِّقابِ"[١].

٢- أما اصطلاحاً: "النقاب: الخمار الذي يُشدُّ على الانف أَو تحت المحاجر، والانتقاب: لبس غطاء للوجه فيه نقبان على العينين تنظرُ المرأة منهما"[٢]. ومن خلال التعاريف التي أوردناها عن الحجاب والنقاب يتبين أن الحجاب والنقاب يشتركان في الغاية وهي الستر، أما من جانب الخصوص فإن النقاب يختص عن الحجاب بستر الوجه والكفين.

ثانياً: أقوال القمني والمستشرقين في الحجاب والنقاب.

أ- قول القمني في الحجاب والنقاب: إن من أبرز الموضوعات التي تخص المرأة والتي وردت في كتاباته موضوع الحجاب والنقاب. **فيقول:** "فإن كان النقاب فرضاً دينياً فلماذا يتركه المسلمون زمناً ليعودوا إليه في زمن آخر؟ وهو الأمر الذي لا يحدث مع فروض وأركان الإسلام الأخرى الثابتة ثبات الدين !! وهل لو كان من دين المسلمين حقاً وفعلاً وعن قناعة فلماذا لا يثبت ثبات الفروض الإسلامية الضرورية المعروفة؟ أم هو ليس من أصول الإسلام وأنه ظاهرة اجتماعية نسبية ذات علاقة بظروف المجتمع واقتصاده وسياسته، وأن هذه الظروف هي التي تؤثر في ظهوره واختفائه بقصد ورغبة من المجتمع مثله مثل سائر موديلات الملابس باختلاف الثقافات والأزمنة"[٣].

ب- أقوال بعض المستشرقين في الحجاب: ومن المستشرقين الذين تطرقوا في كلامهم عن الحجاب.

المستشرق: **ديفيد صموئيل (مرجليوث) (١٨٥٨م-١٩٤٠م)**[٤].

والذي **يقول:** إن عزلة المرأة وحجابها كانا سبباً رئيسياً في تعدد الزوجات من جهة وفشل كثير من العلاقات الزوجية وازدياد الطلاق من جهة اخرى[٥].

---

(١)- كتاب العين: الفراهيدي ١٨٠/٥، مادة:(نقب).

(٢)- نيل الأوطار: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ت: ١٢٥٠هـ ، تح: عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث، مصر ، ط:١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ٧/٥.

(٣)- انتكاسة المسلمين إلى الوثنية: سيد القمني: ص:٣٨٧.

(٤)- هو مستشرق انكليزي بدأ اهتمامه بالآداب الكلاسيكية مثل اليونانية واللاتينية اثناء دراسته في جامعة اوكسفورد، ومن ثم انتقل الى دراسة اللغات السامية عين استاذا في جامعة اوكسفورد سنة ١٨٨٩م ، وبعد تعيينه ازداد اهتمامه باللغة العربية فكتب بحثا عن اوراق البردي العربية ، وترجم قسما من تفسير البيضاوي الى اللغة الانكليزية، ونشر رسائل أبي العلاء المعري، وفي ١٩٠٥ بدأ بنشر دراسته عن الاسلام من خلال كتاب (محمد ونشأة الاسلام) . ينظر: موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي: ص:٥٤٦.

(5) - MOHAMMED: D.S.MARGOLIOUT, the knickerbocker press- london1905, p: 460.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد أقوالاً لبعض العلمانيين حظيت بتأييد القمني، والتي أظهروا فيها الأفكار الغربية في الدعوة إلى خلع الحجاب والنقاب.

ج- الدعوة إلى خلع الحجاب والنقاب من قبل بعض العلمانيين.

إن قضية الحجاب تمثل نقطة مهمة من النقاط التي أستغلها أعداء الاسلام في تشويه هذا الدين؛ من خلال ما أثاروه من شبهات وافتراءات والتي بدأت تتضح معالمها في الفترة التي تلت سقوط الخلافة العثمانية، فراح الغرب ينوعون طرق الاستهداف لهذا الدين تارة، ويجندون أناساً انقادوا لأفكارهم ولتنفيذ ما يريدون تارة أخرى، فليس القمني أول من تكلم عن الحجاب فقد سبقه من المتأثرين بالفكر الغربي كثير، أمثال "**هدى شعراوي**"[١]. والتي تأثرت بالثقافة الفرنسية فأرادت إسقاط الثقافة الفرنسية على الشعوب العربية، فكانت رائدة الدعوة إلى تحرير المرأة وخلع الحجاب وقد بدأت بدعوتها عن طريق اللقاءات والحلقات التي كانت تجمعها بالنساء والرجال من صحفيين وكتاب لتسهيل نشر هذه الأفكار وأقناع النساء بأفكارها فكان لها صدى عند النساء في ذلك الوقت، وتعتبر هدى شعراوي أول من خلعت الحجاب وخرجت سافرة[٢].

وهذا ما أعتبره القمني مفخرة وكأنه إنجاز كبير قامت به هدى الشعراوي، **فيقول:** إن من أهم مفاخر الثورة المصرية هو ما قامت به سيدة الطهر والعفاف هدى الشعراوي ومن معها من النساء المصريات من خلع الحجاب بقرار جماعي واعي والذي أتاح للنساء الخاضعات للتميز العنصري من قبل الرجال إلى خلع الحجاب والنزول إلى الشارع ومنافسة الرجال في كل الميادين، فلم ينتهي الإسلام بخلع النساء للحجاب لأن الحجاب لا يعتبر عنصراً جوهرياً في الإسلام[٣].

وتهدف الحملة إلى إسقاط الحجاب في صورة نمطية ذات نتائج سلبية متعددة، تنتمي إلى سياق فكري تتزايد فيه هجمات من ينحرفون عن الحق ويتجاهلون الحقيقة الدينية والشرعية، وتحت ستار البحث الموضوعي والنقد الواعي، حيث استخدم هؤلاء ألسنتهم الشريرة للتشهير والطعن بالنساء المسلمات، الملتزمات بأحكام الشريعة، واليوم يتولى الإعلام العربي فعلياً مهمة نشر هذا الفكر الفاسد

---

[١]- هدى بنت محمد سلطان " باشا " الشعراوي (١٢٩٦ - ١٣٦٧ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٤٧ م) ، ولدت في مصر درست القرآن ومن ثم تلقت مبادئ العلوم واللغتين التركية والفرنسية، تزوجت من علي باشا الشعراوي ولما كانت ثورة مصر على الإنجليز سنة ١٩١٩ تقدمت المظاهرات النسائية سافرة، فكانت أول مصرية مسلمة رفعت الحجاب وفي سنة ١٩٢٣ ألفت جمعية " الاتحاد النسائي " بمصر وعقدت المؤتمر النسائي الشرقي (سنة ١٩٣٨) والمؤتمر النسائي العربيّ (سنة ١٩٤٤) وحضرت عدة مؤتمرات نسائية عالمية. ينظر: الأعلام: للزركلي، ٧٩/٨.

[٢]- ينظر: واقعنا المعاصر: محمد قطب، دار الشرق للطباعة- مصر ، ط:١٤١٨/١هـ - ١٩٩٧م ، ص:٢٤٢.

[٣]- ينظر: مقالة القمني في موقع الحوار المتمدن، العدد: ٢٨٥٧ - ٢٠٠٩ / ١٢ / ١٣.
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=194931

وتمزيق جسد الوطن من خلال إعلان الحياد الواضح عن وجوب الحجاب، وبدأت القنوات الفضائية تبث الإساءات التي تصور المحجبات أبشع تصوير؛ وذلك من خلال إظهار المرأة المحجبة والتي تلتزم بتطبيق تعاليم الدين بأنها معقدة، وأن الحجاب يعتبر حجاب عن العقل وغيره من التشبيهات، وأصبحت مكانة المرأة ترتفع كلّما تقلّصت مساحة القماش الذي تلبسه.. وكلّما غطّت المرأة من جسدها شبرًا، كلّما فقدت من قيمتها قدرًا.. وهكذا هي العلاقة التي تكون بين اللحم المبذول و القدر المحفوظ.. وصار هذا بمثابة قانون، فكلّما أبدت المرأة من نفسها جزءًا كلّما زاد لها هذا من الوعي مَدًا، وهكذا ترسخت صورة الحجاب الإسلامي المشوهة في أذهان المتلقفين لكل الأفكار الفاسدة التي تطرح عليهم، وهذا أمر واقع في الغرب والشرق على السواء، فقد أتخذ مدعي تحرير المرأة أسلوب استثارة عواطف النساء بشعارات زائفة مثل الحرية والتحرير وغيرها من الشعارات[١].

ثالثاً: ولرد شبهات هؤلاء على حجاب المرأة: إن الحملة التي قادها المستشرقون، ومن تأثر بأفكارهم من العلمانيين أمثال القمني ومن معه من خلال بيان شرعية الحجاب، ومضار تركه.

أ- أدلة شرعية للحجاب في الإسلام.

لقد تميزت الشريعة الإسلامية بالدعوة إلى الستر وما يرتبط به من حجاب ونقاب، وهذا ما نجده واضحاً من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ثم جاءت أقوال العلماء في ظل النصوص الشرعية واضحة في هذه المسألة.

١- من القرآن الكريم.

* قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾[٢].

"وقوله ويحفظن فروجهن: قال "**أبو العالية**"[٣]: كل آيَة نزلت فِي القرآن يُذْكَرُ فِيهَا حِفْظ الْفُرُوجِ فهو مِنَ الزنا إلا هذه الآية وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ أن لا يراها أحد، وقوله تعالى: ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْها: أَي لَا يُظْهِرْنَ شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابن مسعودٍ: كالرداء والثياب

---

[١]- ينظر: الحجاب شريعة الله في الإسلام واليهودية والنصرانية ، سامي عامري ، المؤسسة العلمية العالمية الدعوية، د.ط، ٢٠١٠م، ص: ١٤-١٥.

[٢]- سورة النور: من الآية:٣١.

[٣]- رفيع بن مهران البصري أبو العالية الرياحي التابعي كان إماما في القرآن والتفسير والعلم والعمل مَاتَ سنة :٩٠هـ . ينظر: طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنه وي ، ت:١١هـ ، تح: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم – السعودية ، ط:١٤١٧/١هـ- ١٩٩٧م ، ص:٩ ، وينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠٧/٤.

يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المنفعة الَّتي تُجَلِّلُ ثيابها وما يبدو من أَسَافِلِ الثِّيَابِ. فَلَا حرج عليها فيه لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه"[١].

وقد خاطب الله ﷻ نبيه الكريم في الدعوة إلى الحجاب حيث البداية كانت من زوجات النبي.

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [٢].

خاطب الله ﷻ نبيه الكريم ان يأمر النساء بستر الشعر والوجه وذلك لكي يكون هذا تمييز للنساء حتى لا يتعرض لهن فاسق بأذى من قول، اما ما يخص الادناء الذي فرضه الله على النساء وهو أن يتم تغطية النساء لوجوههن ورؤوسهن ولا يظهر منها إلا العين[٣].

٢- من السنة النبوية.

*عن "(أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْحِجَابِ، لَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَسْأَلُنِي عَنْهُ، قَالَ أَنَسٌ: ﷺ «أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرُوسًا بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ»، قَالَ: «وَكَانَ تَزَوَّجَهَا بِالْمَدِينَةِ، فَدَعَا النَّاسَ لِلطَّعَامِ بَعْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسَ مَعَهُ رِجَالٌ بَعْدَ مَا قَامَ الْقَوْمُ، حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَشَى، فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ بَابَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، ثُمَّ ظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا، فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ، فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ مَكَانَهُمْ، فَرَجَعَ فَرَجَعْتُ الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ حُجْرَةَ عَائِشَةَ، فَرَجَعَ فَرَجَعْتُ، فَإِذَا هُمْ قَدْ قَامُوا، فَضَرَبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِالسِّتْرِ، وَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ)"[٤].

* وفي حديث آخر تظهر دعوة الرسولﷺ واضحة إلى وجوب ستر النساء أنفسهن، "(عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ)"[٥].

"(المرأة عورة والمعنى أنه يستقبح تبرزها وظهورها للرجل والعورة سوأة الإنسان وكل ما يستحي منه؟ كنى بها عن وجوب الاستتار في حقها"[٦].

---

[١]- تفسير ابن كثير: ٤٥/٦.
[٢]- سورة الأحزاب: الآية:٥٩.
[٣]- ينظر تفسير الطبري: ١٨٠/١٩.
[٤]- صحيح مسلم: كتاب: النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، حديث رقم: ١٤٢٨، ١٠٥٠/٢.
[٥]- الجامع الكبير - سنن الترمذي: كتاب: الرضاع، الباب:١٨ ، حديث رقم:١١٧٣، ٤٦٧/٢ ، تعليق الترمذي(هذا حديث حسن صحيح غريب).
[٦]- فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ت: ١٠٣١هـ ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط:١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٣٤٦/٦ .

٣- من أقوال العلماء.

القول الأول: هو للإمام "الجويني"[١] والذي وجه: "باتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات، وبأن النظر مظنة الفتنة، وهو محرك للشهوة، فاللائق بمحاسن الشرع، سد الباب فيه، والإعراض عن تفاصيل الأحوال، كالخلوة بالأجنبية"[٢].

القول الثاني: هو قول "**ابن رسلان**"[٣]: على إن المسلمون متفقون على منع النساء من الخروج من غير حجاب خصوصاً عند كثرة الفاسدين والفاسقين[٤].

وهذا ما يعد اتفاقاً بين المسلمين على وجوب تغطية المرأة لكامل جسدها على الرغم من وجود خلاف بينهم في مسألة تغطية الوجه والكفين.

ب- مضار ترك الحجاب.

فالمعلوم أن الشريعة الإسلامية حثت على فعل كل أمر فيه مصلحة للمسلمين وتجنب كل مفسدة وإذا وضعنا الحجاب على ميزان المصلحة والمفسدة لابد أن ترجح كفة المصلحة على الأخرى، فالمصلحة من الحجاب قد تبينت من خلال ما أسلفناه من أدلة، بقي أن نتعرف على مفسدة ترك الحجاب، فمن المعلوم أن ترك الستر يؤدي إلى مضار كثيرة تفسد على المسلمين دينهم ودنياهم ومن هذه المضار.

١- **الفتنة:** لاشك أن المرأة اذا لم تلتزم الحجاب وأظهرت مفاتنها، فقد أصبحت فاتنة مفتنة فتكون داعية للشر والفساد من خلال افتتان الرجال بها لأن مفتاح أبواب الفواحش هو النظر الذي يتركز على الاشياء الملفتة للانتباه[٥] .

---

[١]- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: ٤١٩ - ٤٧٨ هـ ، أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعيّ، بنى له الوزير نظام الملك " المدرسة النظامية " ، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. له مصنفات كثيرة، منها " غياث الأمم والتياث الظلم ، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية. ينظر: الأعلام: للزركلي ، ١٦٠/٤ ، وينظر: طبقات الشافعيين: ٤٦٦/١ ، و سير أعلام النبلاء: ٤٦٨/١٨.

[٢]- روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت: ٦٧٦هـ ، تح: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان ، ط:٣/ ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ٢١/٧ .

[٣]- أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن أرسلان، أبو العباس، شهاب الدين، الرملي(٧٧٣هـ - ٨٤٤هـ)، ويعرف بابن رسلان: عالم بالفقه وأصوله والعربية، مشارك في الحديث والتفسير والكلام وغيرها، زاهد، من كبار الشافعية. ولد بالرملة (بفلسطين) وبها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى بيت المقدس وأخذ عن جماعة من الأعلام، واشتهر، فكثرت تلامذته ومريدوه وقصده الناس من أنحاء فلسطين وتوفي بالقدس. ينظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ، ط:٣/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، ٣٤/١. وينظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ص:٣٥٣.

[٤]- ينظر: نيل الأوطار: الشوكاني، ١٣٧/٦.

[٥]- ينظر: إظهار الحق والصواب في حكم الحجاب : د. سعيد بن على بن وهف القحطاني ، مطبعة سفير، الرياض، د.ط، د.ت ، ص:٢٠٨.

٢- **زوال الحياء:** فإن خلع الحجاب وخروج المرأة كاشفة شعرها واجزاء من جسدها يعتبر انسلاخ عن الفطرة التي فطر الله ﷻ النساء عليها وهي فطرة الستر والعفاف وبالتالي يضعف حياء المرأة وهذا ما يتسبب في ضعف إيمانها[١].

٣- **الاستدراج:** لقد استخدم أعداء الإسلام لغة الدعوة إلى تحرير المرأة بهدف استدراج النساء إلى اتباع دعوتهم الخبيثة، فأن المرأة اذا وجدت أن لها الحق في الكشف عن جسدها وأن لها الحق في التزين بكل أنواع الزينة أمام أي أحد، كان ذلك داعيا لقلة الحياء وعدم الخجل في مزاحمة الرجال والاختلاط معهم ويبدأ التسهيل التدريجي إلى أن تصل إلى المحظور[٢].

ومما مضى يتبين أن الحجاب هو فريضة واجبة لا يمكن تركها وهي ليست بشيء جديد في الدين الإسلامي، كما إن الحجاب لا يعتبر تقليداً من قبل المسلمين للأمم التي قبلهم فإن حال النساء قبل الإسلام قد بيناه؛ وذلك عند فرض الحجاب الذي هو تمييز لنساء المسلمين عن نساء الجاهلية ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى بشأن موعظة النساء والحث على التستر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [٣].

"{وقرن في بيوتكن} أمرٌ لهنَّ من الوقار والقرار جميعاً {ولا تبرجن} ولا تُظهرن المحاسن كما كان يفعله أهل الجاهليَّة"[٤]، ولهذا فالحجاب يعتبر عبادة وليس عادة.

ooooooo

---

[١]- ينظر: إظهار الحق والصواب في حكم الحجاب : د. سعيد بن على بن وهف القحطاني:ص:٢٠٨.

[٢]- المصدر نفسه:ص:٢٠٨.

[٣]- سورة الأحزاب: من الآية:٣٣.

[٤]- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت ، ط:١/ ١٤١٥هـ ، ص:٨٦٥.

المبحث الثالث: النزعة الاستشراقية للقمني في تعامله مع بعض الاتجاهات الفكرية.

لقد برزت بعض مفاهيم الاتجاهات الفكرية بشكل واضح في كتابات القمني، وذلك من خلال مطالبته بتبني هذه المفاهيم أسوةً بالغرب.

المطلب الاول: الحرية.

مصطلح الحرية من المصطلحات التي شهدت انتشاراً ملحوظاً في السنوات الأخيرة، فالحرية هي صفة الإنسان الذي يكون غير مكره أو خاضعاً لسلطة غيره وهذا المعنى هو المعروف سابقاً أما الأن فإن المطالبين بالحرية ليسوا عبيداً أو مملوكين من قبل أخرين، إذاً فهم يقصدون معنى مختلف، ولتوضيح الفكرة لابد من تعريف لمصطلح الحرية .

أولاً: تعريفها.

أ- **في اللغة:** "الحاء والراء في المضاعف له أصلان: فالأوّل ما خالف العُبودِيّة وبَرئ من العيب والنَّقص، ويقال حَرَّ الرّجلُ يَحَرُّ من الحُرِّيّة، والثاني خلاف البَرْد"[١].

وفي تعريف آخر، "والحُرُّ بالضم نقيض العبد والجمع أَحْرَارٌ، والحُرَّة نقيض الأَمة والجمع حَرائِرُ، وحَرَّرَهُ أَعتقه، يقال حَرَّ العبدُ يَحَرُّ حَرارَةً بالفتح أَي صار حُرّاً"[٢].

ب- أما في الاصطلاح: فقد تنوعت تعريفات الحرية عند العرب قديماً وحديثاً، ففي المعنى القديم: "جاء لفظ الحرية في كلام العرب مطلقاً على معنيين أحدهما ناشئ عن الآخر، المعنى الأول ضد العبودية: وهي أن يكون تصرّف الشخص العاقل في شؤونه بالأصالة تصرّفاً غير متوقّف على رضا أحد آخر ويقابل الحرية بهذا المعنى العبوديةُ، المعنى الثاني ناشئ عن الأول بطريقة المجاز في الاستعمال: وهو تمكّن الشخص من التصرّف في نفسه وشؤونه كما يشاء دون معارض. ويقابل هذا المعنى الضربُ على اليد، أو اعتقالُ التصرّف"[٣].

---

[١]- معجم مقاييس اللغة: أبن الفارس: ٦/٢-٧، (مادة: حر).
[٢]- لسان العرب: أبن منظور: ٨٢٩/٢،(مادة: حرر).
[٣]- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د.ط، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ٢٧١/٣-٢٧٢.

ويراد بالمعنى الثاني، "أن يُجعل الشخصُ الذي يسوء تصرُّفهُ في المال، لعجز، بمنزلة العبد في وضعه تحت إرادة غيره في تصرّفه، وكلا هذين المعنيين للحريَّة جاء مراداً للشريعة إذ كلاهما ناشئ عن الفطرة، وإذ كلاهما يتحقّق فيه معنى المساواة التي تقرّر أنها من مقاصد الشريعة"[١].

هذا من ناحية التعريف القديم.

أما من الناحية المعاصرة فتعرف الحرية بأنها: "التي يقررها الشارع للأفراد، بحيث تجعلهم قادرين على أداء واجباتهم واستيفاء حقوقهم، واختيار ما يجلب المصلحة ويدرأ المفسدة دون إلحاق الضرر بالآخرين"[٢]. هذه تعريفات المسلمين

ثانياً: مفهوم الحرية عند الغرب:

للغرب نظرة خاصة لمعنى الحرية وقد عرفوها بأنها: "هي ملكة القيام بكل شيء من أجل السعادة الفردية دون أن يضر ذلك بسعادة الآخرين"[٣]. وعرفوها ايضاً بانها: "كل أنسان، نفترض فيه أنه خُلق عاقلاً يستطيع حُسن التصرف، يملك حقا لا يقبل التفويت في أن يعيش مستقلاً عن الآخرين في كل ما يتعلق بذاته وان ينظم كما يشاء حياته الشخصية"[٤]. ولقد شهد مفهوم الحرية عند الغرب تغيراً واضحاً وهذا ما انعكس على تنوع التعاريف حتى وصلوا إلى التعريف الواضح بالنسبة لهم وهو الانطلاق بلا قيد والتحرر من كل رقابة، وحتى لو كانت هذه الرقابة نابعة من نفسه ومن ضميره فلتدمر، إذا لزم الأمر وليدمر معها ضميره، حتى لا يقف شيء في وجه استمتاعه بالحياة، وهذا يعني ترك الإنسان بمفرده يفعل ما يريد أن يفعل ويترك ما يريد أن يترك، وما إلى ذلك دون قيود أو رقابة، ويجب على المجتمع أن يعترف بهذا الحق وعلى الحكومة أن تحافظ على هذه الحرية وتحميها؛ لأنه لا يوجد دين ولا أخلاق يمكنها أن تحكم النفوس وتقيدها، وتحيي مشاعرها وتعمل على إثارة روح النخوة والغيرة فيها، وليس هناك مثل أعلى أو فضيلة تقاس بها الأفعال، سواء كانت خيراً أو شراً، وليس هناك حياء يردع الإثم والشر الظاهر، فأصبحت الحرية عندهم أن تفعل ما تشاء، وتعتقد ما تشاء وتأكل ما تشاء، وتلبس ما تشاء وتنام مع من تشاء[٥].

---

[١]- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، ٣/٢٧١-٢٧٢.

[٢]- الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الاسلامية: رحيل محمد غرايبة ، دار المنار للنشر والتوزيع – الاردن ، ط:١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص:٤١.

[٣]- فضاءات الحرية : سلطان بن عبدالرحمن العميري ، المركز العربي للدراسات الانسانية ، ط:٢،د.ت، ص:٤٧.

[٤]- مفهوم الحرية: عبدالله العمري ، المركز الثقافي العربي – بيروت ، ط:٥/ ١٩٩٣م ، ص:٤٤.

[٥]- ينظر: أسس الحرية في الفكر الغربي: ناصر بن سعيد بن سيف ، شبكة الألوكة ، ط:١/ ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م ، ص: ١٣-١٤ .

ثالثاً: أقسام الحرية.

صنفت الحرية في العصر الحديث وحسب المفهوم العام إلى صنفين.

أ- **الحريات الفردية:** وتسمى أيضاً الحريات الشخصية، وهي التي تتصل بذات الفرد وفي نفسه حيث تضعف فيها الصفة الجماعية وتشمل حرية الأفكار إذا بقيت في مستوى القناعة الذاتية، واختيار طعامه ومسكنه وملابسه ومكان إقامته وما إلى ذلك[١].

ب- **الصنف الثاني: الحريات الجماعية:** وتسمى أيضاً الحريات العامة، وتتمثل بكل ما يتعلق بحياة الجماعة والحياة العامة، وتشمل الحرية في التعبير ونشر الأفكار، وحرية الانتظام الحزبي، وحرية الاختيار والتي يقصد بها اختيار الحكومات، وقد جاءت الحرية الدينية بجمع منظم لهذين النوعين من الحريات[٢].

رابعاً: نظرة القمني للحرية.

أ- لقد سلك القمني منهجاً خاصاً في التعامل مع موضوع الحرية، باعتبارها جانياً عقدياً وذلك من خلال **قوله بأن:** "مساحة الإيمان هي مساحة الحرية الخالصة التي أعطاها ربنا حين قال (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[٣] وهذا يؤكد أن الإنسان حر ومساحة الدين مساحة خاصة وحرة فمن العيب أن نتكلم بها"[٤]. وعلى هذا فأنه يعتبر الدين مرتبط بالحرية فكل إنسان له الحرية بأن يختار الدين الذي يناسبه شخصياً!، وبالنظر إلى هذا الطرح من قبل القمني نجده يدعو إلى الحرية الكاملة في التدين من غير قيود، ومن أجل هذا أنتقد القمني مسألة تقييد الحرية الدينية.

ب- ولقد تكلم أيضاً من خلال تزييفه للحقائق بمنهج تشكيكي نقدي حول عدالة الإسلام والمتمثلة بالرسولﷺ والخلفاء الراشدونﷺ والهدف هو إثارة الشكوك حول تعامل الإسلام مع الحريات، وخير دليل على ذلك أن القمني لم يدخر جهداً في كل مرة من الهجوم على الخلفاءﷺ وتوجيه التهم لهم زوراً وبهتاناً، ومن ذلك ما كتبه عن خلافة، أبي بكر الصديقﷺ **فيقول:** "فالخليفة الذي قَبِل من الأعرابي قوله أن يقوِّمه بسيفه، هو من قوَّم الجزيرة كلها بسيفه، فقتل أهلها شر قتلة؛ قتل من

---

[١]- ينظر: الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها: أ. د. عبدالمجيد النجار ، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي ، الدورة التاسعة عشر- الامارات العربية المتحدة ، د.ط، د.ت ص:٣.

[٢]- ينظر: المصدر نفسه: ص:٣.

[٣]- سورة الكهف: من الآية: ٢٩.

[٤]- لقاء تلفزيوني لسيد القمني على اليوتيوب اطلعت عليه في ٢٠٢٤/٩/٥:
https://m.youtube.com/watch?v=tApOxzxwdT0

اعترضوا على خلافته وشَكوا في شرعية حكمه وصحة بيعته، وقتل من قرَّر ترك الإسلام إلى دين قومه؛ فأمر برمي الجميع من شواهق الجبال، وتنكيسهم في الآبار، وحرقهم بالنار وأخذ الأطفال والنساء والثروات غنيمةً للمسلمين المخالفين لحكم أبي بكر؛ وهو ما دوَّنته كتب السير والأخبار الإسلامية على اتفاقٍ"[١].

خامساً: أقوال بعض المستشرقين في الحرية الدينية.

لقد كانت دعوة القمني للحرية مشابهة لما دعا له المستشرقين فمن المستشرقين الذين تناولوا موضوع الحرية الدينية في مؤلفاتهم هو المستشرق برنارد لويس، الذي **يقول:** "فكان العبد والمرأة والكافر يخضعون لقيود قانونية واجتماعية، لا هوادة في تنفيذها، ويمتد تأثيرها إلى كل جانب تقريباً من جوانب حياتهم اليومية. وكانت هذه القيود تعتبر من أسس بناء المجتمع الإسلامي، يؤيدها التراث الديني، والسنة والحديث، والتاريخ الكلاسيكي للمجتمع الإسلامي"[٢].

سادساً: الرد.

وللرد على مسألة تقييد الحرية الدينية في الإسلام، لابد من بيان معناها في الإسلام.

أ- الجانب الأول: معنى الحرية الدينية في الإسلام.

الحرية الدينية: "تعني اختيار الإنسان لدين يعتنقه ويؤمن به بناء على اقتناع تام ونظر بكامل أرادته دون أكراه أو جبر من أحد"[٣]. فمفهوم الحرية الدينية في الإسلام ينبع من حقيقة الإسلام الصحيح، فهو يحرر الفرد والمجتمع من كافة المخاوف المادية والمعنوية، حتى يكون الذين تحت ظله كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، ومن المعلوم أن المسلمين يقع على عاتقهم واجب نشر الدعوة، وهذا ما سار عليه الرسول ﷺ من خلال أرسال الوفود إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وبعد أن جوبهت هذه الدعوة بالرفض كان لابد من الانتقال إلى وضع آخر وهو القتال في سبيل نشر الدين الإسلامي، فالجهاد في سبيل الله تعالى ليس إرغام الناس على اعتناق الإسلام، ولا هو استعمار الناس ونهبهم واستغلال ثرواتهم واستعباد أفرادهم وإذلالهم، بل هو واجب لنفع البشرية،

---

[١]- الدولة المسلمة للخلف در: سيد القمني، مؤسسة هنداوي-٢٠٢٠م، ص:١٠.
[٢]- أين الخطأ: برنارد لويس: ترجمة: محمد عناني ، إصدارات سطور، ط:١/ ٢٠٠٣م، ص:١٢٤-١٢٥.
[٣]- الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام: وصفي عاشور أبو زيد ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط:١/١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، ص:٣٢.

ولصالح المجتمع ولن يتم ذلك النفع إلا بإزالة الحواجز والعقبات لتمهيد الطريق أمام التوحيد وعبادة الله ﷻ وتكوين مجتمع صالح وعادل، وهذا يجمع الناس على دعوة الإسلام[١].

والواقع أن أعمال الفاتحين المسلمين لا تدع مجالاً للشك في أن المسلمين لم يُكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام، بل سارع الناس لاعتناقه لما لمسوه من نعمة الإسلام، ولما لمسوه في الفاتحين من أخلاق، وهكذا نجد المسلمين قد تركوا للناس حريتهم الدينة وأنقذوهم من سطوة بعظهم على بعض[٢]. فلم يأمر رسول الله ﷺ و الخلفاءﷺ من بعده بقتال غير المقاتل فقد عاش النصارى تحت مظلة الحكم الإسلامي سنين طويلة وكان لهم من الحقوق ما لغيرهم، وعليهم واجبات منها دفع الأموال للدولة الإسلامية مقابل حمايتهم وحماية أموالهم، والذي لاشك فيه أن الحقيقة هي خلاف ما أدعى القمني على ابي بكر الصديق ﷺ؛ لأن القتال لم يحدث بسبب أنهم رفضوا خلافة أبي بكرﷺ بل أن السبب كان ردتهم عن الإسلام "والمرتد هو الذي رجع عن دين الاسلام إلى الكفر سواء بالقول أو الفعل"[٣].

فبعد وفاة رسول الله ﷺ عظُم الخطب، واشتد الوضع في المدينة، وظهر النفاق، وارتد بعض العرب، ورفض آخرون دفع الزكاة، وفيما عدا ذلك فلا مكان لصلاة الجمعة في أي بلد، سوى مكة والمدينة، وعندما حدثت هذه الأمور، نصح كثير من الناس الصديق بعدم خروج جيش أسامة ﷺ؛ لأنه يحتاج إليه في أشياء أكثر أهمية فرفض، ولقد كان من جراء هذه الردة خروج أناس ادعو النبوة طمعاً في مكاسب دنيوية فكان لابد من معالجة هذا الإمر بكل حزم، وهذا ما قام به أبو بكرﷺ فلو ترك أمر الردة لما بقي من الإسلام شيء[٤].

فليس الأمر مثلما صوره القمني بأنه قتال من لم يَرضَ بخلافة أبي بكرﷺ إنما هو حرب أناس خانوا ما عاهدوا الله ﷻ، ورسولهﷺ عليه، وأرادوا إرجاع الناس إلى الضلالة بعد أن هداهم الله تعالى فهل من المعقول أن يترك هؤلاء في وقت حرج يفعلون ما يريدون بدعوى الحرية؟، فأمر قتالهم مسألة دينية واجبة في دين الإسلام، وليست سياسية كما أدعى القمني من أن سبب القتال هو رفضهم

---

[١]- ينظر: انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين: جميل عبد الله محمد المصري ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط:٢١/ عدد: ٨١-٨٢/ ١٤٠٩هـ ، ص: ٧٥-٧٦.

[٢]- ينظر: المصدر نفسه ، ص: ٩٨.

[٣]- ينظر: المغني: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ) ، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو ، عالم الكتب، الرياض – السعودية ، ط:٣/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ٢٦٤/١٢.

[٤]- ينظر: البداية والنهاية: ابن كثير ، ٣١١/٦.

خلافة أبي بكر الصديقﷺ، وللعلم أن قتال المرتدين واجب في دين الإسلام فقد أجمع المسلمون على إن العبد أذا ارتد وطُلِبَ منه التوبة ولم يتب قُتل وليس في ذلك خلاف، وحكم المرتد لا ينطبق إلا على المسلم الذي يترك الإسلام وليس على أتباع الديانات الأخرى[١].

كما إن الحقيقة هي أن أبا بكرﷺ قد أوصى جيش اسامةﷺ، وصايا ومن ضمنها قال لهم وسوف تمرون على أقوام قد عزلوا أنفسهم في "الصوامع"[٢] فدعوهم وما عزلوا أنفسهم له[٣]. وكان هذا الموقف من أبي بكرﷺ خير دليل في السير على سنة رسول الله ﷺ، الذي كان يوصي قادة الجيش **بقوله:** "(اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ)"[٤].

ب- الجانب الثاني: ضوابط الحرية الدينية.

لقد انتهجت الشريعة الإسلامية منهج يكفل الحرية الدينية، غير أن هذا لا يعني أن تكون هذه الحرية مطلقة من غير ضوابط كما يريدها أعداء الإسلام، كون الحرية الدينية لها أثار تتعدى الفرد نفسه، وهذا يدعوا إلى ضرورة وجود ضوابط لهذه الحريات، ومن أهم هذه الضوابط.

١- منع الغواية: ومعنى ذلك أن لا تكون الحرية الدينية تسير عبر طريق التغرير بالناس من خلال استعمال أدوات خارجة عن موضوع المعتقد الديني وهو ما يؤدي إلى انتشار هذا المعتقد ولكن ليس بفعل قوة تأثيره بل بفعل أمور أخرى والتي هي تشمل المغريات المادية أو تحقيق شهوات بأسلوب المقايضة، واستغلال الضعفاء والجهلاء من خلال إصدار خطابات لهم لا يعرفون معناها، وما يعد من أساليب الخداع والإغواء الإعلامي من خلال ما تنتجه بعض وسائل الإعلام للأطفال من برامج متضمنة مسائل اعتقادية عن طريق علامات ترسخ تلك المسائل في عقولهم مستغلين عدم قدرتهم على التمييز بينها والحكم عليها، وقد يتعدى هذا الأمر الأطفال ليصل إلى عامة الناس[٥].

---

[١]- ينظر: الإجماع: محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر (٢٤٢هـ/ ٣١٨ هـ) ، تح: أحمد بن محمد حنيف ، مكتبة الفرقان- الامارات ، ط:٢/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص:١٤٧.

[٢]- بيت يجلس فيه عباد النصارى ينقطعون فيه للعبادة: معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي ، ص: ٢٧٨.

[٣]- ينظر: تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) ، تح: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ٢/٥٠

[٤]- صحيح مسلم : كتاب: الجهاد السير ، باب: باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، حديث رقم:١٧٣١، ١٣٥٧/٣.

[٥]- ينظر: الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها: أ. د. عبدالمجيد النجار ، ص: ٢٤.

٢- **تكافؤ الفرص:** وهو أن يكون لكل صاحب معتقد حق في عرض معتقده على حسب ما شرعه الإسلام من حرية في ذلك، بحيث يكون الجميع متساوين في إمكانيات العرض، ولا يقتصر الأمر على فئة معينه وتجاهل الأخرين كما يحدث اليوم من تمكين أصحاب بعض المعتقدات على حساب تجاهل أو حتى محاربة الأخرين[١].

٣- **الأمانة في العرض:** وذلك من خلال عرض الشخص لمعتقده بأمانة من غير تزييف أو غموض، ويدخل من ضمن هذه الدائرة حرية عرض المعتقد ودراسته من قبل غير المعتقدين به، واليوم يبدو واضحاً خيانة الأمانة في العرض من خلال ما يقوم به بعض الدارسين من غير المسلمين للدين الإسلامي وعرضه على عامتهم بطريقه لا تبقي من هذا الدين سوى أسمه، وهذا واضح من خلال منهج الكثير من المستشرقين والعلمانيين في دراستهم للدين الإسلامي[٢].

٤- **احترام المشاعر الدينية:** وهذا ما يعد من أساسيات الحرية الدينية، فمن غير المقبول تناول المعتقدات بشيء يجرح حرمتها في قلوب أتباعها، ويشمل ذلك السباب والتحقير واعتداء على الرموز الدينية، عن طريق القذف والشتم كون هذا الفعل يؤدي إلى معاداة للدين، ولقد أفتقد الغرب الذي يدعي مراعاته للحرية الدينية إلى خاصية احترام المشاعر الدينية، فتحت ذريعة الحرية المطلقة عندهم راحوا يعتدون على مساجد المسلمين في ديارهم بل قد ازداد طغيانهم عندما استهزئوا بالنبي محمدﷺ من خلال الرسوم المسيئة لشخص الرسول الكريم من غير النظر إلى مشاعر المسلمين فأي حرية هذه التي ينادون بها[٣].

فالحرية الدينية لابد من أن تكون منضبطة بضوابط ولا تكون هذه الحرية مطلقة لكي لا تقع في مغالطات تكون سبب في الخلافات.

ooooooo

---

[١]- ينظر: الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها: أ. د. عبدالمجيد النجار ، ص: ٢٤إلى ٣٠.

[٢]- ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٤إلى٣٠.

[٣]- ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٤إلى٣٠.

المطلب الثاني: مفهوم الديمقراطية.

أتبع القمني منهجاً في البحث بقضايا الإسلام يعتمد فيه على إثارة أمور في الدين الإسلامي بطرق غير مباشرة، ومن ثم يكون من خلالها شبهة يستهدف بها الإسلام بكونه ديناً غير ملم بمطالب الحياة المعاصرة، ومن هذا المنطلق تكلم القمني عن الديمقراطية التي أصبحت تمثل غاية المطلب للشعوب في العالم المعاصر.

أولاً: تعريف الديمقراطية.

أ: لغة: "إنها متحدرة من ديمقراطيا demokratia المركبة من كلمتي ديموس demos وكراتوس Kratos اللتين تعنيان شعب وحكم على التوالي (أي حكم الشعب) فالديمقراطية تعني صيغة للحكم تكون فيها السلطة للشعب بدلاً من الملوك والطبقات الأرستقراطية"[١].

ب: اصطلاحاً: "ومعناها سلطة الشعب، أو حكمه وهي شكل من أشكال السلطة يعلن رسمياً خضوع الأقلية لإرادة الأغلبية ويعترف بحرية المواطنين والمساواة بينهم"[٢].

وتعرف أيضاً: "هي حكم الشعب، حالة سياسية تكون فيها السيادة للمواطنين كافة، بلا تمييز على أساس المولد والثروة أو القدرة"[٣].

من خلال عرض التعاريف يظهر التباين في المفهوم، فلم يحظ هذا المصطلح بتعريف ثابت موحد بل أنه تنوع بحسب الرؤية الفكرية في المجتمع الغربي، غير أن الثابت في هذا المفهوم هو سلطة الشعب التي شملت المجال السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي.

ثانياً: تطور الفكر الديمقراطي.

فعندما اندلعت الثورة في أوروبا لم تكن مجهزة لاستبدال الجهل الذي كانت تتمرد عليه بالدين الحق وشريعة الله ﷻ العادلة التي حكمت البلاد من حولها من الشرق والغرب والجنوب، كونها استهدفت شريعة الله ﷻ ودينه من خلال الحروب الصليبية التي شنتها الكنيسة، وكانت حركة التغيير الديني والثقافي التي قام بها الإسلام حاجزاً بينهم وبين تبني الإسلام عقيدة وشريعة، فعادت

---

[١]- نماذج الديمقراطية: ديفد هيلد، ترجمة: فاضل جتكر، معهد الدراسات الاستراتيجية – العراق، ط:١/٢٠٠٦م ، ص:١٢.

[٢]- الموسوعة الفلسفية: روزنتال– يودين: ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت ، د.ط، د.ت، ص: ٢١٠.

[٣]- موسوعة لالاند الفلسفية: أندري لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت – باريس ، المجلد الاول، ط:٢/٢٠٠١م ، ٢٥٩/٣.

أوروبا إلى تراثها اليوناني والروماني لعلها تجد حلولاً لمشاكلها دون اللجوء إلى الإسلام، فاختارت الديمقراطية بديلاً للإقطاع، وكانت هناك عوامل كثيرة تؤثر على هذا الاختيار، منها طبقة الشعب وهي من الطبقات المضطهدة والمسحوقة وهي التي سعت للمشاركة في السلطة، وكانت الطبقة الثانية هي الطبقة "الرأسمالية"[١]، التي حلت محل الطبقات الإقطاعية بسبب وفرة المال في أيديها مع تحول الإنتاج تدريجياً من الإنتاج الزراعي إلى الإنتاج الصناعي بعد أن تم اختراع الآلات الصناعية فكان المراد هو أخذ السلطة بالقوة من الطبقة الحاكمة، لذلك كانت الديمقراطية هي الأسلوب المناسب لتحقيق هذا الهدف[٢].

ثالثاً: أهم مرتكزات الديمقراطية:

أ- فكرة الديمقراطية هي أن الناس متساوون قانونياً وسياسياً، صحيح أنهم مختلفون في الموهبة، لكن هذا الاختلاف ليس حجة ضد المساواة، بل حجة لها، فالمساواة أمام القانون ليست حقيقة موضوعية ولا قانوناً طبيعياً؛ بل على العكس من ذلك، هي مطلب سياسي يرتكز على قرارات أخلاقية ولا علاقة لها بالنظرية القائلة بأن كل الناس يولدون متساوين بالحقوق، بل النظرية أن المساواة تساوي الفرص، وتضمن وتعزز الاختلافات النفسية بين الناس؛ لأن تكافؤ الفرص يضمن حقوق المواهب الفردية في التميز والنمو، وحماية الموهوبين من اضطهاد من هم أقل موهبة منهم[٣].

ب- أن حرية الإنسان هي في المقام الأول حرية الفكر: حرية المعتقد والضمير، حرية الرأي والتجمع لتبادل الآراء، حرية الصحافة كوسيلة للتواصل، وبدون هذه الحقوق، لن يعود الأفراد أحراراً في التقدم، وسيحرم المجتمع من جهوده ومواهبه وأشياء أخرى هي أفضل، فعندما تحرم الإنسان من حرية الفكر وتتولى مهمة اتخاذ القرارات عنه، فإنك تعفيه أيضاً من مسؤولياته، وتحرمه من إحساسه بالمصلحة العامة، وتغرس فيه روح السلبية والرضا والخضوع فيكون عليه أن يتبنى نوعاً من العمل الدفاعي فقط لحماية نفسه من الأذى[٤].

---

[١]- وهي من الانظمة الاقتصادية العالمية التي تقوم على أساس استثمار العامل واستغلال المستهلك من خلال رفع الأسعار من أجل المنفعة الخاصة / ينظر: الرأسمالية : فرنسوا بيرُد ، ترجمة: محمد عيتاني ، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، د.ط، د.ت، ص:١١.

[٢]- ينظر: مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب ، ص: ١٨٠.

[٣]- ينظر: فقه الديمقراطية: د. عادل مصطفى ، رؤية للنشر والتوزيع- القاهرة ، ط:٢٠١٢/١م، ص: ٢٢.

[٤]- ينظر: المصدر نفسه: ص: ٢٣.

رابعاً: النزعة الاستشراقية عند القمني فيما يخص الديمقراطية.

أ- **أقوال القمني عن الديمقراطية:** وبالنظر لما تحققه الديمقراطية من حرية فكرية من دون أي قيد فقد أصبحت ملاذاً لكل من يحملون الأفكار المختلفة، وهذا ما جعلها تكتسب أهميتها حتى صارت مطلباً شعبياً في جميع الميادين، ومن هنا باتت المطالبة فيها واسعة، فنجد أن القمني من المطالبين الملحين على تطبيق الديمقراطية وجعلها بديلاً للنظام الإسلامي.

فيقول: "ولا نعلم سبب كل هذه المحاولات البائسة للهرب من الديمقراطية .. بمفاهيمها الغربية، رغم أنها نجحت في الحفاظ على ديانات الشعوب التي دخلت عليها بلادها ولم تُزلها من الوجود كما فعل الإسلام في البلاد المفتوحة"[١] .

كما أنه من الرافضين لوجود تشابه بين مفهوم الديمقراطية ومفهوم الشورى، ويُصر على أن الديمقراطية هي الحل لتحقيق طموحات الشعوب وليست الشورى، وهو بهذا يهدف إلى أن يصل في نهاية المطاف إلى أن الدين الإسلامي هو غير صالح لقيادة البشرية. **فيقول:** "لو كانت الشورى كما يقول فلاسفتنا اليوم هي الديمقراطية ما نشأت هذه المشاكل ولا تلك الفتن المتتالية، بل لأمكن حلها بيسر وهدوء لوجود مؤسسات الديمقراطية الفعالة، ومؤسسات الدولة وسيادة القانون الذي يعرفه الجميع ويحترمه الجميع، وإلى جواره المؤسسات التي تضمن تنفيذه وتردع الخارجين عليه، كل ذلك لم يكن موجودًا، كان الموجود شيئاً اسمه الشورى القَبَلية التي لا علاقة لها بالديمقراطية، كان الفعل القَبَلي هو المسيطر قبل الإسلام وبعد الإسلام، ولا شيء عن الدولة ولا من الدولة كان معلوماً، ولا حتى اسمها"[٢].

ب- **تشابه الآراء بين القمني وغيره فيما يخص الديمقراطية:** لقد برزت النزعة الاستشراقية في كتابات القمني بشكل واضح من خلال أتباعه طريقة تشبه أو تتطابق مع الطرق التي سلكها المستشرقون، أو العلمانيون، وليس هذا فحسب بل أن أفكار القمني كثيراً ما نجدها متوافقة مع أهداف المنظمات العالمية التي أخذت على عاتقها تصدير الأفكار الغربية إلى المجتمعات المسلمة وبطرق مختلفة، فمن خلال البحث وجدنا تقارباً كبيراً بين أفكار القمني بعض المفكرين العلمانيين، وعمل بعض المنظمات العالمية التي يكون نظام عملها جماعي فتتكون من أشخاص تكون أفكارهم متوافقة مع عمل هذه المنظمات، في الرؤية إلى الديمقراطية، ومن الأمثلة على ذلك.

---

[١]- ينظر: الدولة المسلمة للخلف در: سيد القمني، ص:٣٢.

[٢]- المصدر نفسه: ص:٤٩-٥٠.

المفكر "**جورج طرابيشي**"[١]. والذي يعد من المدافعين عن الديمقراطية من خلال أراءه والتي طالب فيها بأن لا تقتصر الديمقراطية على العملية السياسية فقط بل يجب قبل ذلك أن يحمل الشخص العربي الفكر الديمقراطي ويطبق هذا الفكر في كل شؤون حياته، **فيقول:** "ومجتمع يريد الديموقراطية في السياسة، ولا يريدها في الفكر، ولا على الأخص في الدين، ولا بطبيعة الحال في العلاقات الجنسية، هو مجتمع يستسهل الديموقراطية ويختزلها في أن معاً، ومن الاستسهال – كما من الاختزال – ما قتل**!**"[٢].

أما ما يخص المنضمات فنجد أن منظمة "**اليونسكو**"[٣]. والتي على الرغم من الشعارات التي ترفعها إلا إنها لا تخفي ميلها الشديد إلى تجريد المجتمعات من هويتها الدينية واستبدالها بالهوية الديمقراطية؛ من خلال ما تطرحه من مشاريع وأراء فاتخذت منهجاً يقوم على محاولة فرض الديمقراطية على الشعوب العربية عن طريق مناصرة التظاهر والخروج على الحكومات بحجة أن هذه الأفعال هي من حقوق الإنسان الطبيعية والتي يعبر بها عن رأيه، غير مبالين بما تحمله هذه المظاهرات من مخاطر بانت نتائجها على كثير من الدول العربية التي أرادت الدول الغربية جعلها دولاً ديمقراطية كما يدعون؟، فحصل ما لم يحمد عقباه من إراقة الدماء والتشريد والتخريب، وهذا ما يظهر بوضوح من خلال ما تتبناه هذه المنظمة من أفكار، **فيقولون:** "لا شك أن الأحداث الأخيرة

---

[١]- جورج طرابيشي: مفكر ومترجم سوري يدافع عن الإسلام الحضاري وعلمانية الإسلام، معروف بمشروعه لنقد العقل العربي، ولد جورج طرابيشي بمدينة حلب عام ١٩٣٩م، حصل على الليسانس في اللغة العربية ثم على درجة الماجستير في التربية من جامعة دمشق، ثم عمل مديرا لإذاعة دمشق (١٩٦٣-١٩٦٤م)، ورئيسا لتحرير مجلة " دراسات عربية" (١٩٧٢-١٩٨٤م)، ورئيس تحرير بمجلة "الوحدة" (١٩٨٤-١٩٨٩م)، يتميز الإنتاج الفكري لجورج طرابيشي بتعدد الاتجاهات ما بين الترجمة، والتأليف في فكر النهضة العربية والنقد الأدبي للرواية العربية، طبق أدوات التحليل النفسي على نقد الرواية وعلى نقد الثقافة العربية، اتجه إلى البحث في التراث وأنتج موسوعته "نقد نقد العقل العربي"، التي احتوت على قراءة ومراجعة لكل من التراث اليوناني والأوروبي الفلسفي، وللتراث العربي الإسلامي الفلسفي والكلامي والفقهي، ينقسم المسار الفكري، عموما، عند جورج طرابيشي إلى مرحلتين أساسيتين، كل منها كان له مساره الخاص أيضا، في المرحلة الأولى تبنى الأيديولوجيات الغربية الحديثة من ماركسية إلى قومية، مع قطيعة تامة مع التراث. وفي الثانية اتجه إلى اكتشاف التراث، عموما، له عدد كبير من المؤلفات والتي من أهمها: كتاب: من النهضة إلى الردة، وكتاب: وحدة العقل العربي الإسلامي، وكتاب: المثقفون العرب والتاريخ، هذا بالإضافة إلى الكثير من المؤلفات الأخرى، استقر في فرنسا حتى توفي عام ٢٠١٦م.
ينظر: موقع فلاسفة العرب: اطلعت عليه في ٢٠٢٤/٨/٢١.
http://www.arabphilosophers.com.

[٢]- هرطقات: جورج طرابيشي، دار الساقي بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب- بيروت، ط:٢٠٠٦/١، ص:٨.

[٣]- وهي منظمة تابعة للأمم المتحدة تأسست سنة ١٩٤٢م، تركز اهتمامها بالشرق الأوسط والدول الفقيرة في بقية العالم، كما ترفع شعار التربية والعلم والثقافة تتمثل رسالتها في أحلال السلام عن طريق تعاون الدول في مجالات التربية والعلوم والثقافة. ينظر: الموقع الخاص لمنظمة اليونسكو: https://www.unesco.org/ar/brief.

التي شهدها العالم العربي قد أنعشت الآمال بالتجديد ومستقبل مشرق إنعاشاً هائلاً، غير أن الشوط والظروف الحقيقية لإقامة المؤسسات الديمقراطية وبناء وتأصيل الثقافة الديمقراطية تتطلب عزيمة صادقة وجهداً حاسماً من أجل مواجهة كافة التحديات وتجاوز جميع الصعاب والعراقيل وفي هذا السياق، فإن اليونسكو بوصفها منبراً للتعاون الدولي وهيئة مفوضة بترويج ثقافة السلام وتعزيزها – والتي تمثل الديمقراطية حجر الزاوية فيها – تلتزم بمواكبة ودعم التحولات الديمقراطية وفقاً لروح ميثاقها التأسيسي الذي يحث المجتمع الدولي على التضامن الفكري والمعنوي، وسوف تستند اليونسكو في مهمتها هذه إلى تجربتها الغنية في مجال تعزيز الديمقراطية ونتائجها الطبيعية وإلى ما تحقق من إنجازات هامة في هذا المضمار ولابد لأي عمل يرمي إلى تعزيز الديمقراطية ومواكبتها أن يكون دوما في حالة يقظة وتأهب ومنسجما مع التغيرات والتحديات الجديدة التي تتطور في سياقات العملية الديمقراطية فكلمة الديمقراطية واجهة تخفي بين أضلعها وخلفها تحولات هامة ذلك أن السياقات.. الديمقراطية لا يحددها ويقررها نموذج جامد عليها أن تتبعه وتخضع له فملامحها وصفاتها وظواهرها ودواخلها ومواطنها تقررها المجتمعات المعنية ويمليها تاريخها الخاص بها وتحددها مواطن قوتها وضعفها"[١].

خامساً: الرد.

فيمكن الرد على قول القمني من خلال ثلاثة محاور.

المحور الأول: الديمقراطية والحياة العامة: إن التخوف منها الذي تكلم عنه القمني فيما سبق ليس تخوفاً على الدين فقط؛ وذلك لأن الدين أقوى من أن تهزه الديمقراطية بغض النظر عن كثرة السالكين، غير أن التخوف يأخذ منحاً آخر وهو ما يخص حياة الناس العامة، فهي بما تحمله من مفهوم الحرية قد فتحت الباب على مصراعيه أمام النظام الرأسمالي بكل مساوئه وعلى الرغم من التنازلات التي قدمتها الرأسمالية مرغمة إلا إنها بقيت هي المسيطرة على مقدرات الشعوب، فبهذا تعتبر هي الوجه السياسي للرأسمالية وتعتبر الرأسمالية هي الوجه الاقتصادي للديمقراطية، وهذا ما يزيد من الأعباء الملقاة على عاتق الشعوب من جراء هذه الأنظمة[٢].

---

[١]- الديمقراطية في العالم العربي والتجديد: اجتماع المائدة المستديرة في مقر اليونسكو ٢١حزيران/ يونيو ٢٠١١م ، https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000211659_ara.

[٢]- ينظر: مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب ، ص: ٢٠١-٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤.

المحور الثاني: الديمقراطية والشورى: أما بخصوص كلام القمني عن الديمقراطية والشورى، وبالنظر إلى مكانة الشورى في الدين الإسلامي فإن بينها وبين الديمقراطية تباعداً وتقارباً من حيث المفهوم وليس التطبيق غير أن فجوة التباعد هي أوسع، فهنالك فرق بين الشورى والديمقراطية ولكن ليس فرق مفاضلة كما جعلها القمني بتفضيل الديمقراطية على الشورى، وبالنظر أكثر الى هذه الجزئية نجد أن هنالك فروق بين الشورى والديمقراطية لابد من أخذها بنظر الاعتبار وهي:

أ- الشورى جاءت من مصدر سماوي وقد أمر الله ﷻ بها، أما الديمقراطية فهي من مصدر يوناني واليونان أمة وثنية تعبد الأصنام وفيها ما فيها من الضلالات حتى تطورت في ضل الأفكار الألْحادية، حيث تعتبر الديمقراطية خاضعة لأهواء الناس وبعيدة عن التطبيق الديني أما الشورى فهي لا تتم ألا من خلال الشرع ، فهي مختلفة عن الديمقراطية[١].

ب- الشورى مبنية على أخذ الرأي الصحيح المسنود من قبل الشرع مع الإخذ بنظر الاعتبار المصلحة العامة، أما الديمقراطية فهي قائمة على الأعداد التي تفرزها نتائج التصويت بغض النظر عن ما يتطلب الواقع من مصلحة عامة، وهذا ما يؤدي إلى صعود من ليسوا على قدر المسؤولية سواء كانوا مجرمين أو منحلين أخلاقياً أو فاسدين[٢].

ج- الشورى ليس فيها تناقض؛ كونها مرتبطة بالشرع فهي تحظى بنظام ثابت كونها جزء من دين المسلمين ولهذا فإنها تحمل هدف تحقيق مصالح الأمة على وفق الشريعة الإسلامية، أما الديمقراطية فهي لا تخلوا من التناقض دائماً وهذا ما يجعل الحيرة تصيب أنصارها، فالشعب الذي جعلوه هو المشرع لو خرج رافضاً للديمقراطية عندها سوف يُرفض رأي الشعب من قبل أدعيا الديمقراطية بحجة ضرورة فرض الفكر الديمقراطي حتى ولو كان باستخدام القوة؟[٣].

د- الشورى من خلال كونها تدور حول مسائل اجتهادية فهي غير ملزمة، أما الديمقراطية فأن الأكثرية أذا قرروا أمراً ما من خلال التصويت فأنه ملزم وإن أدى ذلك إلى ضرر بالأمة سواء في أخلاقها أو أمنها أو اقتصادها[٤].

---

[١]- ينظر: بحث الشورى والديمقراطية حقيقتها وأهم الفروق بينها ، د. عبدالله عبدالعزيز العنقري أستاذ العقيد المساعد بجامعة الملك سعود بالرياض ، منشور على مكتبة نور الإلكترونية، على شبكة الأنترنت، د.ت، https://www.noor-book.com/ ، ص: ٤٠الى٦٥.

[٢]- ينظر: المصدر نفسه: ص: من٤٠الى٦٥.

[٣]- ينظر: المصدر نفسه: ص: من٤٠الى٦٥.

[٤]- ينظر: المصدر نفسه: ص: من٤٠الى ٦٥.

و- الشورى تعتمد الثبات على مبدأ الحق دائما، فهي من أكبر أسباب الاستقرار في المجال السياسي والاجتماعي، والدليل على ذلك أن أحسن العصور التي شهدت ازدهاراً هي العصور التي طبقت فيها الشورى بشكل صحيح، أما الديمقراطية فهي خاضعة للتغيير الدائم، فهي من أسباب زعزعة المجتمع على الصعيد السياسي والاجتماعي كونها تجعل من المجتمع منقسماً على الحاكم بين مؤيد ومعارض، والدليل على ذلك أن هدف الديمقراطية هو جعل الشعب يحكم وهو ما لم يتم تطبيقه لحد الأن[١].

ولهذا فلا يمكن اعتبارها بديلاً للشورى، وإذا رجعنا إلى قول القمني بأن الشورى لو كانت هي الديمقراطية لكان هنالك حلاً لكل المشاكل بكل سهولة!، فالكلام عن ذلك ليس كلام علماء المسلمين المعتبرين بل أنه أكثر ما يكون شبهة من شبهات الغرب لمحاولة طمس حقائق الإسلام وإدخاله في الفكر الغربي وإلا كيف يمكن اعتبارها بديلاً للشورى والدول التي تدعي الديمقراطية قد ارتكبت أبشع الجرائم سواء في داخل حدودهم أو خارجها حتى بات تطبيق الديمقراطية التي ينادون بها عبارة عن شعارات فقط، فمن غير الإنصاف إجبار الشعوب الإسلامية بتطبيق الديمقراطية؛ كونها تتقاطع مع الدين الإسلامي في كثير من الآراء، ولذلك نقول لمن يتباكون عليها، ويخافون عليها من الإسلام، ويظنون أن الإسلام عدو لها، إنكم لا تعرفون الإسلام معرفة حقيقية، فلو كنتم تعرفونه لما حدث عندكم هذا الخوف من الإسلام، فأنتم إما أن تكونوا جاهلين أو معاندين، وفي كلتا الحالتين أنتم لا تصلحون للحكم على شيء تجهلونه أو ترفضونه بتعصب، وهذا ما جعلكم تقعون بخطأ كبير جراء معاداتكم للحق ونصرتكم للباطل[٢].

المحور الثالث: الانتقادات الغربية للديمقراطية: وعلى الرغم من مكانة الديمقراطية عند الغرب إلا أن ذلك لم يمنع من انتقادها، فقد مُنحت الديمقراطية مكانة أسطورية تقريباً، إذ يُنظر إليها على أنها حاملة لتطلعات الناس، ولهذا السبب يحرص القادة بشدة على استخدام هذه الكلمة لوصف حكوماتهم، حتى لو كانت في الواقع حكومات استبدادية، كما يبالغ دعاة الديمقراطية في تقدير مزاياها، فهي قد تكون غير حاسمة في الأزمات، كما يمكن أن تكون فاسدة، ففي الديمقراطية الحديثة التي تُعرف بأنها حكم الشعب، نجد أن الشعب لا يحكم، بل يختار حكامه، كما إنهم لا يقررون

---

[١]- ينظر: بحث الشورى والديمقراطية حقيقتها وأهم الفروق بينها ، د. عبدالله عبدالعزيز العنقري: ص: ٤٠الى٦٥.

[٢]- ينظر: افتراءات المستشرقين على الإسلام: عبدالعظيم أبراهيم محمد المطعني ، ص:١٢١.

القانون، بل ممثلوهم هم الذين يفعلون ذلك، فضلاً عن ذلك، لا يوجد قرار موحد للشعب، لاختلاف وجهات النظر والمنافسة حول الشؤون العامة، كما ويختلفون حول الأهداف التي ينبغي أن تكون عليها السياسة العامة، وكيفية تحقيقها، فالديمقراطية لا تنتج إجماعاً خالصاً ودائماً، بل الغالب هو رأي فئة تستطيع حشد أصوات أكثر من غيرها، ولذلك فإن هذه العملية ليست حكومة من الشعب، ولكنها أشبه بحرب العصابات، وفي حين أن الديمقراطية تعطي الجميع رأياً متساوياً في السياسة العامة، فإنها لا تسمح للجميع بالحق في التصويت، فعلى مر التاريخ، نجد أن دولاً كثيرة حرمت النساء والأقليات والأفراد الذين لا يملكون ملكية خاصة من حق التصويت وإبداء الرأي، وكثيراً ما تتجاوز نسبة الناخبين الذين يختارون عدم التصويت نصف السكان أو أكثر الذين ليس لهم أي رأي على الإطلاق في نتائج الانتخابات، وحتى لو صوت الفرد، فإن صوته لن يكون له تأثير يذكر على نتائج الانتخابات[١].

ومن جهة أخرى، غالباً ما تبدو الديمقراطيات وكأنها هي من تدعو إلى الحرب في المقام الأول، فكثيراً من الدول التي تصنف بأنها المتبني الأول للديمقراطية والداعم الأكبر لأفكارها في العالم، قامت بشن عشرات الحروب، ونظمت انقلابات لا تعد ولا تحصى، وأطاحت بحكومات، ودعمت الديكتاتوريين، وأسقطت القنابل على المدنيين المسالمين، حتى وصل بهم الأمر إلى استخدام القنابل المحرمة، كما وتمتلك هذه الدول حالياً أكثر من ٧٠٠ قاعدة عسكرية في أكثر من ١٠٠ دولة، وتبلغ نفقاتها العسكرية ما يعادل تقريباً إنفاق الكثير من دول العالم، بالإضافة إلى أنها خاضت حروباً خلفت الكثير من جرائم التعذيب مع ما تم تسجيله من الضحايا الأبرياء، من جهة أخرى فإن بريطانيا الديمقراطية هي الأخرى قد كانت سباقة في بناء معسكرات الاعتقال في جنوب أفريقيا، وكانت أول من سحق المعارضة القومية في أماكن سيطرتها من خلال القصف الجوي، ودمرت القرى، كما حدث في العراق في عشرينيات القرن الماضي، كما وقمعت الإمبراطورية البريطانية الديمقراطية ثورات الاستقلال المتعددة في مستعمرات مثل أفغانستان والهند وكينيا مباشرة بعد تحريرها من النازيين على يد الحلفاء، وهولندا الديمقراطية شنت حرباً ضد إندونيسيا لمطالبتهم بالاستقلال، وفعلت فرنسا الشيء

---

[١]- ينظر: مدخل الى الديمقراطية: إيمون باتلر ، ترجمة: محمد مطيع ، المركز العربي للأبحاث – الرباط ، ط:١/٢٠٢١م ، ص: ٥٩-٦٠-٦١.

ذاته في الهند عند مطالبتهم الاستقلال، وخاضت ديمقراطيات مثل بلجيكا، وفرنسا العديد من الحروب القذرة في أفريقيا والتي خلفت كواثر على البلدان الأفريقية لازالت تعاني هذه البلدان منها[١].

أذا كان هذا الرأي في الديمقراطية هو رأي غربي فكيف يمكن تصديق ادعاءات القمني ومن على شاكلته الذين يحاولون تجميل الديمقراطية بنظر الشعوب واتخاذها منهجاً ونظاماً محاولين بذلك قلب الحقائق وتغييب المخاطر التي يحملها هذا النظام على الرغم من الشعارات التي تدعوا إلى حرية الإنسان وتخليصه من الظلم والعبودية والتي قد دعا اليها الإسلام من قبل، ومن جهة أخرى ماهي الفائدة من إتباع نظام موضوع من قبل البشر يحتمل الخطأ، وترك نظام سماوي منزل من عند الله ﷻ مع كل ما يحمله من المفاهيم التي تدعوا إلى الحرية وعدم التفرد بالرأي مع الأخذ بنظر الاعتبار المصلحة العامة، ختاماً وبناء على ما سبق فإن الدين الإسلامي لا يمنع تطبيق كثيراً من المفاهيم الديمقراطية مثل المساواة وحقوق الإنسان وحرية التعبير وغيرها من المفاهيم التي لا تتنافى مع الشريعة الإسلامية، ولكن ليس من منطلق تقليد للمفاهيم الديمقراطية وتبنياً للديمقراطية، بل لأن هذه المفاهيم هي أصلاً موجودة في الشريعة الإسلامية، أذا فلا حاجة لفكر غربي يكمن وراء محاولات الغرب في فرض فلسفته السياسية على مجتمعاتنا، كما ويجب أن نحذر من استخدام الشعارات الديمقراطية كوسيلة للنيل من الثوابت الشرعية، كما يصوره القمني من رفع مكانة الديمقراطية مقابل إثارة الافتراءات والشكوك حول نظام الشورى في الإسلام، وبالتالي فإن أتباع نظام غربي مخصص للغرب وتعميمه على المسلمين سوف لن يزيد المسلمين إلا بعداً عن دينهم، وخضوعاً لأعدائهم وبالتالي يتلاشى كيان المسلمين.

ooooooo

[١]- ينظر: ما وراء الديمقراطية: فرانك كارستن – كارل بيكمان ، ترجمة: انور عدنان ، د.ن، د.ط، د.ت، ص:٥٧-٥٨ .

المطلب الثالث: مفهوم العلمانية.

باتت ممارسات العلمانيين واضحة من خلال ما يهدفون إليه؛ وهو نقل التجربة الغربية وتطبيقها على الشعوب الإسلامية عن طريق تزيينها في نظر المسلمين البسطاء، حيث بدأوا بتصدير العلمانية الغربية إلى البلاد الإسلامية بمساندة أتباعهم في البلاد الإسلامية، فتطور الفكر العلماني حتى تم تطبيقه في الكثير من البلدان والعمل جاري على فرض تطبيقه في باقي البلدان، وعليه فالعلمانية باعتبارها ناتجة عن الفكر الغربي وترتبط مع الحرية ومع الديمقراطية والتي ألح في المطالبة بتطبيقها القمني ومن في خانته من المتأثرين بالفكر الغربي، حتى أن بلادنا لم تعد محصنة ضد الغزوات الثقافية الجديدة.

أولاً: تعريفها.

أ- **لغة:** لم يرد تعريف لغوي للعلمانية في المعاجم اللغوية القديمة كون هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة التي لم ترد سوى في بعض المعاجم الحديثة[١].

بينما جاءت كلمة علماني "نسبة الى العلم بمعنى العالم وهو خلاف الديني والكهنوتي"[٢].

وتعرف لفظة علماني أيضاً من خلال كلمة (secular) والتي تعني الشخص المتعلق بالأمور الدنيوية وليس الروحية ، أو علماني بمعنى لا ديني[٣].

ب- اصطلاحاً: "العلمانية (secularism) وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم (science) وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر، أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية، ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه

---

[١]- العلمانية وموقف الإسلام منها: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، د.ط، د.ت، ص:٣٣٣.

[٢]- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية – جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط:٤/١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص: ٦٢٤.

[٣]- ينظر: معجم اوكسفورد المحيط (الطبعة العربية): د. محمد بدوي، أكاديميا للنشر والطباعة بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ٩٦٠/١.

حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما"[١].

وفي تعريف أخر: "هي حركة اجتماعية تهدف إلي صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها، ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطي رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر"[٢].

وتعرف أيضاً: بانها مذهب هدام يُراد به فصل الدين عن الحياة كلها وإبعاده عنها، أو هي إقامة الحياة على غير دين إما بإبعاده قهراً ومحاربته علناً، وإما بالسماح به وبضده من الإلحاد كما هو الحال في الدول الغربية التي تسمي هذا الصنيع حرية وديمقراطية أو تدين شخصي، بينما هو حرب للتدين، ذلك أن حصر الدين في نطاق فردي بعيداً عن حكم المجتمع وإصلاح شؤونه يجعل هذا المجتمع لا ديني[٣].

وعلى هذا فإن تعريف العلمانية يدل على الاقتصار على العقل البشري وتجربته في إدراك حقائق الوجود وفي وصف شؤون الحياة يعني استبعاد أي مصدر آخر في إدراك حقائق الوجود وطرقه، وخاصة الوحي الإلهي الذي يجب أن نتبعه في الحياة[٤].

ثانياً: تطور الفكر العلماني:

منذ ظهور المسيحية اندلعت الصراعات بينها وبين التعاليم اليونانية القديمة، حتى بلغت ذروتها في قرون من الحرب والمساومات، مما أدى إلى ظهور السلطة المتمثلة بالمسيحيين الأوائل، ومع ذلك قدم هذا المزيج للأوروبيين بُعداً مفيداً للوحدة الروحية للدين تحت السلطة الكنسية، والتي تُرجمت لاحقًا أيضاً إلى وحدة سياسية تحت السلطة الكنسية، حيث كان على الملوك تقديم التماس إلى مسؤول الكنيسة للتنازل عن السلطة(السياسية) المؤقتة لهم[٥].

وبعد ظهور الإسلام أخذ يمثل النقيض لأوروبا في صراعها التقليدي مع الشرق، على الرغم من أن الإسلام قد زود أوروبا، من خلال تواجده في الأندلس، بدعوته إلى العقيدة المبسطة الخالية من

---

[١]- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: د. مانع بن حماد الجهني، ٦٧٩/٢.
[٢]- مذاهب فكرية معاصرة : محمد قطب ، ص:٤٤٥، نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية.
[٣]- ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ، غالب عواجي ، ٦٨٣/٢.
[٤]- ينظر: العلمانية العدو الأكبر للإسلام: محمد إبراهيم مبروك، مركز الحضارة العربية للنشر- القاهرة ، ط:١/ ٢٠٠٧م، ص:٢٢.
[٥]- ينظر: المصدر نفسه: ص:٢٣-٢٤.

التعقيد، والتي تتمحور حول المبادئ التوحيدية، وهذا ما ساعد على اتخاذ الخطوات الأولى نحو نهاية العصور الوسطى في الاتجاه نحو التقدم العلمي والتحرر السياسي والنقد العقلاني لتعاليم الكنيسة، غير أن هذه الأفكار سرعان ما واجهت أبشع أنواع الهمجية والانتهاكات، مما أدى إلى قيام الثورات المتعاقبة ضد الكنيسة، مع بداية عصر النهضة وما ترتب عليه من ظهور الأساليب التجريبية ووضوح الأفكار العلمية، ولكن نظراً لاستمرار اضطهاد الكنيسة للعلماء والمفكرين خلال عصر النهضة، اتخذت الحركة العقلانية في أوروبا منعطفاً متطرفاً نحو معادات الدين، وقد تطور هذا العِداء إلى حد الإلحاد الصريح، وليس فقط التمرد والاضطهاد ضد الكنيسة، وذلك لأن استمرار اضطهاد هؤلاء الأشخاص يربط تحررهم الروحي بالموقف ضد الدين بشكل عام، ومنذ ذلك الحين ترسخ التناقض بين الفكر والعلم والدين في الضمير الغربي، وورثت المسيحية عداء علمائها ومفكريها للإسلام، وهكذا انتعش الفكر اليوناني العلماني من جديد في عصر النهضة كسلاح ضد الكنيسة الغربية[١].

فالكنيسة كانت تقف مع الخرافة ضد العقل ومع الجهل ضد العلم ومع الحكومات ضد الشعوب كما أنها تقف في صف الأغنياء ضد الفلاحين والفقراء، كما لا يمكن إغفال المجازر التي كانت ترتكب بحق الناس تحت غطاء الكنيسة فكانت الوحشية طاغية على تعامل الكنيسة مع المخالفين من خلال التعذيب والصلب وحرق الجثث بعد الموت، كل هذه الأسباب دعت إلى التمرد والخروج عن سلطان الكنيسة والمطالبة بفصل الدين عن باقي مفاصل الحياة[٢].

ثالثاً: أنتشار العلمانية:

بعد أن انتشرت العلمانية في أوروبا وذاع صيتها عمل أدعيائها على تصدير هذا الفكر إلى خارج أوروبا وخصوصاً إلى الدول الإسلامية؛ من أجل ضرب الفكر الإسلامي والعمل على انحراف المسلمين عن دينهم، فقد جاءت طليعة الغزو الفكري بشعارات متعددة، واتجاهات مختلفة، وما يساعد على التضليل وإغواء المسلمين، حيث جاءت تيارات ذات أسماء وشعارات مختلفة مثل الديمقراطية والعلمانية والحرية اللادينية وغيرها، وانتشرت عدوى هذه الأوبئة كالنار في الهشيم واخترقت عقول وقلوب أولئك الذين فقدوا توازنهم وتمسكهم بـ(لا إله إلا الله)، وأخذ هذا الجيل الضعيف والملتوي على

---

[١]- ينظر: العلمانية العدو الأكبر للإسلام: محمد إبراهيم مبروك: ص:٢٣-٢٤.

[٢]- ينظر: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام: د. يوسف القرضاوي ، دار الشروق – القاهرة ، ط:١/١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ص:١٩.

عاتقه مهمة استعباد بلاده للغرب وإنهاء مصدر الحياة الكامن في هذه البلاد من خلال أتباع الفكر الغربي المنحرف[١].

رابعاً: النزعة الاستشراقية عند القمني في العلمانية:

أ- أقوال القمني: وبما أننا نتكلم عن أتباع الفكر الغربي فلابد من ذكر اسم سيد القمني الذي لم يدخر جهداً في إظهار إتِباعه للفكر الغربي، فمن خلال كتابه (انتكاسة المسلمين إلى الوثنية) يقسم المفكرين العرب إلى قسمين: قسم إسلامي وقسم علماني فنجده يعمل على تلميع مصطلح العلمانية وإظهاره بصورة جميلة في نظر المسلمين، كما يقول بتميز الفريق العلماني على الفريق الإسلامي . **فيقول:** "أما الفريق الآخر (العلماني) فقد ذهب مذهباً هو على النقيض بالمرة من الفريق الأول، وهو الأقل انتشاراً بين الجماهير لكنه الأكثر قدرة على الوصول إلى حلول علمية والأكثر منطقاً، والأقوى حجة، ويستند إلى الواقع الملموس في نجاح العلمانية أينما طبقت لذلك تتم محاربة هذا التيار وطعنه لدى المسلمين بكونه يناهض الدين ويناوئه حتى لا يصل إلى الناس أصحاب المصلحة فيه"[٢].

ومن جهة أخرى نجد أن سيد القمني يصدر نفسه محافظاً على الدين من خلال دعوته إلى العلمانية؛ لإبعاد الدين عن الاستغلال. **فيقول:** "إن ما أُصر عليه باستبعاد الدين من المجال العام كله ليس لمجرد المعاندة، وإنما لكي يتفرغ الدين والعلمانية كل منهما لتحقيق المراد منه لخير الناس، كل بأسلوبه وكل بطريقته، هذا عبر الروح، والآخر عبر العلم والعقل المادي، وإذا اتفقنا على أن أهدافهما إسعاد البشرية، فإن الهدف إذا كان صادقاً فلن يجعل أحد الطرفين يختلق المعارك والصراع ضد الطرف الآخر، إن دخول الدين بمطلقاته إلى ساحة السياسة يخلطه بالرغبات البشرية في السيطرة والهيمنة والانفراد بالإرادة، ويكون الدين بذلك مجرد مطية ودابة تُمتطى لأهداف ما أبعدها عن الدين، لأنها لا تبغي مصلحة عباد الله بقدر ما تهدف إلى سلطان فئة و طائفة واستئثارها بكل شيء تحت مظلة الرعوية الربانية"[٣].

---

[١]- ينظر: العلمانية: سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص:٩.
[٢]- انتكاسة المسلمين الى الوثنية : سيد القمني ، ص:١٠.
[٣]- المصدر نفسه: ص:٢٨٦.

كما أن القمني يؤكد على الضرورة الملحة لتطبيق النظام العلماني في المجتمعات العربية فلا حل برأيه سوى بتبني نظام علماني كامل غير جزئي لما تحمله العلمانية من فوائد باعتبارها سلة علوم على حد قوله[١].

ب- تشابهه الطرح بين القمني وغيره من المفكرين: ولقد أتبع القمني في مسألة الدعوة إلى العلمانية نفس المنهج الذي سلكه نصر حامد أبو زيد؛ كونه أحد المتأثرين بالأفكار الغربية وما تناوله المستشرقين وكان من المطالبين بالعلمانية من خلال أعماله الفكرية ففي أحد مقالاته المنشورة ، **يقول:** "إنّها "العلمانية" – التي تفصل بين الدولة ونظامها السياسي وبين الدين – هي وحدها التي يمكن أن تفتح آفاقا للحرية والعقلانية وتعدّد المعاني. الدين شأن المتديّنين، ومهمّة الدولة أن تضمن حرية الجميع، وتحمي البعض من البغي على البعض باسم الدين أو باسم هذا المعنى أو ذاك لدين بعينه"[٢].

خامساً: الرد على مسألة تأثره بالعلمانية.

وهذا كلام لا يمت للواقع بصلة أبداً وكأن القمني ومن يتبعهم من خلال حديثهم هذا يصورن لنا أنفسهم أعلم بمصالح المسلمين وما هو خير لهذا الدين فكلام القمني ليس إلا تقليداً لأسياده أصحاب الفكر العلماني الغربي فهو يقف معهم إن وقفوا ويميل معهم إن مالوا، فلا يمكن لمسلم مؤمن بالله ﷻ أن يمر عليه هذا الكلام ويصدقه بفصل الدين عن باقي مفاصل الحياة فيصبح الإنسان يتكون من جزأين ظاهري علماني وباطني ديني!، وسيكون الرد من خلال محاور.

المحور الأول: فالإسلام ينظم كل جوانب الحياة الشخصية والاجتماعية، ويخلوا من هذا التناقض الذي تعيشه المجتمعات الغربية، فلا مجال للعلمانية في ظل الشريعة الإسلامية فإن هذا يعد تنافراً بين العلمانية والإسلام فلا يمكن الدمج بينهما كما يريد القمني فإما الإسلام أو العلمانية، فلا يمكن أن يُترك الدين والمنهاج الإلهي على حساب منهج وضعي خاضع لإرادة واضعيه، ومع ذلك، فقد وقع على المسلمين بلاء من الاستعمار الغربي في التاريخ الحديث وانتشرت بينهم الأفكار التبشيرية والاستشراقية، ومن بينها فكرة الفصل بين الدين والدولة، وبدأنا نرى ونسمع بين المسلمين من يحاول

---

[١]- ينظر: مناظرة بين القمني وعبدالوهاب المسيري على قناة الجزيرة ، بتأريخ٢٠١٧/٢/١.
https://youtu.be/SZL9428RiUI?si=ZvrPnLbKb-yMuIEn

[٢]- مجلة الحوار المتمدن-العدد: ٣٠٥٤ – ٢٠١٠/٧/٥ ،
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=215277

الجمع بين الإسلام والعلمانية، ومنهم من يريد العلمانية بدلاً من الإسلام، فهؤلاء بهذا الفعل يقلّدون الغرب متأثرين بالاستعمار الذي ساد في القرن التاسع عشر الميلادي، والذي فرض علينا فيه الأجنبي مشاكل ليست من جوهر البيئة الإسلامية وراح يدفعنا إلى متاهات ننسى فيها ديننا وتاريخنا وكل مكوناتنا، ومما فرضه علينا، العلمانية في كل شيء في حياتنا، وفي التعليم والتشريع، وفي سياستنا واقتصادنا، وفي أفكارنا وأفعالنا، من أجل إبعاد الإسلام عن المجال العام وإبقائه في المساجد وفي قلوب الناس اعتقاداً فقط من غير عمل، وهو يحاول الأن أن يجبرنا على التخلي عن هذا الإيمان بالدين ويقودنا نحو الإلحاد العلمي لنصل عبر طريقه إلى مجتمع بلا دين[١].

المحور الثاني: ما يخص دعوة القمني إلى ضرورة تطبيق العلمانية، فالعمل على تطبيق العلمانية يظهر واضحاً، من خلال إبعاد الإسلام عن شؤون الدولة، وبالتالي يسعى صاحب القوة والنفوذ وهو الأجنبي، عن طريق وكلائه المتنفذين في المجتمع الإسلامي إلى العمل على تفريق التعليم إلى مدني و ديني، ونفس الأمر ينطبق على سلطة القضاء فيصبح شرعي ومدني، ثم تتطور مراحل تطبيق العلمانية، فيتم العمل على إنشاء مدارس أو معاهد ابتدائية وثانوية يكون فيها التعليم وطني مدني أو إسلامي ديني، كذلك الحال بالنسبة للجامعات وغيرها من المفاصل، ففي الأحوال الشخصية نجد أن العلمانية مارست منهج الهدم للدين الإسلامي مسنودة من قبل الذين يسعون إلى إضعاف المسلمين من خلال ما يسمى بتحرير المرأة فعملت من خلال ذلك على تقييد ولاية الرجل كما وجعلت للمرأة حرية في الخروج من منزلها واختيار العمل الذي تريد حتى لو كان هذا العمل فيه مخالفات من اختلاط وغيره ومن غير أن تحتاج إلى طلب الإذن من زوجها، كما وأعطت للبنت الحرية في اختيار الزوج حتى أن عارض الوالدين في هذا بل حتى وإن خالف الدين والتقاليد التي تقوي التماسك الأسري[٢].

المحور الثالث: كما إن العلمانية تضع حاجزاً مغلقاً بين العالمين الروحي والمادي، أما في وجود الإسلام فلا يوجد مثل هذا الحاجز الذي يفصل عقله عن روحه وجسده ولا ينظر إلى القيم الروحية في ضوء إيجابي، وبما أنها تعتبر القيم الروحية قيماً سلبية، فإنها لا تدمجها في خطط وأنشطة ذات

---

[١]- ينظر: فصل الدين عن الدولة: أسماعيل الكيلاني: المكتب الإسلامي – بيروت ، ط:١٤٠٧/٢هـ - ١٩٨٧م ، ص:٢٥٥-٢٥٦.

[٢]- ينظر: الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة: محمد البهي ، مكتبة وهبة-القاهرة ، ط:١٤٠١/١هـ - ١٩٨١م ، ص: ١٦،١٨،١٩.

طبيعة جماعية، لأن الأنظمة والقوانين التي صممتها لتنظيم العلاقات الاجتماعية تفتقر إلى القيمة الروحية، فإنها تضع الإنسان في حالة من النزوح، وتجعله يعاني من قلق ازدواجية السلطة، مما يؤدي إلى عواقب سلبية على وجود الناس وأنشطتهم الداخلية، فمن خلال إزالة القيم الروحية من القوانين والأنظمة، فإنه يرسخ الفردية المطلقة لهذه القيم ويتجاهل تلك القيم التي تعتبر قواسم مشتركة في المجتمع، ومن خلال أغفالها لهذه القيم المشتركة فهي تفتح الباب لحدوث تصادم بين القيم الجماعية وبين القيم التي يتم فرضها من الخارج، فالعلمانية تفرض على الناس أن يتعاملوا مع قوانين وأنظمة لا تنسجم مع التوازن الداخلي للإنسان بين الأمور الروحية والمادية وهذا ما يعرضها للرفض، حتى تصبح عدواً في نظر الملتزمين، كما إن العلمانية من خلال تعلقها بالشرق الإسلامي فإنها تغفل عن نقطة مهمة وهي الرصيد العقدي والتاريخي لهذه الإمة التي هي على اتصال دائم مع تأريخها، وأن أي محاولة لفصلهم سوف لن يكتب لها إلا الفشل[١].

المحور الرابع: وهذا المحور يخص كلام القمني بأن العلمانية ترفض الدين من أجل عدم الانتفاع منه سياسياً؟ فهذا الكلام مخالف لما عليه الواقع، لأن العلمانيين الغرب يحاولون إسقاط تجاربهم على المسلمين، وهذ كله يعد من الأساليب العلمانية التي تُتبع من أجل الوصول إلى الأهداف، فقد اتخذت العلمانية طريق المكر والخداع لكي تقنع أتباعها وقد سارت في هذا الجانب على أسلوب التظاهر بالحياد أتجاه الدين وعقائده، واعتبروا حصر الدين في مجال محدد إنما هو من مصلحة الدين ليكون في المجال المتخصص فيه وهو العبادة فقط، وأن تدخله في شؤون الحياة الباقية يفسدها ويعوق مسيرتها، ويزعمون أن سبب ذلك لأن تعاليم الدين هي غير صالحة لشؤون الحياة كونها ليست علمية ولا عقلية[٢].

وكان لها أسلوب أخر وهو أسلوب إعلان الحرب على الدين كله مع السعي الدائم بكل قوة لاستبداله بالمادية، والإلحاد، والكفر بالله ﷻ وبكل القيم الدينية، ويتخذون من أجل تحقيق هذا الهدف كل الأساليب من المكر، والقهر والغصب، وتشويه الحقائق الفكرية، وفرض القوانين، والبرامج التعليمية، وقد كان سلوك العلمانية أسلوب الحياد أنما هو مكر وفترة سياسية مرحلية تتدرج فيها حتى

---

[١]- ينظر: تهافت العلمانية: د. عماد الدين خليل ، دار أبن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق- بيروت ، ط:١/١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ص:٦٢-٦٣-٦٦.

[٢]- ينظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق ، ط:٢/١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص:١٦٤.

تتمكن وتنقلب إلى الوجه الثاني فمع ما تدعيه العلمانية في هذا الجانب من حياد إلا إنها تعمل على تشجيع الدراسات المعادية للدين كما تشجع المذاهب الإلحادية والتي تتبنا الكفر بكل الأديان[١].

وختاماً: فإن المطالبة بفصل الدين عن مفاصل الحياة ماهي إلا مطالبة للتهرب من القوانين الإسلامية التي يعتبرها البعض مقيدة له فلا يمكن في ظل دولة تُحكم شرع الله ﷻ تحكيماً صحيحاً، ممارسة الرذيلة أو شرب الخمر أو التعامل الربوي أو غيرها من المحرمات، وبالتالي فيبدوا أن المطالبة بالتحول إلى العلمانية هو الحل الأمثل في نظر هؤلاء، ولذلك نجد أن المطالبة بفصل الدين جاءت مصاحبة لموجة الفتور الديني وقلة الالتزام لدى الكثير من المسلمين، ولكم أن تتخيلوا كل الفساد العالمي قد حصل في ظل تواجد رادع ديني فكيف سيكون شكل العالم بلا أي رادع؟، وبالعكس تماماً فإن عصر النهضة الإسلامية قد حدث في زمان أشد ما كان فيه المسلمون ملتزمون بدينهم وقد كان الدين هو الدافع والمحفز على نشر الإسلام ونهضته، وبالمقابل نجد أن عصر العلمانية ما هو إلا غابة يأكل القوي فيها الضعيف من غير نظر إلى الإنسانية التي ينادون فيها، فلا تعد العلمانية هي الحل للشعوب المسلمة وأن تم تطبيقها في الغرب، والحل هو نظام إسلامي شامل غير خاضع لشخص أو فئة بعينها، نتعامل فيه مع غير المسلمين على وفق ديننا وليس وفق نظامهم[٢].

ooooooo

---

[١]- ينظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، ص: ١٦٥.

[٢]- ينظر الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه: د. يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة- القاهرة ، ط:١٤١٧/٧هـ - ١٩٩٧م ، ص: ١٠١إلى١٠٦.

الخاتمة

الخاتمة

بعد حمد الله ﷻ وفضله إكملت هذه الرسالة "النزعة الاستشراقية في قراءة القمني للفكر الإسلامي"، وأهم النتائج التي توصلت اليها هي.

أولاً: تناول القمني جميع المسائل الفكرية الإسلامي في مؤلفاته بالنقد والتشكيك والنفي وهذا المنهج هو الواضح عند اكثر المستشرقين، الذي أدى إلى بروز النزعة الاستشراقية عند سيد القمني وتأثيرها على منهجه في قراءة الفكر الإسلامي.

ثانياً: لا يمكن تصنيف الدوافع التي حملت القمني لشن حملة انتقاد وتشويه للدين الإسلامي إلا في خانة الحقد على هذا الدين.

ثالثاً: تعتبر قراءة أفكار المستشرقين والمتأثرين بالفكر الغربي من المسائل الأساسية، والتي يمكن من خلالها اختيار طريقة الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم.

رابعاً: من غير المنطقي إطلاق لفظة "مفكر إسلامي" على سيد القمني؛ كون طروحاته تخالف مناهج المفكرين الإسلاميين، فهو لا ينطلق من ثوابت الإسلام المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ويمكن تسميته مهتم في الشؤون الإسلامية.

خامساً: لم يخضع سيد القمني في دراساته للإسلام إلى أساسيات المناهج العلمية المعتبرة، مع وضوح استخدامه لمناهج المستشرقين وخصوصاً المنهج التشكيكي، وهذا ما جعل ظهور التناقض واضحاً في مؤلفاته.

سادساً: ظهور سيد القمني بمظهر المتحامل على الإسلام ونقده له في الكثير من أراءه.

سابعاً: تركيز سيد القمني بشكل لافت على مكانة المرأة في الإسلام فقط من غير ذكر لمكانتها في الديانات الأخرى.

ثامناً: تعتبر أفكار سيد القمني مستهلكة وقد جاء بها من سبقه من مستشرقين وعلمانيين، ولهذا فقد لجأ القمني لأسلوب أخر يمكنه من الظهور وهو أسلوب الانتقادات الحادة التي وجهها لمؤسسات دينية وعلماء ومفكرين وجماعات مختلفة.

تاسعاً: يعمل سيد القمني ومن على شاكلته ومن خلال تأثرهم بالأفكار الغربية على محاولة استقطاب العادات الغربية والتي بدورها ترفع جميع القيود الدينية والاجتماعية عن المسلمين وخصوصاً المرأة، بدعوى الحرية الشخصية.

عاشراً: بروز التأثر الواضح عند سيد القمني بالديمقراطية والعلمانية من خلال دعوته إلى تقديمها.

أحد عشر: تعتبر أراء سيد القمني مزيجاً من الأفكار الديمقراطية والعلمانية والاستشراقية، والتي تصب كلها في خانة التأثر بالأفكار الغربية.

اثنى عشر: افتقار الكثير من الدراسات الأكاديمية إلى بيان النزعة الاستشراقية في مناهج الكثير من المفكرين العرب الذين أظهروا تأثراً واضحاً بالأفكار الغربية.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ت: ٣٢٤هـ ، تح: د. فوقية حسين محمود ، دار الأنصار – القاهرة ، ط:١/١٣٩٧هـ.

٢- الاتجاهات الحديثة في الإسلام: هاملتون جب ، ترجمة: هاشم الحسيني ، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، د.ط، د.ت.

٣- الاتجاهات العقلانية الحديثة: ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الفضيلة – الرياض ، ط:١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٥- الإجماع: أبي بكر بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري٢٤٢هـ - ٣١٨هـ ، تح: أبو عبدالأعلى خالد بن محمد بن عثمان ، دار الاثار للنشر والتوزيع – مصر ، ط:١، د.ت.

٦- الإجماع: محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر (٢٤٢هـ/ ٣١٨ هـ) ، تح: أحمد بن محمد حنيف ، مكتبة الفرقان- الامارات ، ط:٢/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧- اجنحة المكر الثلاثة : عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط:٨، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٨- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ، تح: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط:١/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩- الاختلاط بين الرجال والنساء: شحاتة محمد صقر، دار اليسر للطباعة- مصر، ط:١/ ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

١٠- الأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري، د. خالد كبير علال، دار المحتسب- د.ب ، ط:١/ ٢٠٠٨م.

١١- آراء القاضي عبدالجبار الكلامية: د. عبدالكريم عثمان ، مؤسسة الرسالة – بيروت، د.ط، ١٩٧١م.

١٢- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: د. عمر إبراهيم رضوان ، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، د.ط، د.ت، .

١٣- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط:٧/١٣٢٣هـ.

١٤- أزمة الإسلام: برنارد لويس، ترجمة: حازم مالك محسن، صفحات للدراسات والنشر، ط:١/٢٠١٣م.

١٥- ازمة الحضارة الغربية والبديل الاسلامي ، د. عبدالقادر طاش ، مطبعة كتاب المختار أسباب إباحة الأعمال الجرمية : مصطفى إبراهيم الزلمي ، احسان للنشر والتوزيع ، ط:١/١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

١٦- الاستشراق بين الحقيقة والتضليل : د. اسماعيل علي محمد ، دار الكلمة للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط:٦/ ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.

١٧- الاستشراق والتبشير: أ. د. محمد السيد الجليند ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة

١٨- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق ، دار المنار- القاهرة ط:٢ ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م.

١٩- الاستشراق والدراسات الاسلامية : علي بن ابراهيم الحمد النملة ، مكتبة التوبة ، الرياض – السعودية، ط:١، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م.

٢٠- الاستشراق والدراسات الاسلامية: أ.د. عبدالقهار داود العاني ، دار الفرقان للنشر والتوزيع- الاردن، ط:١ ، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

٢١- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم: د. مصطفى السباعي ، دار الوراق للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

٢٢- الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية : أ . د . سعدون الساموك ، دار المناهج للنشر والتوزيع الاردن ، ط:١/ ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢٣- أُسس الحرية في الفكر الغربي: ناصر بن سعيد بن سيف ، شبكة الألوكة، ط:١/ ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٢٤- الأسطورة والتراث: سيد القمني، المركز المصري لبحوث الحضارة – القاهرة، ط:٣/١٩٩٩م.

٢٥- الاسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: د. شوقي ابو خليل ، دار الفكر المعاصر: بيروت- لبنان، ط:١، د.ت.

٢٦- الإسلام أصوله ومبادؤه: محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط:١/ ١٤٢١هـ.

٢٧- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه: د. يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة- القاهرة ، ط:٧/١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٨- الإسلام والمسلمين بين احقاد التبشير وضلال الاستشراق: د. عبدالرحمن عميرة ، دار الجميل – بيروت، د.ط، د.ت.

٢٩- الإسلام وحاجة الانسانية اليه: د. محمد يوسف موسى، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – القاهرة ، د.ط، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٣٠- الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة: محمد البهي ، مكتبة وهبة-القاهرة ، ط:١/١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣١- الإسلام: ألفرد جيوم، ترجمة: مصطفى هدارة، والدكتور: شوقي اليماني السكري، مطبعة لجنة البيان العربي-القاهرة ط:١/١٩٥٨م.

٣٢- الإسلام: هنري ماسيه ، ترجمة: بهيج شعبان ، منشورات عويدات بيروت- باريس ، ط:٣/١٩٨٨م.

٣٣- أصول علم النفس: د. أحمد عزت راجح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر- القاهرة ، ط:٧/١٩٦٨م.

٣٤- إظهار الحق والصواب في حكم الحجاب : د. سعيد بن على بن وهف القحطاني ، مطبعة سفير، الرياض، د.ط، د.ت.

٣٥- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني ، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية ، ط:١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٣٦- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط:١٥/٢٠٠٢م.

٣٧- افتراءات المستشرقين على الإسلام: عبدالعظيم أبراهيم محمد المطعني ، مكتبة وهبة- القاهرة ، ط:١/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٨- انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين: جميل عبد الله محمد المصري ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط:٢١/ عدد: ٨١-٨٢/ ١٤٠٩هـ.

٣٩- الانتصار للقرآن: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)، تح: د. محمد عصام القضاة ، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت ، ط:١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٠- انتكاسة المسلمين الى الوثنية: سيد القمني، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت ، ط:١/٢٠١٠م.

٤١- أين الخطأ: برنارد لويس: ترجمة: محمد عناني ، إصدارات سطور، ط:١/ ٢٠٠٣م.

٤٢- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ) ، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤٣- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، ت: ٧٧٤هـ ، دار الفكر ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٤٤- البدرُ التمام شرح بلوغ المرام: الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي (ت: ١١١٩ هـ)، تح: علي بن عبد الله الزبن، ط:١/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤٥- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط:١/ ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٤٦- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني ت: ٧٤٩هـ ، تح: محمد مظهر بقا ، دار المدني، السعودية ، ط:١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٤٧- تأريخ التشريع الإسلامي: ن. ج. كولسون ، ترجمة وتعليق: د. محمد احمد سراج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت ، ط١/١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٨- تأريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان ، ترجمة: نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط:٥/١٩٦٨م.

٤٩- تأريخ القرآن: تيودور نولدكه ، ترجمة: د. جورج تامر ، دار نشر جورج ألمز ، ط:١/٢٠٠٤م.

٥٠- تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) ، تح: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٥١- تجديد الفكر الاسلامي: محسن عبدالحميد ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط:١، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م.

٥٢- التحبير لإيضاح معاني التيسير: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، تح: محمد صُبحي بن حسن حلاق أبو مصعب، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة الْعربية السعودية، ط:١/١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٥٣- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، د. محمد منير مرسي ، دار المعارف، د.ط١٩٨٧م.

٥٣- التطرف العلماني في مواجهة الإسلام: د. يوسف القرضاوي ، دار الشروق – القاهرة ، ط:١/١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٤- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني ٧٤٠هـ/٨١٦هـ ، تح: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي – بيروت، د.ط، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٥- تعليم التفكير: ادورد دي بونت ، ترجمة: د. عادل عبدالكريم ياسين ، اياد احمد ملحم ، توفيق احمد العمري ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ط:١/١٩٨٩م.

٥٦- التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط:١/١٤٣٠هـ.

٥٧- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي: مطابع أخبار اليوم ، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات-مصر، د.ط، د.ت.

٥٨- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ ، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٩- تفسير القرآن العظيم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ، ط:٣/ ١٤١٩هـ.

٦٠- تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) ، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض - السعودية ، ط:١٤١٨/١هـ- ١٩٩٧م.

٦١- تفسير النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تح: مروان محمد الشعار، دار النفائس . بيروت، د.ط، ٢٠٠٥م.

٦٢- التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، ط:١٤١٣/١٠هـ.

٦٣- التفسير الوسيط: أ. د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر- دمشق ، ط:١٤٢٢/١هـ - ٢٠٠١م.

٦٤- التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط:٢٠٠٧/٦م

٦٥- التنوير الأن: ستيفن بينكر، ترجمة: هالة جمال، بيت الحكمة للنشر، د.ط، د.ت.

٦٦- التنوير بالتزوير(مساهمة في نقد الخطاب العلماني): منصور أبو شافعي ، مكتبة النافذة للنشر- مصر، ط:٢٠٠٨/١م.

٦٧- التنوير: دورينذا أوترام، ترجمة: ماجد موريس إبراهيم، دار الفارابي للنشر، ط:١٤٢٩/١هـ- ٢٠٠٨م.

٦٨- تهافت العلمانية: د. عماد الدين خليل ، دار أبن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق- بيروت ، ط:١٤٢٩/١هـ - ٢٠٠٨م.

٦٩- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت: ٣٧٠هـ ، تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط:١ ، ٢٠٠١م.

٧٠- التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) ، تح: د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر – بيروت، دار الفكر– دمشق ، ط:١ ، ١٤١٠هـ.

٧١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) ، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط:١/١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

٧٢- الجاسوس على القاموس: أحمد فارس أفندي، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، د.ط، ١٢٩٩هـ.

٧٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت: ٣١٠هـ ، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط:١/ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٧٤- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(١٩٤-٢٥٦هـ)، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– بيروت، ط:٣/ ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٧٥- الجامع الكبير "سنن الترمذي": لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي(٢٠٩ – ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الجيل . بيروت + دار الغرب الإسلامي . بيروت، ط:٢/١٩٩٨م.

٧٨- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) تح: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط:١: ١٩٨٧م.

٧٩- جوامع السيرة: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تح: إحسان عباس ، دار المعارف – مصر ، ط:١، د.ت.

٨٠- الحجاب شريعة الله في الإسلام واليهودية والنصرانية ، سامي عامري ، المؤسسة العلمية العالمية الدعوية، د.ط، ٢٠١٠م.

٨١- حراسة الفضيلة: بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض ، ط:١١/ ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨٢- حروب دولة الرسول: سيد القمني، مكتبة مدبولي الصغير– مصر ، ط:٢/١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٨٣- الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها: أ. د. عبدالمجيد النجار ، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي ، الدورة التاسعة عشر- الامارات العربية المتحدة.

٨٤- الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام: وصفي عاشور أبو زيد ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط:١/١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٨٥- الحزب الهاشمي: سيد القمني، الحزب الهاشمي: سيد القمني، مكتبة مدبولي الصغير- القاهرة، ط:٤/ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٨٦- حضارة العرب: غوستاف لوبون ، ترجمة: عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي- د.ط، ٢٠١٣م .

٨٧- الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الاسلامية: رحيل محمد غرايبة ، دار المنار للنشر والتوزيع – الاردن ، ط:١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٨٨- حياة إبراهيم: فريدريك ماير، ترجمة: مرقس داود ، مكتبة المحبة للنشر، د.ت، د.ط.

٨٩- خاتم النبيين: محمد أبو زهرة، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية والسنة النبوية- الدوحة ١٤٠٠هـ .

٩٠- خواطر وتأملات في السيرة النبوية: د. محمود محمد عمارة ، المركز الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، د.ط،١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٩١- الدر المنثور في التفسير بالماثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: مركز هجر للبحوث ، دار هجر – مصر، د.ط، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.

٩٢- دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب: ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد، دار العلم للملايين- بيروت، ط:٣/١٩٧٩م.

٩٣- دراسة علم الاديان- اهميتها ومناهج الباحثين فيها: عبدالمجيد بن محمد الوعلان: د.ط، د.ت.

٩٤- درج الدرر في تفسير الآي والسور: تح: طلعت صلاح الفرحان و محمد أديب شكور أمرير ، دار الفكر – عمان، الأردن ، ط:١/ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٩٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١/١٤٠٥هـ.

٩٦- دوائر الخوف : نصر حامد أبو زيد: المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط:٣/٢٠٠٤م.

٩٧- الدولة الاسلامية والخراب العاجل: سيد القمني ، مؤسسة هنداوي-٢٠٢٠م، د.ط.

٩٨- الدولة المسلمة للخلف در: سيد القمني، مؤسسة هنداوي-٢٠٢٠م، د.ط.

٩٩- الرأسمالية : فرنسوا بيرُد ، ترجمة: محمد عيتاني ، دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت، د.ط، د.ت.

١٠٠- رب الزمان: سيد القمني، مؤسسة هنداوي، د.ط،٢٠١٧م.

١٠١- رسالة في العقل: أبو ناصر محمد بن محمد الفارابي ، تح: الأب موريس بويج ، المطبعة الكاثوليكية – بيروت، د.ط، ١٩٣٨م.

١٠٢- رسالة في تفسير قوله تعالى: إن إبراهيم كان أمة ، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي ت: ٩٥٣هـ ، تح: محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، ط:١/١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠٣- الرسالة: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي ت: ٢٠٤هـ ، تح: رفعت فوزي عبد المطلب ، دار الوفاء – المنصورة. مصر ، ط:١ ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

١٠٤- الرسول: حياة محمد: ر. ف . بودلي ، ترجمة: محمد فرج و عبدالمجيد جوده السحار ، مكتبة مصر للنشر، د.ط، د.ت.

١٠٥- روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت: ٦٧٦هـ ، تح: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان ، ط:٣/ ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

١٠٦- زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية ٧٥١/٦٩١، تح: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، د.ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٠٧- السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق: أنور الجندي ، مكتبة دار الانصار- مصر، د.ط ، د.ت،.

١٠٨- سنن ابن ماجه: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، دار الرسالة العالمية ، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله ، ط:١/ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٠٩- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، تح: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط:١/١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١١٠- السؤال الآخر : سيد محمود القمني ، مؤسسة روز اليوسف ، ط:١/١٩٩٨م.

١١١- سير اعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله٧٤٨/٦٧٣، تح: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة بيروت، د.ط ١٤١٣هـ.

١١٢- سيرة حياتي: عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، د.ط، د.ت، ج/١.

١١٣- السيرة النبوية الصحيحة : أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة ، ط:٦/١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١١٤- السيرة النبوية والتأريخ الإسلامي: عبد الشافى محمد عبد اللطيف، دار السلام - القاهرة، ط:١/١٤٢٨هـ.

١١٥- السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط:٢/١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

١١٦- شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة: محمد زين العابدين محمد الطشو، جامعة الأزهر/ كلية أصول الدين، د.ن، د.ط، د.ت .

١١٧- شبهات حول الاسلام: محمد قطب ، دار الشروق- القاهرة ، ط:١٩/١٩٨٩م-١٤٠٩هـ.

١١٨- الشبهات والاخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي: انور الجندي: دار الاعتصام، د.ط، د.ت.

١١٩- الشخصية المحمدية: إميل درمنغم ، ترجمة: عادل زعيتر ، الشعاع للنشر والتوزيع- مصر ، ط:٢/٢٠٠٥م.

١٢٠- شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ) ، دار الوطن للنشر، الرياض- ١٤٢٦هـ، د.ط.

١٢١- شفاء السائل وتهذيب المسائل: أبي زيد عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الأشبيلي المالكي(٧٣٣-٨٠٨هـ)، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق/١٩٩٦، ط:١/١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٢٢- الشكوك الدينية: جورج فورد ، المكتبة الأميركانية – بيروت، د.ط، ١٩٢٨م.

١٢٣- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ) ، تح: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان) ، ط:١/ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٢٤- صحيحُ ابن خُزَيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، تح: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط:٣/١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٢٥- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١/ ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

١٢٦- طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنه وي ، ت:١١هـ ، تح: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم – السعودية ، ط:١/١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٢٧- طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها: عبد الرشيد عبد العزيز سالم، وكالة المطبوعات، ط:٣/ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٢٨- طه حسين في ميزان الاسلام: انور الجندي ، دار الاعتصام ، ط:٢/ ١٩٧٧م.

١٢٩- طوالع البعثة المحمدية: عباس محمود العقاد، دار نهضة القاهرة- مصر، د.ط، د.ت.

١٣٠- ظاهرة الاستشراق وموقف بعض المستشرقين منها: محمد فتح الله الزيادي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع- طرابلس- ليبيا ،ط:١/١٩٨٣م.

١٣١- عبقرية محمد ﷺ : عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة، د.ط، د.ت.

١٣٢- العرب في التأريخ: برنارد لويس: ترجمة: نبيه امين فارس، محمود يوسف زايد، دار العلم للملايين – بيروت، ط:١/١٩٥٤م.

١٣٣- العلمانية العدو الأكبر للإسلام: محمد إبراهيم مبروك ، مركز الحضارة العربية للنشر- القاهرة ، ط:١/ ٢٠٠٧م.

١٣٤- العلمانية وموقف الإسلام منها: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، د.ط، د.ت.

١٣٥- العلمانية: سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

١٣٦- العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام: أبو سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية ، ط:١/ ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

١٣٧- عودة الحجاب: محمد أحمد إسماعيل المقدم ، دار القمة، دار الإيمان (الإسكندرية) ، ط:٢/ ٢٠٠٤م.

١٣٨- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ت: ١٧٠هـ ، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.

١٣٩- فتح المنعم شرح صحيح مسلم: د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط:١/١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٤٠- فصل الدين عن الدولة: أسماعيل الكيلاني: المكتب الإسلامي – بيروت ، ط:٢/١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٤١- فضاءات الحرية : سلطان بن عبدالرحمن العميري ، المركز العربي للدراسات الانسانية، ط:٢، د.ت.

١٤٢- فقه الديمقراطية: د. عادل مصطفى ، رؤية للنشر والتوزيع- القاهرة ، ط:١/٢٠١٢م.

١٤٣- فقه السيرة النبوية: منير محمد الغضبان(ت: ١٤٣٥هـ)، الناشر: جامعة أم القرى، ط:٢/١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٤٤- فقه السيرة: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر – بيروت ط:١٠/١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٤٥- فقه السيرة: محمد الغزالي (ت: ١٤١٦هـ)، دار القلم – دمشق ، ط:١/ ١٤٢٧هـ.

١٤٦- الفكر الإداري الإسلامي المقارن: حمدي امين عبد الهادي، دار الفكر العربي، ط:٣، د.ت.

١٤٧- الفكر الاسلامي في تطوره: محمد البهي ، مكتبة وهبة – القاهرة، ط: ١٤٠١/٢هـ ، ١٩٨١م.

١٤٨- الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي: د. فؤاد محسن الراوي ، دار المأمون للنشر والتوزيع- الاردن ، ط:١/١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٤٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ت: ١٠٣١هـ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط:١/ ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

١٥٠- القاموس الفقهي : د. سعدي أبو حبيب ، دار الفكر. دمشق – سورية ، ط:٢/ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

١٥١- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط:٨ – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٥٢- قصص الأنبياء: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد ، مطبعة دار التأليف – القاهرة ، ط:١/ ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

١٥٣- كتاب محمد ونهاية العالم للمستشرق كازانوفا(عرض ومناقشة): د. إبراهيم عوض، مكتبة الشيخ احمد- القاهرة، د.ط، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

١٥٤- (كتاب "بداية المجتهد وكفاية المقتصد" لابن رشد ودوره في تربية ملكة الاجتهاد) أطروحة دكتوراه: محمد بولوز ، جامعة محمد بن عبد الله ... شعبة الدراسات الإسلامية كلية الآداب والعلوم الإنسانية ... وحدة القرآن والحديث وعلومها- فاس – المغرب، السنة الجامعية:٢٠٠٦ – ٢٠٠٧م.

١٥٥- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق ، ط:٢/١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

١٥٦- لباب التأويل في معاني التنزيل(تفسير الخازن): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١/ ١٤١٥هـ.

١٥٧- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (٦٣٠ - ٧١١ هـ) تح، عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة، د.ط، د.ت.

١٥٨- ما وراء الديمقراطية: فرانك كارستن – كارل بيكمان، ترجمة: انور عدنان ، د.ن، د.ط، د.ت.

١٥٩- المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الاسلام: د. محمد البهي، مطبعة الازهر- مصر، د.ط، د.ت.

١٦٠- مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض، د.ت .

١٦١- المحصول: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ت: ٦٠٦هـ ، تح: د. طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، ط:٣/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٦٢- محمد في مكة: مونتجيمري وات ، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ – حسين عيسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، د.ط، د.ت.

١٦٣- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ،(ت: ٧٢١)، تح: محمود خاطر، الناشر مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

١٦٤- مختصر المستصفى: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد ت: ٥٩٥هـ ، تح: جمال الدين العلوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ، ط:١ – ١٩٩٤م.

١٦٥- مختصر تفسير البغوي: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد ، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض ، ط:١/١٤١٦هـ.

١٦٦- مدخل الى الديمقراطية: إيمون باتلر ، ترجمة: محمد مطيع ، المركز العربي للأبحاث – الرباط ، ط:١/٢٠٢١م.

١٦٧- مذاهب التفسير الإسلامي: إجنتس جولد تسهر، ترجمة: عبدالحليم النجار، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة، د.ط، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

١٦٨- المذاهب الفكرية المعاصرة ، د. غالب بن علي عواجي ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة – السعودية ، ط:١، ١٤٢٧هـ ،٢٠٠٦م.

١٦٩- مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، دار الشروق – القاهرة ، ط:٩/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٧٠- مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجة: محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَّوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي، تح: لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية – جدة، ط:١/١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

١٧١- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط:١/ ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٧٢- المستشرقون : نجيب العقيقي ، دار المعارف- مصر، ط:٣، ١٩٦٤م.

١٧٣- المستشرقون والاسلام: د. عرفان عبدالحميد، مطبعة الرشاد- بغداد، د.ط،١٩٦٩م.

١٧٤- المستشرقون والسنة : د. سعد المرصفي ، مؤسسة الريان ، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

١٧٥- المستشرقون والقرآن الكريم: د. محمد أمين حسن ، دار الأمل للنشر والتوزيع- الأردن ، ط:١/٢٠٠٤م.

١٧٦- المستصفى في علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: ٥٠٥هـ ، تح: محمد بن سليمان الأشقر ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:١/١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٧٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: ٢٤١هـ ، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط:١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٧٨- المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ). ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت.

١٧٩- المعتزلة والفكر الحر: د. عادل العوا، الأهالي للطباعة والنشر – دمشق ، ط:١/ ١٩٨٧م.

١٨٠- المعتصر من شرح مختصر الأصول من علم الأصول: أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي ، المكتبة الشاملة، مصر ، ط:٢/ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٨١- المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

١٨٢- المعجم الفلسفي: مراد وهبة ، دار قباء الحديثة – القاهرة، د.ط، ٢٠٠٧م.

١٨٣- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط:١/ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٨٤- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ، ط:٣/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٨٥- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية – جمهورية مصر العربية ، مكتبة الشروق الدولية ط:٤/١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٨٦- معجم اوكسفورد المحيط (الطبعة العربية): د. محمد بدوي ، أكاديميا للنشر والطباعة بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.

١٨٧- معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت ، ط:٢/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٨٨- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: ٣٩٥هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م..

١٨٩- معيار العلم في فن المنطق: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (ت: ٥٠٥هـ) ، تح: د. سليمان دنيا ، دار المعارف، مصر، د.ط،١٩٦١م.

١٩٠- المغازي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، (ت: ٢٠٧هـ)، تح: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، ط:٣/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٩١- المغني: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو ، عالم الكتب، الرياض – السعودية ، ط:٣/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٩٢- مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط:٣/ ١٤٢٠هـ.

١٩٣- مفتريات اليونسكو على الاسلام: محمد عبدالله السمان ، المختار الاسلامي للطباعة والنشر- القاهرة ، ط:١/ ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

١٩٤- المفصل في احكام المرأة والبيت المسلم: د. عبدالكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط:١/١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٩٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ)، دار الساقي- لبنان ، ط:٤/١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٩٦- مفهوم الحرية: عبدالله العمري ، المركز الثقافي العربي – بيروت ، ط:٥/ ١٩٩٣م.

١٩٧- مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة: محمد علي الجوزو، دار العلم للملايين- بيروت ، ط:١-١٩٨٠م.

١٩٨- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، (ت: ١٣٩٣هـ)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، د.ط،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٩٩- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩هـ ، ٥٤٨هـ) ، تح: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت، د.ط، د.ت.

٢٠٠- من العقيدة إلى الثورة: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر- لبنان، ط:١/١٩٨٨م.

٢٠١- من النقل إلى العقل: حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط،٢٠١٢م، ج٢.

٢٠٢- مناهج البحث العلمي: عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات – الكويت ، ط:٣/١٩٧٧م.

٢٠٣- المنطق والتفكير الناقد: د. عصام زكريا جميل ، دار المسرة للنشر والتوزيع- عمان ، ط:١/١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٢٠٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (٦٣١-٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي-بيروت، د.ط، ١٣٩٢هـ.

٢٠٥- منهج البحث الأدبي: علي جواد الطاهر ، مطبعة العاني- بغداد، د.ط،١٩٧٠م.

٢٠٦- منهج المستشرقين في دراسة قضايا القرآن: صلاح بن سالم بن سعد باعثمان : حولية كلية اصول الدين والدعوة بالمنوفية- مصر ، العدد، السادس والثلاثين ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٢٠٧- الموسوعة العربية العالمية: مجموعة من الباحثين ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية ، ط:٢/١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٠٨- موسوعة الفقه الإسلامي: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط:١/١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٢٠٩- الموسوعة الفلسفية: روزنتال - يودين: ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، د.ط، د.ت.

٢١٠- موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط:٣/١٩٩٣م.

٢١١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي د. مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط:٤/١٤٢٠هـ.

٢١٢- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، (ت: بعد ١١٥٨هـ) ، تح: د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ، ط:١/١٩٩٦م.

٢١٣- موسوعة لالاند الفلسفية: أندري لالاند ، ترجمة: خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، المجلد الاول ، ط:٢/٢٠٠١م.

٢١٤- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين ، مكتبة الرشد- الرياض ، ط:١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢١٥- النبي واليهود في المدينة من خلال دراسات المستشرقين: د. السيد التوي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية- المانيا، ط:١/٢٠٢٤م.

٢١٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (ت: ٨٨٥هـ)، تح: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢١٧- نماذج الديمقراطية: ديفد هيلد ، ترجمة: فاضل جتكر ، معهد الدراسات الاستراتيجية - العراق، ط:١/٢٠٠٦م.

٢١٨- نيل الأوطار: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: ١٢٥٠هـ) ، تح: عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث، مصر ، ط:١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢١٩- هدي السيرة: عبدالحفيظ فرغلي القرني ، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

٢٢٠- هرطقات: جورج طرابيشي، دار الساقي بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب- بيروت، ط:١/٢٠٠٦

٢٢١- وا محمداه : أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني ، دار العفاني، مصر ، ط:١/ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٢٢- واقعنا المعاصر: محمد قطب، دار الشرق للطباعة- مصر ، ط:١/١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٢٣- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت: ٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت ، ط:١/ ١٤١٥هـ.

٢٢٤- الوسيط في المذهب: محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (٤٥٠/٥٠٥هـ)، تح: أحمد محمود إبراهيم ، محمد محمد تامر، الناشر دار السلام- القاهرة، د.ط،١٤١٧هـ.

٢٢٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٢٦- اليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية : د. حسن عزوزي ، مطبعة انفو- المغرب، د.ط، د.ت.

فهرست المواقع الإلكترونية

١- بحث الشورى والديمقراطية حقيقتها وأهم الفروق بينها ، د. عبدالله عبدالعزيز العنقري أستاذ العقيد المساعد بجامعة الملك سعود بالرياض ، منشور على مكتبة نور الإلكترونية.
https://www.noor-book.com

٢- تعليم التفكير: صباح مرشود منوخ العبيدي و ليلى علي عثمان البرزنجي ، بحث مشترك منشور على مكتبة نور الإلكترونية ، https://www.noor-book.com .

٣- الديمقراطية في العالم العربي والتجديد: اجتماع المائدة المستديرة في مقر اليونسكو ٢١حزيران/ يونيو ٢٠١١م ،https://unesdoc.unesco.org

٤- سيد القمني بين التجديد والتجديف: د. محمود محمد علي، بحث منشور من خلال مكتبة نور الألكترونية. https://www.noor-book.com

٥- صحيفة اليوم السابع الالكترونية: http://www.youm7.com/5378835

٦- الكتاب المقدس:https://www.enjeel.com

٧- لقاء تلفزيوني لسيد القمني على اليوتيوب:
https://m.youtube.com/watch?v=tApOxzxwdT0

٨- لقاء صحفي مع أحد أقرباء سيد القمني، جريدة الوطن المصرية على شبكة الأنترنت،
https://www.elwatannews.com/news/details/5939335

٩- لقاء صحفي أجراه بابكر فيصل وهو باحث ومحلل مهتم بالجماعات الإسلامية، مع سيد القمني، تم نشره على موقع الحرة الإلكتروني في ٨ ديسمبر ٢٠٢١.
- https://www.alhurra.com/different-angle/2021/09/08

١٠- لقاء صحفي مع سيد القمني منشور على اليوتيوب:
https://youtu.be/lO8zH2rotRM?si=dGGlcWH4E6l_tOtJ

١١- لقاء صحفي مع سيد القمني منشور على اليوتيوب:
https://youtu.be/vVSveJpURjo?si=1X4B45e1r8uZJQ37

١٢- مجلة الحوار المتمدن: مقالة لسيد القمني بعنوان: العلمانية الدين السياسي ونقد الفكر الديني : في١١/٢/٢٠٢٢، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=746608.

١٣- محاضرة لسيد القمني على اليوتيوب بعنوان: قراءة عقلانية لتراثنا الديني:
https://youtu.be/8heq5iLUTDg?si=zebqNKvp80IPSkgU
١٤- المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية موقع العتبة العباسية على شبكة الأنترنت ،
.https://www.iicss.iq/?id=14&sid=421
١٥- معجم افتراءات الغرب على الاسلام: انور محمد زناتي، موقع نصرة رسول الله،
https://rasoulallah.net/ar/home/search
١٦- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام: علي نايف الشحور، موقع جامع الكتب
الإسلامية على شبكة الأنترنت،
https://ketabonline.com/ar/books/19893/read?part=10&page=2978&index=
2491925/2492022
١٧- مقال د. سامي عطا حسن في موقع فيصل نور على شبكة الانترنت :
https://www.fnoor.com/m5087ain/articles.aspx?article_no=35087
١٨- مقال عن الرق في موقع منظمة الأمم المتحدة:
https://www.un.org/ar/observances/slavery-abolition-day
١٩- مقال لسيد القمني في جريدة المصري اليوم على شبكة الأنترنت
https://www.almasryalyoum.com/news/details/61168
٢٠- مناظرة بين القمني وعبدالوهاب المسيري على قناة الجزيرة ،
https://youtu.be/SZL9428RiUI?si=ZvrPnLbKb-yMuIEn
٢١- منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين: محمد عامر عبدالحميد ، بحث منشور
على شبكة الانترنت: https://www.noor-book.com/
٢٢- موقع أراجيك: https://www.arageek.com/bio/sayyid-al-qemany#sources
٢٣- الموقع الخاص لمنظمة اليونسكو : https://www.unesco.org/ar/brief
٢٤- الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة ،
https://www.un.org/ar/observances/slavery-abolition-day
٢٥- موقع جامعة بغداد https://museum.uobaghdad.edu.iq/?page_id=15115

٢٦- موقع سيد القمني : https://sayed-elqemany.com

٢٧- موقع مطبعة جامعة كامبريدج على شبكة الانترنت، تم نشره في ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٩،
https://www.cambridge.org/core/journals/bulletin-of-the-school-of-oriental-and-african-studies/article/alfred-guillaume/197046E8720809B080059B5AD201FC60

٢٨- موقع نصرة رسول الله: https://rasoulallah.net/ar/home/search.

٢٩- موقع فلاسفة العرب: على شبكة الأنترنت،
http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary.htm

٣٠- موقع المعرفة على شبكة الأنترنت، https://www.marefa.org

٣١- الموقع الرئيسي لجامعة القديس يوسف على شبكة الأنترنت:
https://www.usj.edu.lb/arabe/decouvrir.php

٣٢- موقع شهداء يسوعيون في خدمة المشرق العربي:
http://www.ndj.edu.lb/old/jesuites/michelallard-1924-1976-ar.htm

٣٤- موقع مؤسسة هنداوي على شبكة الأنترنت:
https://www.hindawi.org/contributors/90639697/

فهرست المصادر الإنـكليزية

1- MOHAMME D.S. MARGOLIOUT THE KNICKERBOCKER PRESS- LONDON 1905.

2- - THE LIFE OF MOHAMMAD : SIR WILLIAM MUIR: EDINBURGH: .JOHN GRANT 31 GEORGE IV- BRIDGE1923: